تاريخ ايران القديم



تاليف

الاستاذ
طه باقر

الدكتور
فوزي رشيد

الاستاذ المساعد
رضا جواد هاشم

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
رئاسة جامعة بغداد

تاريخ ايران القديم

تأليف

الاستاذ المساعد	الدكتور	الاستاذ
رضا جواد هاشم	فوزي رشيد	طه باقر

طبع على نفقة جامعة بغداد

مطبعة جامعة بغداد – ١٩٧٩

فهرست المحتويات

المبحث الاول

(أهمية دراسة التاريخ القديم للشرق الادنى وايران)

(لتاريخ الشرق الادنى القديم ومنه تاريخ ايران مكانة بارزة في الدراسات التاريخية والانسانية في مناهج الجامعات والمعاهد العلمية في جميع انحاء العالم . وذلك لأن المؤرخين والباحثين في تاريخ الحضارات مجمعون على ان في اقطار الشرق الادنى ، وفي مقدمتها وادي الرافدين ووادي النيل وغيرهما من الاقطار العربية وبلاد ايران التي سنوجز تاريخها ، نشأت الحضارات البشرية الاولى ووضعت فيها اسس الحضارة والعمران من فنون وعلوم ومعارف وتم فيها انتقال الانسان من عصور همجية ما قبل التأريخ التي استغرقت من حياته زهاء ٩٩ بالمائة الى طور التمدن والتحضر منذ اواخر الالف الرابع ق . م ومطلع الالف الثالث ق . م واشتقت من تلك الحضارات الاولى الحضارات البشرية اللاحقة الكثير من مقومات ثقافاتها وعلومها ومعارفها . ويعود الفضل في الكشف عن هذه الحقيقة المهمة في تأريخ تطور الانسان الى المكتشفات المدهشة التي حققها علم الآثار (الاركيولوجيا) عن طريق التنقيبات والتحريات الأثرية في مواطن الحضارات في ربوع الشرق الادنى) وما صاحب ذلك من دراسات وبحوث لا تزال تشغل مكانا بارزا في حقل الدراسات الانسانية .

وخلاصة القول يوقفنا درس التأريخ القديم ، وفي مقدمته دراسة تأريخ الشرق الادنى ، على اسرار تطور البشرية وكيف استطاعت اقوام الشرق الادنى ان تنقل البشرية من عهد الفطرة والتوحش الى المدنية والحضارة ، وكيف استمر تطور الانسان الحضاري عن طريق اقامة الحضارات اللاحقة أسس ثقافاتها على منجزات الحضارات السابقة . وبعبارة أخرى تعيننا دراسة تأريخ الشرق الادنى القديم بوجه خاص والتأريخ القديم بوجه عام على فهم حاضر الانسان ، وكيف تطور هذا الحاضر المتميز بتقدم العلوم والمعارف والصناعات والمنجزات الصناعية المهمة . وان فهم اسس هذا الحاضر ومساوىء ، كما تظهر هذه الدراسات بجلاء ان ما يسميه الغربيون الآن بالحضارة الأوربية أو الحضارة الغربية نسميه مضللة خاطئة من الناحية التأريخية ، لان الواقع التأريخي ان حضارات الشرق الادنى القايمة ثم الحضارة العربية الاسلامية قد اسهمت اسهاماً كبيراً في وضع اسسها وبنائها بحيث يجب علينا ان نطلق عليها الحضارة الانسانية المعاصرة .

كما ان دراسة تاريخ اولى الحضارات البشرية التي قامت في الشرق الادنى القديم [illegible] اكتشاف علومها ومعارفها وفنونها وآدابها وقوانينها ونظمها السياسية والاجتماعية وضعت في متناول أيدي الباحثين في تطور الحضارات وعلماء الاجتماع مادة فريدة [illegible] دراستهم المقارنة [illegible] عليهم الكشف عن اسرار التطور الحضاري وكيفية نمو الحضارات وظهور الدول وعلل تدهورها وانحلالها وسقوطها فنشأت مدارس مهمة في التاريخ [illegible] التاريخ . فأخذت الدراسات التاريخية مكانها اللائق بين العلوم الاجتماعية [illegible] استطاعة علماء الاجتماع والباحثين الآخرين ان يستنبطوا القواعد والقوانين العامة التي [illegible] المجتمعات وتعمل على تطورها .

وايران كانت وما تزال قطرا مهما من اقطار الشرق الادنى وقامت بادوار [illegible] في تاريخ هذه المنطقة الواسعة منذ أقدم عصور التاريخ وسيتضح لنا مما سنبينه من [illegible] تاريخها كيف نشأت فيها مستوطنات مهمة في عصور ماقبل التاريخ وكانت مضاهية [illegible] عصور ما قبل التاريخ في وادي الرافدين وكيف تطورت تلك البدايات الحضارية الى [illegible] الحضارة الناضجة في مطلع الالف الثالث ق . م . وظهرت في الاجزاء الجنوبية من [illegible] في بلاد عيلام (منطقة خوزستان او عربستان او الاحواز الان) حضارة شبيهة بحضارة وادي [illegible] وكانت على [illegible] واشتقت من [illegible] وادي الرافدين أسس حضارتها مثل التدوين والتمدن ، كما دخلت في علاقات [illegible] وكثيرا ما خضعت بلاد عيلام الى الدول الكبرى التي قامت في وادي الرافدين [illegible] العصر الاكدي في العراق (منتصف الالف الثالث ق . م) ، ونشأت في [illegible] الحضارة الاخمينية [illegible] العراق القديم وبلاد عيلام فكانت الغزوات متبادلة [illegible] على [illegible] العيلاميين وتأسست الـ [illegible] دول [illegible] الالف الاول ق . م اولاها واقدمها دولة [illegible] ([illegible] ق . م) ودولة الفرس الاخمينيين [illegible] ق . م — ٢٢٦ ب . م .) [illegible] العرب المسلمون [illegible] قضى على دولتهم [illegible] ان هذه الدول الايرانية التي عددناها قد [illegible] حضارة وادي الرافدين [illegible] دخول العراق تحت سيطرة الدول الايرانية [illegible] استمرت حضارة وادي الرافدين في [illegible] الفرس الاخمينيين من بعد سقوط بابل على يد [illegible]

كورش (٥٣٩ ق . م) فتداخل تاريخ العراق القديم بتأريخ ايران في العصر الاخميني وكانت مدينة بابل العاصمة الثانية للدول الفارسية الاخمينية . وقبل قيام الدولة الاخمينية تحالف البابليون في عهد الملك البابلي ((نبوبولاصر)) [٦٢٦ – ٦٠٥ ق . م] مع الملك الميدي في اسقاط الدولة الاشورية وسقوط عاصمتها نينوى (٦١٢ ق . م) وقامت الاقوام الايرانية بدور مهم في نشر الثقافة والمدنية الى الاجزاء الشرقية المتأخرة لايران بين الاقوام الغير المتحضرة فيما وراء النهر (نهر سيحون وجيحون) . فكان ذلك عاملا في تضييق رقعة البداوة والتوحش في تلك الارجاء البعيدة من العالم ، واتساع رقعة التمدن والحضارة . ومد ملوك السلالة الاخمينية سيطرتهم على بلاد الاناضول (تركية) وضلت تحت سيطرتهم حقبة طويلة من الزمن ودخلت تحت تلك السيطرة المستوطنات اليونانية في الاجزاء الغربية من الاناضول وهي الاجزاء التي عرفت في تأريخ اليونان باسم بلاد« آيونية » وعرف اليونان فيها بأسم الآيونيين . والمعروف في تأريخ الحضارة اليونانية ان اول ظهور للعلوم والمعارف في تلك الحضارة كان في بلاد آيونية منذ القرن السادس ق . م فنتج عن أتصال الفرس الاخمينين بهذه الاجزاء من بلاد اليونان تلاقح ثقافي بين الحضارة اليونانية وبين الثقافات الشرقية على ايدى الفرس ، كما نتج عن تلك السيطرة السياسية الحروب المشهورة في تأريخ اليونان بأسم الحروب الفارسية اليونانية (٤٩٢ – ٤٨٠ ق . م) ، وعلى الرغم من فشل الملوك الاخمينين (درار الأول وأحنويرشس) في اخضاع بلاد اليونان الاصلية الا ان تلك الاتصالات الحربية . شأنها في ذلك شأن الاتصالات الأخرى بين الشعوب المختلفة ، نتج عنها تأثيرات ثقافية متبادلة مابين الشرق والغرب ، وكانت في مقدمة العوامل التي حفزت الاسكندر الكبير (٣٥٦ – ٣٢٣ ق . م) من بعد نحو قرن ونصف قرن على غزو الشرق وتحطيم الامبراطورية الفارسية في عهد آخر ملك من الفرس الاخمينيين وهو دارا الثالث (٣٣١ ق . م) وأثمرت اتصالات الاسكندر باقطار الشرق الادنى تفاعلا حضاريا مهما تمخض عن ظهور حضارة جديدة خليطة من التقاء حضارات الشرق الادنى بالحضارة اليونانية وقد اطلق على هذه الحضارة المزيجة اسم الحضارة الهلنستية (Hellenstic) اى الشبيهة بالهلينية وهي الحضارة الاغريقية الصرفة (Hellenic) وكان لها دور بارز في تطور الحضارات البشرية ، ودخلت بلاد ايران تحت حكم الملوك السلوقيين ؛ وهم خلفاء الاسكندر في حكم بلاد الشام والعراق وايران . واستمر التلاقح الثقافي مابين الاقطار الشرقية ومنها بلاد ايران وبين الغرب وبعد حكم يناهز القرنين من الزمان استقلت ايران عن حكم السلوقيين ، وتأسست فيها سلالة حاكمة من الملوك الفرثيين او الارشاقيين امتد حكمهم الى بلاد وادي الرافدين حيث انتزعوا

حكمهما من السلوقيين . وقد نشأت بينهم وبين السلوقيين في بلاد الشام منازعات وحروب كثيرة استمرت الى زمن الرومان وكان العراق وبلاد الشام مسرحاً لتلك الحروب . وقد ظهرت في حدود هذا العصر في بعض الاقطار العربية عدة دويلات عربية مثل دويلة الحضر وتدمر والبتراء والدويلات النبطية في شمال الحجاز ، وكان بعضها تحت نفوذ الفرثيين وقد استمرت في الازدهار في العصر الفارسي الساساني الذي اعقب الدور الفارسي الفرثي : حيث قامت في ايران سلالة فارسية اخرى هي السلالة الساسانية التي امتد حكمها من العام ٢٢٦ م الى حدود ٦٥٠ م وسيأتي الكلام عليها في مباحث خاصة من هذا الكتاب . وقدنهضت بلاد ايران في عهدها بدور كبير في تأريخ العالم القديم فقد اسس ملوكها امبرطورية واسعة شملت العراق والاجزاء الشرقية من ايران ، وكان تأريخ العراق جزءاً من تاريخ هذه الدولة . ومن ناحية التأثيرات الدولية نشأت مابين الفرس الساسانيين وبين الامبراطورية الرومانية حروب كثيرة كانت امتداداً للنزاع ما بين الفرس الفرثيين والرومان واستمرت الى عهد الروم البيزنطيين وقاسى العالم القديم ويلات كثيرة منها وعانت الشعوب منها بحيث ان العالم دخل في حقبة مظلمة من الاضطهاد والركود الحضاري ، فأنقذ العالم والبشرية ظهور الدين الاسلامي والحضارة العربية الاسلامية التي حطمت تينك الامبراطوريتين واعادت التطور الحضاري البشري الى زخم وروح جديدين ، واسهمت بلاد ايران اسهاما بارزا في تلك الحضارة الجديدة ، التي ورثت من الساسانيين امورا كثيرة ومهمة في اصول نظام الحكم والادارة واصول الفن وغيرها من الاوجه الحضارية المختلفة .

المبحث الثاني : جغرافية ايران وأثرها في سير تاريخها

التسمية : ايران وفارس

يسمى الفرس بلادهم « ايران » وهي تسمية مشتقة من كلمة « آريا » (Airiya) الواردة في الافستا (الابستاق) التي تعني بلاد الآريين ، وتعنى ايضاً في اللغة الفارسية القديمة السامي او المجيد ، وكذلك يقال في اصل مصطلح آريين ويرجح ان يكون استعمالها قد بدأ منذ مجيء الاقوام الآرية الى بلاد ايران واستيطانهم فيها منذ الألف الأول ق . م ، وقد ورد استعمال مصطلح بلاد ايران (Ariana) في كتابات الجغرافي اليوناني الشهير ايراتوسثينس (Eratosthenes) (القرن الثالث ق . م) ، ولكن المرجح كثيرا ان ظهور هذا المصطلح كان قبل عهده ، وبوجه التحديد في العهد الفارسي الاخميني (منذ القرن السادس ق . م) حيث جاء ذكرها في التراتيل والصلوات الدينية في الافستا ، كما اطلقت كلمة بلاد الارين على البلاد المعروفة الآن بأسم افغانستان

أما كلمة فـارسـ وبلاد فارس فانها مشتقة من اسم احدى القبائل الايرانية الكبيرة التي استوطنت بلاد ايران منذ الالف الاول ق . م كما ذكرنا . وورد ذكر اسم هذه القبيلة بهيئة «برسا» (Parsa) وقبيلة ايرانية اخرى باسم ماداى او مادى (Madai) في اخبار حملات الملك الآشوري شيلمنصر الثالث في عام حكمه السادسى عشر والرابع والعشرين اي في عام ٨٤٣ ق . م و ٨٣٥ ق . م . ولكن اطلاق مصطلح بلاد فارس يكاد ان يكون استعماله مقتصرا على المصادر التاريخية العربية وعلى المصادر الغربية (Persia) واصلها من الكلمة الايرانية القديمة (برسا) (Parsh) برسيس (Persis) (ولايـة فارسـ) ، والتي كانت مهد الاسرة الفارسية الاخمينية ويستعمل الايرانيون الآن مصطلح فارسي لاطلاقـه على لغتهـم .

صفة بـلاد ايران الجغرافية

تقع هضبة ايران الشبيهة بالمثلث ما بين وادي دى نهر المسند شرقا ووادي دجلة غربا وهي محصورة مابين منخفضين طبيعيين هما بحر قزوين شمالا والخليج العربي جنوبا ، وتكون بلاد ايران القسـم الاكبر من هذه الهضبة ؛ أما الاجزاء الشرقية من الهضبة فتقع ضمنها افغانستان وبلوجستان وكلا هذين القطرين محاط بسلاسل جبلية عالية ، وتنقسم الاجزاء الغربية من الهضبة الى عدة وديـان تولف زهاء $\frac{٣}{٥}$ مساحة البلاد) وترتفع الهضبة في بعض الاماكن مثل كرمان وشيراز زهاء ٥٠٠٠ قدم ، وترتفع زهاء ٣٠٠٠ قـدم في المناطق الايرانيـة الأخرى المشهورة مثل طهران ومشهد وتبريز . وترتفع اصفهان في الوسـط الى اكثر من ٥٠٠٠ قدم وارتفاع يزد نحو ٤٠٠٠ قـدم .

ولموقـع ايران الطبيعي اهمية جغرافية خاصة فهي توصـل مابين آسية الوسطى وبين الشرق الاقصى وآسية الغربية وبلاد الشرق الادنى ، كما انها بمثابة جسر الى الاناضول والى اوربة الوسطى وراءها .. وتحيط بهضبة ايران عدة سلاسـل جبلية تختلف في ارتفاعها وتحيط بصحراء كبرى هي بقايا بحر داخلي مندرس تعرف بأسم دشتي لوط . واشهر هذه الجبال السلاسل الاتية :

١ - الجبال الغربية وتعرف باسم زجروس التي تمتد من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي وطولها يربو على ٦٢٠ ميلا وعرضها نحو ١٢٠ ميلا وتتراوح ارتفاعاتها ما بين ٣٢٨٠، ٦٥٧٠ قدما ، وتتالف من عدة سلاسل متوازية تقريبا وتتخللها اودية تتراوح ما بين ٦٠ الى ٣٠ ميـلاً وفي عرضها ما بين ١٢ الى ٦ أميال ، وتكثر في منحدرات هـذه الجبال المراعـي وغابات الاشجار مثـل البلوط والبلـوز والجوز والفستق وتنمو فـي سفـوح الوديان اشجار الكروم والتين والرمان ومزارع الحبوب والقطـن وينتقل الرعاة بقطعانهم الى

المرتفعات العليا في فصل الصيف من جراء شدة الحر .

وتتفرع من السلسلة الوسطى من جبال زجروس لسان او ذراع يتجه الى الحدود الشرقية من بلاد بين النهرين ويقترب من سهولها وسبب انحناء او انعطافا في نهر دجلة جعله يقترب من الفرات عند منطقة بغداد بحيث لا تتعدى المسافة ما بين النهرين في هذا الموضع اكثر من ٢٥ – ٢٠ ميلا .

وتطل تلك المرتفعات على سهول ما بين النهرين وكانت ولا تزال مصدر خطر كبير على العراق وتعرف هذه المنطقة من بلاد ايران بأسم « لورستان » او بلاد « اللر » وكثيرا ما غزت منها بعض الاقوام الجبلية وادي الرافدين مثل الكاشين في منتصف الألف الثاني ق . م .

٢ – **السلاسل الجبلية الشمالية :**

وتعرف بأسم جبال « البرز » وتبلغ اعلى مرتفعات فيها زهاء ١٩٫٠٠٠ قدم ، وهو الجبل المعروف بجبل « ديماوند » وقد ورد ذكره في المصادر المسمارية ولا سيما المدونات الآشورية بأسم جبل بكيني » وتتاخم هذه السلاسل السواحل الجنوبية من بحر قزوين ، وتؤلف حاجزاً مرتفعا وضيقاً يفصل ما بين المناطق الصحراوية الداخليه وبين المناطق الساحلية الغنية في نباتاتها . ويتصل الطرف الغربي من سلاسل جبال البرز باقليم « اذربيجان » الذي تقع في وسطه بحيرة « اورميا » المالحة . ويتميز هذا الاقليم بكثافة سكانه وبوديانه الخصبة المزدهرة بزراعة غلال الحبوب والقطن والرز والتبغ واشجار الخروع . ودخلت الى هذا الاقليم عبر عصور التأريخ المختلفة اقوام كثيرة واستوطنت وديانه الخصبة مثل الميديين والفرس . وقد اهتمت الامبراطوية الفارسية الاخمينية بحراسة مداخل هذا الاقليم لصد الاقوام الغازية التي كانت تندفع عبر القوقاز من المناطق الجنوبية من روسيا وقد اقامت فيها الحصون والابواب ولا تزال بقايا بعضها قائمة الى الآن .

وتتفرع جبال خراسان من جبال البرز في الجهة الشرقية وهي تتميز بسهولة عبورها وخصب وديانها وكثرة اشجارها ونباتاتها بحيث يصح ان نطلق عليها « اهراء » بلاد ايران . وتكون هذه المنطقة المداخل الثانية لتغلغل الاقوام منها الى هضبة ايران ، وقد عبرت منها موجات متعددة من الغزاة من سهول آسيا الوسطى الواسعة ، وغزتها قبائل تركمانية ودامت تلك الغزوات الى القرن التاسع عشر .

٣ – **السلاسل الجنوبية :**

وهناك سلاسل جبلية جنوبية تعرف بأسم جبال « مكران » ويخترق هذه السلاسل مدخلان ممران يؤدي احدهما الى بندر عباس الذي كان ميناء مشهورا على خليج عمان في السابق ويؤدي الآخر الى بلوجستان .

ومن العوارض الطبيعية البارزة في جغرافية ايران المنخفض الصحراوي الواسع المعروف باسم « دشتي لوط » الذي مر ذكره ويعد من اشد صحارى العالم جفافا وملوحة . وقد ذكرت هذه الصحراء في اخبار البلدانيين العرب باسم « المفازة الكبرى » وقووصف من جازف في ارتياد هذه المفازة الكبرى من الرحالة والرواد على انها اشد جفافا من صحارى آسية الوسطى مثل صحراء « كوبي » (توبي) .

وفي ضوء ما اوجزناه عن صفة بلاد ايزان الجغرافية تتضح لنا ظاهرة استيطان الانسان فيها وان هذا الاستيطان انحصر من الهضبة في السهول والوديان ما بين سلاسل الجبال وفي الواحات وتوجد سهول خصبة واسعة اشهرها سهل الاهواز او الاحواز (عربستان) ، ويحدد هذا السهل بلاد عيلام او بلاد السوس التي يمكن عدها من الناحية الجغرافية والحضارية امتدادا لسهل وادي الرافدين الاسفل ، فهي مثلها مكونة من اراض رسوبية كونها نهر كارون وروافده واشهرها نهر « الكرخا » الذي يمر بالقرب من سوسة ، كما ان هذا السهل كان اقدم الاجزاء التي استوطنها الانسان وظهرت فيه اقدم ادوار حضارية منذ عصور ما قبل التأريخ ، كما سنبين ذلك ما بعد .

ومن السهول المشهورة في بلاد ايران السهل المحاذي للجبال المتأخمة لبحر قزوين التي مر ذكرها ، وتتميز هذه الجبال باجتذابها للرياح الممطرة الى هذا السهل فاكتسب خصبا وغزارة في انتاجه الزراعي بالاضافة الى كثرة احراشه وغاباته . اما السهول الاخرى فهي ليست على هذه الدرجة من الخصب ووفرة المياه بحيث لا يمكن زرعها الا بالارواء الاصطناعي الذي مورس في بلاد ايران منذ ابعد عصور التاريخ ، واتسع في العهد الاخميني حيث اقيمت شبكة واسعة من القنوات والكهاريز تحت الارض ، بطريقة بزل المياه وجذبها من سفوح الجبال وتجميعها في حفر عميقة تجري فيها المياه الى المواضع البعيدة فترويها .

ومع ان بلاد ايران ، كما رأينا ، محاطة بالجبال بيد انها مفتوحة من جهاتها الاربع بواسطة طرق ومسالك جبلية ، بعضها يذهب الى سهول ما بين النهرين ، وبعضها الى خليج العرب والى الهند وروسية كما تمر منها منذ اقدم الازمان طرق مواصلات عالمية تربط الشرق بالغرب واشهرها طريق تجارة الحرير الشهير الذي كان ايضاً طريق الفتوحات والغزو . ومن الناحية الحضارية تقع بلاد ايران ما بين مركزين حضاريين مهمين هما بلاد ما بين النهرين ووادي نهر السند .

وتعتمد بلاد ايران في اقتصادها على الزراعة بالدرجة الاولى وفيها انواع كثيرة من الحيوانات وتنبت فيها اصناف كثيرة من الاشجار المثمرة . وفيها حبوب برية كالقمح والشعير وغيرها من الغلاف التي دجنها انسان ما قبل التاريخ الامر الذي مكن ظهور انقلاب العصر الحجري الحديث الاقتصادي بتعلم الانسان الزراعة وتدجين الحيوان مما سيأتي ذكره . وبلاد ايران غنية بانواع الاحجار الجيدة الصالحة للبناء والنحت مثل المرمر والرخام ، وطائفة من الاحجار الكريمة مثل حجر اللازورد

(Lapislazuli) والفيروز والزبرجد (Turqoise) وقد استعمل الانسان مثل هذه الأحجار للحلي منذ اقدم الازمان . وكانت بلاد ايران مصدرا مهما للملوك وادي الرافدين وحكامها لجلب هذه الاحجار منها ، وبدأت الاتصالات منذ ابعد العصور فتأثرت بحضارة وادي الرافدين منذ عصور ما قبل التاريخ ، كما اثرت ايران فيها . وتوجد في ايران خامات المعادن الضرورية مثل النحاس والحديد والقصدير والرصاص .

وتتكون سفوح جبال زجروس ومنحدراتها من حجارة الكلس التي تحتوي طبقاتها على النفط الذي عرفه الانسان منذ اقدم الازمان لكن ظاهرة الجفاف النسبي في ايران وضيق الاراضي الزراعية الممكن اروائها بالانهار منع امكان قيام وحدات اقتصادية كبرى . وكان يتحتم على الفلاحين ان يكونوا دائمي التنقل من السهول والوديان الى الجبال وبالعكس للمحافظة على ماشيتهم ، ولهذه الاسباب وغيرها تأخر ظهور الدول الكبرى في بلاد ايران بخلاف وادي الرافدين . ويستثنى من ذلك الجزء منها المسمى بلاد عيلام التي مر ذكرها والتي تأثرت بالعراق القديم بسبب قربها واتصالاتها الكثيرة .

لقد استوطن بلاد ايران عدة اقوام قبل مجيء الايرانيين (الآريين) اليها في مطلع الألف الأول ق . م ممن سيأتي ذكرهم في مواضع اخرى من الكتاب . ولا يعلم الشيء الكثير عن اصل **الكثير من تلك الاقوام القديمة التي سبقت مجيء الايرانيين مثل العيلاميين ومن يليهم شمالا من الاقوام الجبلية مثل الكشيين الذين اسسوا سلالة حاكمة في بلاد بابل من بعد سلالة بابل الأولى في حدود ١٥٠٠ قدم ، ويليهم اللولوبيون ثم الكوتيون الذين غزوا العراق وقضوا على الدولة الاكدية في اواخر الألف الثالث ق . م) .**

الفصل الثاني

عرض موجز لمستوطنات الانسان في عصور ماقبل التاريخ

المبحث الاول : -

١ - مقدمة في مصادرنا عن تأريخ ايران :

قبل ان نوجز عرض تاريخ ايران في عصور ماقبل التأريخ والعصور التاريخية يستحسن ان نمهد لذلك بذكر مصادرنا الرئيسية في معرفة ادوار التاريخ الايراني المختلفة ، واول مانذكر التنقيبات والتحريات الاثرية التي بدأت في أقطار الشرق الادنى ومنها ايران منذ منتصف القرن الماضي وما زالت مستمرة الى يومنا هذا . وقد اسفرت هذه التحريات عن نتائج مهمة تأتي في مقدمة مصادرنا عن تأريخ بلاد ايران منذ أقدم عصور ما قبل التاريخ الى العهد الساساني بل الى ما بعد هذا العهد اى الى العصر الاسلامي .

وسنشير الى النتائج المهمة لهذه التحريات الاثرية في أثناء كلامنا على ادوار تأريخ ايران .

وبالأضافة الى هذا المصدر المعتمد على نتائج التنقيبات الاثرية يستند المؤرخون لمعرفة تأريخ ايران على مصادر اخرى مهمة ، نشأ الكثير منها من صلات ايران وعلاقاتها التأريخية بالاقوام الاخرى ولا سيما تلك المجاورة لها التي جاء في مدوناتها التأريخية امور كثيرة ومهمة عن احوال ايران ، ويأتي في مقدمة تلك المدونات من حيث القدم والأهمية الاخبار التأريخية الواردة في المصادر المسمارية من حضارة وادي الرافدين منذ أقدم العصور التاريخية في الألف الثالث ق . م ، حيث نشأت علاقات كثيرة منذ مايسمى في تاريخ العراق القديم بعصر السلالات او عصر دول المدن Early Dynastic Period في حدود ٣٠٠٠ - ٢٣٠٠ ق . م) ، وسيشار الى مثل هذه الصلات التأريخية في مواضع اخرى وأستمرت العلاقات بمقياس اوسع في العصور التالية مثل العصر الاكدي (منتصف الالف الثالث ق . م) وسلالة اور الثالثة (اواخر الألف الثالث ق . م) ، ونذكر ايضاً حملات الملوك الآشوريين المتعددة على بلاد ايران ولا سيما بلاد عيلام ، وقد وردت معلومات مهمة عنها في اخبار الملوك الآشوريين ولا سيما في عهد الامبراطورية الآشورية الأخيرة (منذ منتصف القرن التاسع ق . م) ونذكر هنا كذلك ماورد من الاخبار عن بلاد ايران في التوراة ، وأهم من ذلك المصادر اليونانية والرومانية وفي مقدمة ذلك الاخبار الطريفة التي وردت في تأريخ المؤرخ اليوناني المشهور « هيرودتس » (القرن الخامس ق . م) وهو مصدر مهم ومعاصر للاحداث التي نشأت على اثر غزو الملوك الاخمينين لبلاد اليونان والاستيلاء على آسية الصغرى وعلى

بلاد آيونية اليونانية ، وهي الاجزاء الداخلية الغربية من الاناضول · ويحتوي تأريخ هيرودوتس السالف الذكر على مادة مفصلة ومهمة عن تأريخ ايران في العهد الميدي والعهد الاخميني شرطان تطبيق أصول النقد التأريخي عليها وكثرت أخبار المؤرخين اليونان والرومان عن بلاد ايران من بعد فتح الاسكندر الكبير لها (٣٣١ ق · م) ، من امثال زينفون (٤٣٠ – ٣٥٥ ق · م) الذي دون طائفة مهمة عن احوال العراق والامبراطورية الفارسية الاخمينية · وكان زينفون قد التحق في آسية الصغرى (الاناضول) بحملة كورش الاصغر حاكم ولاية ليدية (في آسية الصغرى) وهو أخو الملك الفارسي « أرتحشستا الثاني » (Artaxeres) (٤٠٤ – ٣٥٩ ق · م) الذي ثار عليه أخوه كورش وجرد حملة عسكرية على العراق معظمها من مرتزقة اليونان ، وعرفت بحملة العشرة آلاف اغريقي (٤٠١ ق · م) ومن مشاهير المؤرخين الكلاسيكيين (اليونان والرومان) نذكر المؤرخ (بوليبيوس Polybius) (٢٠٢ – ١٢٠ ق · م) ، وكذلك الجغرافي الشهير « سترابو » (Strabo) (في حدود ٦٤ ق · م – ١٩ م) الذي اشتهر بمؤلفة عن جغرافية العالم وعنوانه « الجغرافيا » (Geographica) ونذكر كذلك الكاتب الروماني « أريان » (Arrian) ٩٥ – ١٧٥ م) الذي دون حروب الاسكندر الكبير وفتوحه في كتابه المعنون حملة الاسكندر (Anabasis of Alexder) · وقد حوت مؤلفات الكتاب الرومان الذين ذكرنا بعضهم اخبارا كثيرة عن بلاد ايران حيث نشأت علاقات كثيرة وحروب عديدة بين السلالة الفرثية التي حكمت ايران في حدود ٢٤٧ ق · م الى ٢٢٦ م) ، واستمرت تلك الحروب ابان الحكم الساساني (٢٢٦ – ٦٥٠ م) ! ومن المصادر المهمة عن تأريخ بلاد ايران ولاسيما في العهد الساساني المذكور اخبار المؤرخين والبلدانيين العرب وهي اخبار موثوق بها ومفصلة الى درجة كبيرة مثل تأريخ المؤرخ المشهور ابو جعفر محمد بن جرير الطبري ٨٣٨ – ٩٢٣ م) وكتابه « اخبار الرسل والملوك » . والمسعودي (٩٥٦ م) وغيرهما من المؤرخين والجغرافيين واخيرا وليس آخرا زودتنا نتائج التنقيبات الاثرية في ايران التي نوهنا بها بالاضافة الى البقايا الاثرية المادية والفنية التي أقتبسه العلاميون والفرس والاخمينيون من حضارة وادي الرافدين

المبحث الثاني : عصور ما قبل التاريخ

اظهرت التحريات الجيولوجية والاثرية التي اجريت حديثا ان هضبة ايران كانت غزيرة الامطار ابان ما يسمى بالعصور الجليدية (Ice ages) في العصور

الحجرية القديمة (في المنتصف الثاني من دهر البلايستوسين الجيولوجي (Pletistocene)
حيث كان يسود فيها عصور ممطرة (Pluvial Periods) في حين كانت
العصور الجليدية تعم الاصقاع الشمالية من الارض • اما في اثناء الفترات الجليدية
(Inter Glaciations) فكان يحل فيها وفي الاجزاء الأخرى
من الشرق الادنى عصور جفاف ونحن نعيش الآن في آخر فترة جليدية حيث
الجفاف هو الظاهرة السائدة في الاجزاء الوسطى والجنوبية من الارض • وكانت الصحراء
الواسعة الملحة (دشتي لوط) التي ذكرناها في كلامنا هـ على جغرافية ايران ابان العصور
الجليدية بحيرة،كبرى او بحرا داخلياً ينصب فيه كثير من الانهار والمجاري من المرتفعات
الجبلية • واخذ المناخ والاحوال الجغرافية بوجه عام بالتبدل منذ قبل نحو ٠٠٠ر١٥
الى ٠٠٠ر١٢ أو (٠٠٠ر١٠ ق ٠ م) حيث حل محل آخر عصر جليدي أي عصر ممطر
في ايران الفترة الجافة الحاضرة من تاريخ الأرض التي صار فيها الجفاف في ايران والاقطار
الأخرى من الشرق الادنى هو الظاهرة العامة • وعاش قبل هذه الفترة انسان العصر الحجري
القديم (Palaeolithic) وقد عثر على بقايا ذلك العصر
من الادوات الحجرية والبقايا العظمية الانسانية والحيوانية في جملة كهوف وملاجئ
جبلية في ايران التجأ اليها الانسان ابان العصر الحجري القديم اتقاء البرد القارص ، وكان
هذا الانسان همجيا يعتمد في حياته على جميع القوت (Food Gathering)
عن طريق التقاط الجذور والنباتات البرية وصيد الحيوانات فلم يعرف بعد انتاج قوته بالزراعة
وتدجين الحيوان كما انه لم يعرف استعمال المعادن • وقد استغرق الحجر القديم الجزء الأكبر
من حياة الانسان على هذه الارض ويقدر بنحو ٩٨ / من حياته على الارض •

وتذكر من بين الكهوف والملاجئ التي عاش فيها انسان العصر الحجري
القديم في ايران مما اجريت فيها التحريات الاثرية الكهف المسمى « تنكي ببدا »
(Tangi Pabda) الواقع في جبال « بختياري » الى الشمال الشرقي
من « شسشتر » وكان اول كهف اكتشف في عام ١٩٤٩ و عثر فيه على بقايا انسان العصر الحجري
القديم الذي عاش قبل نحو ٠٠٠ر١٠٠ عام •

ويتميز العصر الحجري القديم فى ايران كما في المناطق الأخرى من الأرض بأنه مرّ
بعدة اطوار او ادوار يتميز كل منها عن الآخر بانواع الادوات الحجرية وطراز صناعتها واختلاف
اشكالها وبالفصائل البشريه البائدة التي عاشت فيها.ولما أخذ الجفاف يعم في نهاية العصر
القديم من بعد العصور الممطرة كما نوهنا تأثرت حياة الانسان تأثرا كبيرا بذلك التبدل
المناخي ولا سيما في تبديله لاماكن استيطانه ، حيث بدأ ينتقل من سفوح الجبال الى الوديان

والسهول الخصبة ، وهنا تم انقـــلاب العصر الحجـــري الحديث الذي سنوجزه فيما يلي .

انقلاب العصر الحجرى الحديث

كانت الاحوال المناخية كما بينا ملائمة لذلك الانقلاب الذي حدث فيما يسمى بالعصر الحجرى الحديث وهو الانقلاب الاقتصادي الكبير الذي بدل حياة الانسان تبديلا جوهريا ، اذ تعلم الزراعة وتدجين الحيوان قبل نحو ٨٠٠٠ أو ١٠٠٠٠ عام ، وهو التبدل الذي مهد لظهور الحضارة والمدنية ونقل الانسان من حياة الهمجية وحياة جمع القوت Food Gathering التي سادت وسائل عيش الانسان في العصور الحجرية القديمة التي قلنا انها استغرقت القسم الاكبر من حياة الانسان على هذه الارض . فنقل ذلك الانقلاب الاقتصادي الجديد عيش الانسان الى طور انتاج القوت بيده ومهد له الحياة المستقرة وظهور اولى القرى الفلاحية وتشييد بيوت السكن من الطين ثم من اللبن (الآجر المجفف بالشمس) .

وقد اسفرت التحريات الاثرية الحديثة في ايران الكشف عن مستوطنات الانسان من هذا العصر الحجري الحديث ، اشهرها الموقع الاثري المسمى « تبة سيالك » الواقع بالقرب من كاشان الى الجنوب من طهران (١) وهو موضع مهم ظل يستوطنه الانسان منذ العصر الحجري الحديث الذي تمثله البقايا الاثرية في طبقاته السفلى فوق مايسمى في التنقيبات الاثرية بالأرض البكر اى الأرض الخلاء التي لا تحتوي على بقايا من سكنى الانسان ، ثم يلي الطبقات الممثلة لدور العصر الحجري الحديث وهو الدور الأول من تبة سيالك بقايا بقايا الادوار الحضارية التي اعقبت العصر الحجري الحديث والتي اطلق عليها الباحثون الآثاريون في اقطار الشرق الادنى مصطلح العصور الحجرية المعدنية (Chalcolithic) .

وقد عثر من مخلفات العصر الحجري الحديث على بقايا بيوت الطين التي اتخذها الانسان للسكن وبقايا عظام الحيوانات التي دجنها انسان ذلك العصر مثل الغنم والظأن والبقر ، كما عثر على نوع من الاواني الفخارية المصنوعة باليد ، وبعضها ملون باللون الاحمر مع بقع سوداء ، ثم تعلم الانسان من بعد ذلك صنع الفخار الملون المنتظم في العصر الحجري المعدني الذي اشرنا اليه وعثر على اقراص مغازل من الطين المفخور وبعضها من الحجارة وهي تشير الى معرفة بدائية بالغزل والنسيج . وقد صنع الانسان معظم ادواته وآلاته من الحجارة مثل نصال السكاكين والمناجل والفؤس المصقولة والمقاشط وبعد زمن منذ نهاية العصر الحجري الحديث عرف الأنسان

(١) قسمت الطبقات الاثرية التي سجلها المنقبون في تبه سيالك الى خمسة ادوار حضارية ، وقد قلنا ان الدور الاول يمثل حضارة العصر الحجري الحديث ، ثم تمثل الادوار الاربعة التالية طور العصر الحجري المعوني ، وقد اظهرت الدراسات المقارنة ان هذه الاطوار تضاهي ادوار هذا العصر في وادي الرافدين ، فدور تبه سيالك الثاني هو دور حلف والعبيد في وادي الرافدين ، ثم ادوار الوركاء وجمدة نصر الممثلة في تبه سيالك بالدور

استعمال المعادن معرفة بدائية .

وترينا الطبقات الاثرية التي سجلت في ثبه سيالك تدرج تقدم الانسان في تطوره الحضاري من العصر الحجري الحديث الى ادوار العصر الحجري المعدني التالي حيث تقدم في صنع الادوات وتعلم استعمال المعادن كما نوهنا ، واتقن فن تشييد بيوت السكن واتسعت القرى الفلاحية البسيطة التي ظهرت في العصر الحجري الحديث السابق ، كما تفنن الانسان في صنع الاواني الفخارية وتزويقها وتلوينها . وعثر بالاضافة الى ثبة سيالك السالف الذكر على بقايا ادوار العصر الحجري المعدني في مواضع اخرى من ايران اشهرها الطبقات السفلى من موضع مدينة « سوسة » الشهيرة (عاصمة بلاد عيلام) ، كما عثر على اثار مهمة وممثلة لعصور ما قبل التاريخ الايراني في الموضع المسمى تبه كيان » بالقرب من نهاوند (جنوب همدان) وفي « تبة حصار » بالقرب من دمغان ، وعدة مواقع اخرى في « لورستان » وفي الموضع الاثرى الشهير « بوسيوليس » بالقرب من « اصطخر » وهي عاصمة الدولة الفارسية الاخمينية .

بداية العصور الشبيهة بالتأريخية :- مصطلح الدور الشبيه بالتاريخي Proto Historic أو الشبيه بالتدويني (Proto literate) اطلقه الباحثون في تاريخ الشرق الادنى القديم حديثا ولا سيما على تلك الاطوار في حضارة وادي الرافدين التي ظهرت فيها اولى طلائع للتدوين بنوع من الكتابة الصورية (Pictographic) وخصص لهذا الدور في تأريخ العراق القديم الطبقة الرابعة من الوركاء وطور جمدة نصر . وظهرت في بلاد ايران اطوار مضاهية في طبقات أثرية في سوسة وهي الطبقات التي اختفت منها انواع الفخار الملون الشبيه بفخار دور العبيد في حضارة وادي الرافدين وحل محله نوع جديد من الفخار ذو لون واحد (احادى اللون Monochromme) وزمنه النصف الثاني من الألف الرابع ق . م ، ويمثله الدور الخامس في الموضع « تبه سيالك » الذى اشرنا اليه ويضاهي هذا الفخار الجديد الاحادى اللون الفخار الذى ظهر في حضارة وادي الرافدين في طور الوركاء الرابع ، وهو الدور الذي قلنا انه اصطلح عليه مع دور جمدة نصر التالي مصطلح العصر الشبيه بألتاريخي فقد ظهرت الكتابة فيه لأول مرة ، وكانت اوائل واصل الكتابة المسمارية في بلاد وادى الرافدين ، اما في بلاد ايران فانه بعد فترة غير طويلة وعلى وجه التحديد في عصر جمدة نصر الذي اعقب دور الوركاء ظهر في بلاد عيلام التي سنوجز تأريخها خط صورى مشابه للخط الصورى المسماري الذى ظهر في العراق قبل ذلك في دور الوركاء وكان حافزا لظهوره وقد اطلق عليه الباحثون مصطلح الخط العيلامي الصورى او القديم (Proto Elamite) وسيأتي الكلام على هذا الخط في

الفصل الثالث

المبحث الاول : تاريخ بـلاد عيـلام

الموقع الجغرافي والتسمية :

سبق ان حددنا اقليم بلاد عيلام بانه مؤلف بالدرجة الاولى من السهول الجنوبية والجنوبية الشرقيه من بلاد ايران ويمثله الآن اقليم خوزستان او الاحواز او عربستان ومنه منطقة عبادان الان الى شرق وادي دجلة الاسفل واشتهرت بلاد عيلام بعاصمتها القديمة « سوسة » الواقعة بالقرب من دزفول ولذلـك عـرف الاقليم ايضاً باسم بلاد السوس كما جـاء في المصادر الكلاسيكيـة (اليونانية – الرونية) « سوسياتة » . .

(وتعد بلاد عيلام كما نوهنا سابقا من الناحيتين الجغرافية والحضاريـة جزا من بلاد وادي الرافديـن ، فانها لاتبعد في الواقـع عن بلاد سـومر (السهل الرسـوبي في العراق) اكثر من مائة ميل ، وكثيرا ما صارت بـلاد عيلام ولاية تابعة الى الدول المعظمة التي قامت في العـراق القديم)، كما انها غزت العراق اكثر من مـرة في ازمـان الضعف السياسي في وادي الرافدين ، وكانت بلاد عيـلام على اهمية كبرى من ناحية الاتصالات الحضاريـة بين الشعوب القديمـة ، فكانت مثلا واسطة للاتصالات مابين حضارة وادي الرافديـن وبين اجزاء بلاد ايـران المختلفة وبين الهنـــد والتركستان وحتـــى بعض اجـــزاء الشرق الاقصـــى

(وقد اطلق السـومريون في وادى الرافديـن على اقليـم عيلام أسم « نـم » (NIM) الذي يعني في اللغة السـومرية « الارض المرتفعة » او « النجـد » وسماه الاكديون (الساميون) باسـم « ايلامتو» (عيلامتو) ولا يعلـم بوجـه التاكيد صلة هاتيـن التسميتين أحداهما بالاخرى ، وايهما أصل للاخرى . ولعل التسمية الاكدية تصحيف عن الكلمة السومرية « نـــم » أو « انم » (ENIM) ذكر اسم الاقليم في التوراة بكلمة مضاهية على هيئته « عيلام » وان « عيـلام » بحسـب التوراة كان الابن البكر لسـام بن نـوح (سفر التكوين : ٢٢) وانه كان ابا العيلاميين والفرسـ (كـذا) (سـفر عزرا ٤ : ٩) .(على ان العيلاميين سـموا انفسهم وبلادهـم باسـم يختلف عن ذلك) فقد جاء في اللغـة العيلاميـة المدونـة بالخط المسماري بهيئة « خاورتي » او « خافرتي » (KHAWIRTI) على انه يجوز قراءة المقطع الأوسط بهيئـة « تام » (TAM) فتكون التسـمية المحتملة « خاتمتي » وذكر اقليـم عيلام في المصادر الفارسـية المتأخرة بهيئة « اوفاجا » (UVAJA) و « هوفاجا » (HUVAJA) ، ومنها المصطلح الوارد في المصادر العربيـة بهيئـة « خـوز » و « خـوزى » و حويزة » و « خوزستان » اما اليونـــان فسموا بلاد عيلام والعيلاميـــن

عاصمتهم التاريخية « سوسة » فاطلقوا على القطر « سوسيانا » كما قلنا . وذكرت المصادر القديمة المسمارية وغيرها قسما مهما من بلاد عيلام باسم « أنشان » (Anshan)

و « انزان » (Anzan) وقد اطلق هذا القسم في حالات كثيرة على جميع بلاد عيلام ، وجاء ذكره في اخبار ملوك سلالة اور الثالثة السومرية وغيرهم .

اما العيلاميون اى القوم الذين استوطنوا البلاد التي سميناها بلاد عيلام فلانعرف اشياء موكدة عن اصلهم ، وجل مايمكن قوله بهذا الصدد ان العيلاميين لم يكونوا من الاقوام الايرانية التي هاجرت الى بلاد ايران في مطلع الألف الأول ق . م ، ومنهم الميديون والفرس الذين سنوجز تأريخهم ، فيكون العيلاميون قد سبقوا مجيئ اولئك الايرانيين بما لا يقل عن الفي عام ، ولعل اصلهم من المنطقة الجبلية في جبال زجروس وهي المنطقة التي تتاخم سهول عيلام في الشمال والشرق وكذلك سهول وادى الرافدين ، ويرجع الى هذه المنطقة اصل أقوام أخرى يرجح ان يكونوا اقرباء العيلاميين وهم الكشيون واللولوبو (منطقة شهرزور) والكوتيون (اقليم الزاب الاسفل) ، ومن الباحثين من يرجح اصل اللغة الكيشية الى اللغة العيلامية ، ويجعلونهما من عائلة لغوية قديمة منقرضة كان اصلها في جنوبي القوقاز .

وظلت اللغة العيلامية مزدهرة في الاستعمال زهاء اربعة آلاف عام ، وأقدم ما دون بها يرجع الى حدود بداية الالف الثالث ق . م . ومما يجدر ذكره بهذا الصدد ان الجغرافي العربي الاصطخرى (منتصف القرن العاشر الميلادى) يروى ان اهل خوزستان (وهي بلاد عيلام كما بينا) كانوا يتكلمون في زمنه باللسان « الخوزى » الى جانب اللسان الفارسي . وقد سبق ان نوهنا ان مصطلح اللغة الخوزية استعمل في زمن الفرس الاخمينيين لا طلاقة على اللغة العيلامية وقد حلت رموز اللغة العيلامية بخطها المسماري المقتبس من حضارة وادي الرافدين في النقوش الكتابية التي دون بها الملك الفارسي دارا الاول (٥٢٢ - ٤٨٦ ق . م) اعماله في وجه الجبل الشاهق في بهستون وقد دونت في ثلاث لغات هي البابلية والعيلامية والفارسية الاخمينية ، وقد دونت اللغتان الاخيرتان بخط مسماري مقتبس من الخط المسمارى في حضارة وادي الرافدين كما قلنا ، وكانت هذه النقوش التي تدون نصاً تاريخياً واحدا مفتاح حل رموز الخط المسماري الخاص بحضارة وادى الرافدين على ماهو معروف في تاريخ العراق القديم .

ولعل ابرز تأثيرات يحدها الباحث من حضارة وادى الرافدين في ايران بوجه عام وبلاد عيلام بوجه خاص ان العيلاميين تأثروا بالخط الصوري الذي ظهر في العراق في عصر الوركاء (الطبقة الرابعة) واوجدوا لهم خطا صوريا ضاهيا في العصر التالي لعصر الوركاء ، وهو دور جمدة نصر (في حدود ٣٠٠٠ ق . م)

وقد سبق ان اشرنا الى هذا الخط بمصطلح الخط العيلامي القديم (Proto Elamite) وقد جاء منه عدة مئات من الواح الطين وجدت في مدينة سوسة وظل في الاستعمار والتطور الى العصر الاكدى (منتصف الألف الثالث ق ٠ م) ولكن لم تحل رموز هذا الخط الصورى العيلامي القديم ، كما ان العيلاميين نبذوا استعماله في منتصف الألف الثالث ق ٠ م ، واوجدوا بدلا منه خطا مسمارية مشتقا من الخط المسماري العراقي حيث حوروا علامات مسمارية لتلائم اصوات لغتهم واختصروا في عدد العلامات المستعملة بحيث لم تتعد زهاء (١٣١) علامة مقطعية (اى علامات تستعمل اصواتا على هيئة مقاطع Syllables) ثم زهاء (٢٥) علامة رمزية اى ان كلا منها تقوم مقام كلمة ثم (٧) علامة دالة ، واختزلوا في عدد العلامات الصوتية المقطعية مرة اخرى في زمن لاحق فجعلوا قوامها زهاء ١١٣ علامة (١) .

خلاصة تاريخ عيلام

بدأت امارات الحياة السياسية في بلاد عيلام فظهر في الثلث الاول من الالف الثالث ق . م ، بعض السلالات الحاكمة ، كما ان عيلام اخذت منذ هذا العهد تزودنا بشيئ من مصادرها الوطنية عن تأريخها ، على ان مصادرنا المهمة عن ذلك تستند بالدرجة الاولى على المدونات التاريخية التي جاءت الينا من حضارة وادي الرافدين حيث بدأت العلاقات التاريخية منذ العصر الذي سميناه في تاريخ العراق بعصر السلالات ولا سيما عصر السلالات الثالث (في حدود ٢٥٠٠ – ٢٤٠٠ ق . م). وقد وجد نقش كتابي باللغة السومرية في منطقة ميناء بوشير وهي تعود الى احد الامراء العيلاميين الذين اسسوا سلالة حاكمة حكمت منطقة واسعة وبضمنها منطقة خليج بوشير . وتشير حقيقة كون تلك الوثيقة قد دونت بالخط المسماري وباللغة السومرية الى ما سبق ان نوهنا به مرارا من التأثيرات الحضارية الكثيرة في بلاد عيلام وايران من حضارة وادي الرافدين . وبالاضافة الى هذه الوثيقة وردت اشارات مهمة في كتابات الحكام السومريين من عصر السلالات الثالث ولا سيما حكام سلالة لجش ومعظمها يشير الى غزوهم بلاد عيلام ، فقد ذكر مثلا حاكم لجش المسمى « ايانا تم » (Eannatum) بانه غزا بلاد عيلام « الجبل الكثير الاشجار » . ومما لا شك فيه ان غزوات مماثلة قام بها العيلاميون لبلاد سومر ابان فترات الضعف ولكن لا نتوقع ان نجد لها ذكرا صريحا في اخبار الحكام السومريين باستثناء اشارة واحدة من اواخر عصر السلالات ذكر فيها العيلاميون بأنهم « نهبوا لجش » .

---

(١) Gelb, A. Study of Writing.

وتثبتت السيطرة السياسية لبلاد وادي الرافدين على عيلام على هيئة ضم منتظم في العصر الذى يعرف في تأريخ العراق القديم باسم العهد الاكدى (٢٣٣٤ -- ٢١٥٤ ق ٠ م) ، حيث ظهر في تأريخ العراق سلالة سامية حاكمة أسسها الملك الشهير سرجون الاكدى (٢٣٣٤ - ٢٢٧٩ ق ٠ م) الذى قضى على آخر حكام عصر السلالات او عصر دول المدن السومرى المسمى « لوكال زاجيزى » ووحد البلاد في مملكة كبرى ضمت اجزاء العراق المختلفة وامتدت بالفتوح الاجنبية الى امبراطورية شملت اجزاء مهمة من بلاد الشام والاناضول ودخلت بلاد عيلام موضوع بحثنا ضمن ولاياتها التابعة حين عين سرجون حاكما تابعا له وظلت كذلك في عهد ابنه وخلفته « مانشتوسو » الذي قام بحملة حربية بحرية - برية اجتاز بها الخليج العربي ليسيطر على الطرق التجارية التي كانت تجلب بواسطتها المواد الخام كالاخشاب والاحجار من الجبال الايرانية وجاء في احد نصوصه التاريخية ان « مانشتوسو ٠ ٠ بعد ان اخضع « أنشان » و « شريختم » (كلاهما في بلاد عيلام) عبر البحر الاسفل في سفن فحارب ٣٢ ملكا من ملوك المدن الواقعة في الجانب الآخر من ذلك البحر واخضعهم واستولى على اقاليمهم وبلغ مناجم الفضة والجبال الواقعة فيما وراء البحر الاسفل وجلب الاحجار الجيدة منها ، ونحت تمثالا وقدمه الى الاله « انليل » ٠

ويبدو ان حكم الملك الاكدى مانشتوسو انتهى بقتله في مؤامرة داخلية وخلفه في حكم الامبراطورية الاكدية ابنه نرام - سين » (٢٢٩١-٢٢٥٥ ق ٠ م) اما بلاد عيلام فانها ثارت على السلطة الاكدية في اثناء ثورة كبيرة امتدت من عيلام الى الزاب ولكن نرام - سين اخضعها بقوة وقسوة ، فلم تتمتع بلاد عيلام باستقلالها امدا طويلا حيث ضمت الى حكم نرام - سين الذى عين في العاصمة « سوسة » حاكما تابعا يمثله وقد شيد هذا الحاكم مبان عامة مهمة في سوسة تخليدا السيده وبالاضافة الى ذلك التسلط السياسي الاكدي طغت الثقافة الاكدية ومنها اللغة الاكدية على بلاد عيلام حيث حلت محل اللغة الوطنية العيلامية ٠٠ ووجد في سوسة جملة مآثر بنائية مهمة تدل على تبعية حكام بلاد عيلام الى الدولة الاكدية ومن بين ذلك الآجر المختوم بالخط المسماري واللغة الاكدية باسم نرام - سين مع اسماء بعض الحكام العيلاميين التابعين ٠ وتشير ماجريات الاحوال الى ان العيلاميين ركنوا الى سياسة صائبة ازاء فاتحيهم فابدوا الخضوع والرضوخ فحصلوا على رضا فاتحيهم وسلموا من التدمير والتخريب ، بحيث ان « نرام - سين » لم يخش ان يعين على بلاد

عيلام واليا منهم خلفا للحاكم الاكدى الذى عينه من قبل • وقد انتهز هذا الحاكم العيلامي واسمه « بوزر - انشوشناك » ثقة سيده نرام - سين ورضاه وشرع ببذر بذور الحركة القومية واستطاع ان يكتب النصوص الرسمية باللغة العيلامية والخط المسمارى العيلامي الى جانب اللغة الاكدية الرسمية ، واشتهر بنشاطه في الاعمال العمرانية في مدينة « سوسة » واستطاع ان يغزو جملة اقاليم في الجهات الشمالية من بلاد عيلام حتى وصل الى منطقة الكوتيين (في الاقليم الجبلي شرق الزاب الاسفل) وكان يتظاهر في هذه الفتوحات بأنها كانت لحماية بلاد عيلام التابعة الى الدولة الاكدية ولما انتهى حكم الملك « نرام - سين » ، وهو اقوى ملوك السلالة الاكدية ، انفصل ذلك الحاكم العيلامي القوى في عهد خليفة « نرام - سين » المسمى « شاركا لي شرى » واعلن استقلال بلاده ، ولم يكتف بذلك بل تشير الاخبار القليلة الى انه غزا بلاد بلاد بابل نفسها في عهد الضعف والاضطراب اللذين حلا فيها ، وقد بلغ في تقدمه الى مدينة « أكد » نفسها ، وقد عانى خلفاء نرام - سين في رده على اعقابه وطرده •

المبحث الثاني : -- / اللولوبو والكوتيون

لم يدم الازدهار السياسي الذى حققه بوزر - انشوشناك » أمداً طويلا فقد تعرضت بلاد عيلام وبلاد بابل معها الى اخطار خارجية من الاقوام الجبلية المجاورة وقد ورد ذكر هؤلاء الاقوام في مصادر حضارة وادى الرافدين باسم « لولوبو » ثم اعقبهم الكوتيون وقد سبق لهؤلاء الاقوام ابان السلالة الاكديه ان تحرشوا بالاكديين الذين صدوهم وحطموهم ، ولا سيما نرام -- سين (١) ولكن استطاع الكوتيون من بعد اللولوبو القضاء على السلالة الاكدية على ماهو معروف في تاريخ العراق القديم •

(استوطن اللولوبو الاقليم الواقع بالقرب من الطريق التجاري التأريخي المؤدي من بغداد الى كرمنشاه ثم الى همدان وطهران اي الطرق التجارية المهمة الواصلة ما بين وادى الرافدين وايران فكان اولئك الاقوام الجبلية يسيطرون بحكم موقعهم على طرق القوافل التجارية المهمة • ومع انهم كانوا اعداء بلاد بابل الطبيعين بيد انهم كانوا واسطة مهمة في تزويد بلاد بابل بالمواد والبضائع المهمة • وقد تأثر حكام اللولوبو وامراؤهم بحضارة وادى الرافدين واساليب الحكم الاكدى وقلدوا ملوك الاكديين في اقامة انصاب لتخليدهم)

فقد خلف احد ملوك اللولوبو المسمى « تار - لوني » نصبا في وجه الجبل في المنطقة المسماة « سرى بولي.زهاب » في هورين شيخان وهي تضاهي منحوتات نرام - سين وفيها كتابة

(١) وقد خلد نرام - سين انتصاره الساحق على اللولوبو والكوتيين في نحت جبلي شهير في المجاز الجبلي في جبال قرده داغ والمعروف باسم « دربندي كاوور » .

مشوهة بالخط المسماری واللغة الاكديـه فيها اسم الملك الذی ذكرنـاه ای « تاز - لوني ،
حلف صح ملك آخر من ملوك اللولوبو رواسمه « آنو - بانيني » منحوته جبلية اهم من الاولى
تقرب من قرية « سری - بول » ، وفيها كتابـة باللغـة الاكديه والخط المسماری باسـم هذا
لك و تتألف المنحوتة من حقلين يرى في الحقل الاعلى الملك « آنو - بانيني » ملك اللولوبـو
نو يدوس بقدمه على احد الاعداء ويتسلح الملك بقوس وسيف ويقف قدام الآلهة « نينـي ،
نانا - عشتار ، الهة الحرب البابلية) وقد مثلت و هي مادة احدى ايديها
لى الملك وتمسك باليد الاخرى عدوين مربوطين بالحبل . هذا ن النصبان من بين أهم الآثار
ي بلاد ايران من هذا العهد من تاريخها وهو عهد قديم ومظلم لم يأتنا منه آثار مهمـة ،
ستدل من هاتين المنحوبتين على اشياء مهمـة عن الاحوال الثقافية لاقوام ايران القديمة ،
ن ذلك انهم لم يكن عندهم وسيلة للتدوين بل اقتبسوا الخط المسماري وحتى اللغة الاكدية
تدوين مآثرهم ، كمااتخذوا عبادة كثير من الآلهة البابليـة القديمـة وكل ذلك يشير الى مدى
تغلغل التأثيرات الحضارية من وادي الرافدين في هذه المناطق الجبلية من بلاد ايران ، وقد سبق
أن رأينا التأثيرات الحضاريـة الواسعة في بلاد عيلام نفسها . وقد تركت هذه المنحوتات آثارا
راثا بعيدا لدى الاجيال الآتية في بلاد ايران فقد حذا حذوهما غير واحد من حكامها وملوكها لما
خذوا اساليـب النحـت الاكديـة .

اما الكوتيون الذين قضوا علي السلالة الاكدية فقد استوطنوا في الجهات الجبلية الى
شرق من الزاب الاسفل ، وتشير ماجويات الاحداث الى ان هؤلاء الكوتين بسطوا سلطتهـم على
لاد عيلام من بعد قضائهـم على الحكـم الاكـدى .

وبعد طرد الكوتيين من قبل الامير السومري « اوتو - حيكال ، حاكم الوركاء قامـت
ني العراق سلالة اور الثالثة السومرية (٢١١٢ - ٢٠٠٤ ق ٠م) وأنشـأت امبراطورية واسعة
حل ضمنها معظم اجزاء الشـرق الادنى ومن بين ذلك بلاد ايران وبلاد عيلام وظلت كذلك
ء القرن الواحد وهي مدة هذه السلالة في الوجود ، حتى قضت عليها جموع الاقوام السامية
رنية التي سماها العراقيون القدمـاء باسم الاموريين (وبالسومرية مارتو) الذين اندفعوا بموجات
برى من القبائل من بوادى بلاد الشام وتأسست على انقاض سلالة اور الثالثـة عدة سلالات
العراق اشهرها سلالتان ايسن ولارسائم سلالة بابل الأول التي اشتهرت بملكها السادس ،
مورابـي (١٧٩٢ - ١٧٥٠ ق ٠ م) وانتهز الامـراء العيلاميون فرصة الفوضى والاضطرابات
سياسية في بلاد بابل فاستقلوا وتدخلوا في شؤونها حتى انهم اسهموا في سقوط سلالة اور
لثة وتأسيس سلالة « لارسة » وظهرت في هذه الاحداث سلالـــــة ايرانيـــــة
المملكة المسماة مملكـة « سماشـن » ولعل اصلها من المنطقة الجبلية الى الغرب من

مشوهة بالخط المسماري واللغة الاكديه فيها اسم الملك الذى ذكرناه اى « تار - لوني »
خلف صح ملك آخر من ملوك اللولوبو رواسمه « آنو - بانيني » منحوته جبلية اهم من الاولى
تقرب من قرية « سرى - بول » ، وفيها كتابة باللغة الاكديه والخط المسمارى باسم هذا
لك وتتألف المنحوتة من حقلين يرى في الحقل الاعلى الملك « آنو - بانيني » ملك اللولوبو
نو يدوس بقدمه على احد الاعداء ويتسلح الملك بقوس وسيف ويقف قدام الآلهة « نيني »
نانا - عشتار ، الهة الحرب البابلية) وقد مثلت وهي مادة احدى ايديها
لى الملك وتمسك باليد الاخرى عدوين مربوطين بالحبل . هذا ن النصبان من بين أهم الآثار
ي بلاد ايران من هذا العهد من تاريخها وهو عهد قديم ومظلم لم يأتنا منه آثار مهمة ،
ستدل من هاتين المنحوتين على اشياء مهمة عن الاحوال الثقافية لاقوام ايران القديمة ،
ن ذلك انهم لم يكن عندهم وسيلة للتدوين بل اقتبسوا الخط المسماري وحتى اللغة الاكدية
تدوين مآثرهم ، كمااتخذوا عبادة كثير من الآلهة البابلية القديمة وكل ذلك يشير الى مدى
تغلغل التأثيرات الحضارية من وادي الرافدين في هذه المناطق الجبلية من بلاد ايران ، وقد سبق
أن رأينا التأثيرات الحضارية الواسعة في بلاد عيلام نفسها . وقد تركت هذه المنحوتات آثارا
راثا بعيدا لدى الاجيال الآتية في بلاد ايران فقد حدا حذوهما غير واحد من حكامها وملوكها لما
خذوا اساليب النحت الاكدية .

اما الكوتيون الذين قضوا علي السلالة الاكدية فقد استوطنوا في الجهات الجبلية الى
شرق من الزاب الاسفل ، وتشير ماجويات الاحداث الى ان هؤلاء الكوتين بسطوا سلطتهم على
لاد عيلام من بعد قضائهم على الحكم الاكدى .

وبعد طرد الكوتيين من قبل الامير السومري « اوتو - حيكال ، حاكم الوركاء قامت
ي العراق سلالة اور الثالثة السومرية (٢١١٢ - ٢٠٠٤ ق . م) وأنشأت امبراطورية واسعة
خل ضمنها معظم اجزاء الشرق الادنى ومن بين ذلك بلاد ايران وبلاد عيلام وظلت كذلك
اء القرن الواحد وهي مدة هذه السلالة في الوجود ، حتى قضت عليها جموع الاقوام السامية
ربية التي سماها العراقيون القدماء باسم الاموريين (وبالسومرية مارتو) الذين اندفعوا بموجات
برى من القبائل من بوادى بلاد الشام وتأسست على انقاض سلالة اور الثالثة عدة سلالات
العراق اشهرها سلالتان ايسن ولارسائم سلالة بابل الأول التي اشتهرت بملكها السادس ،
مورابي (١٧٩٢ - ١٧٥٠ ق . م) وانتهز الامراء العيلاميون فرصة الفوضى والاضطرابات
سياسية في بلاد بابل فاستقلوا وتدخلوا في شؤونها حتى انهم اسهموا في سقوط سلالة اور
ثالثة وتأسيس سلالة « لارسة » وظهرت في هذه الاحداث سلالة ايرانية
المملكة المسماة مملكة « سماش » ولعل اصلها من المنطقة الجبلية الى الغرب من

اصفهان ، وبسطت هذه السلاله سلطتها على سوسة وبلاد عيلام ، ولكن بعد ان توطدت سلطة السلالات الحاكمة في بلاد ولا سيما سلالة « ايسن » استطـــــــاع البابليـــون تصفية نفوذ سلالة « شماس » السابقة الذكر فانتزعت عيلام منها ، وقد بسط حمورابي سلطته على بلاد عيلام ، ولكن قامت فيها من بعده سلالة وطنية مستقلة وقـــــــد ازدهرت في حياتها السياسية واعتاد ملوك هذه السلالة ان يلقبوا انفسهم ملك عيلام او الشان وملـــــك سوسة ، واستمرت عيلام في التمتع باستقلالها ابان العهد الكشي في العراق (عهد سلالة بابل الثالثة التي اعقبت سلالة بابل الاولى اى سلالة حمورابي) . ولكن الثقافة البابالية كانت هي المسيطرة فقد استعملوا اللغة الاكدية والخط المسماري لكتابة الوثائق المهمة الى جانب لغتهم الوطنية ، وعمت في عهد هذه السلالة عبادة بعض الآلهة العيلامية مثل الآلهة « شالا » وزوجها الاله « انشوشناك » وكانت عبادتهما اعـم من عبادة الآلهة الوطنية . واستمرت بلاد عيلام في استقلالها وازدهارها ابان العهد الكشي في العراق .

وقامت في مطلع القرن الثالث عشر ق . م سلالة جديدة من الحكام بلغت بلاد عيلام في عهدها ازدهارا كبيرا وكان مؤسسها الملك المسمى « اونتاش – خوبان (اونتش كال) وقد تميز هذا العاهل بنشاطه الواسع في البناء والتعمير حيث أسس عدة مدن جديدة واعاد بناء بناء المدن القديمة ، وازدهر الفن في عهد هذه السلالة ولا سيما الفنون المعدنية ، كما يستدل على ذلك من التمثال المعدني الذى عثر عليه والذى يمثل زوجة الملك « اونتاش – خوبان » المسماة نابواسو (Napirasu) . واعقب الملك اونتاش – خوبان القوى ملوك اقوياء ايضا هم « شوترك نختي » (Shutruk-Nahunte وكوتر – نختي (Kutir-Nahunte) وشلهاك انشوشناك (Shilhak Inshushinak) . وبلغت عيلام درجة من القـــوة بحيث انها استطاعت ان تسجل انتصارا عسكريا على الجيش الآشورى الذى جاء لمساعدة الكيشيين . وبلغت عيلام اوج قوتها في عهد الملك « شوترك نختي الاول » (١٢٠٧ – ١١٧١ ق . م) الذى اشتهر بانه شيد معابد في معظم مدن المملكة . وقداستطاع هذا الملك القوى ان يسبق الآشوريين فيغزوبلاد بابـل ويخلع آخر . ملك من الملوك الكشيين ونصب ابنه بدلا منه وهو « كونر نختي » الذي نقل من بابل تمثال مـــــــــــردوخ ومسلة شريعة حمورابي الشهيرة وبعض الماثر المهمة مثل مسلة النصر لنرام – ســــــن . وقد عثرت عليها بعثة التنقيبات الفرنسية في سوسة ، عاصمة عيلام ، وبلغت عيلام في عهد الملك العيلامي « شنهاك – انشوشناك » (١١٦٥ – ١١٥١ ق . م) اقصى درجة مه

القوة والنفوذ فقد بلغت جيوشها حوض نهر ديالى ومنطقة كركوك حتى مدينة آشور وهيمنت على منطقة الخليج ومرتفعات زجروس ، ودخلت ضمن الدولة العيلامية جميع الاجزاء الغربية من ن • وقد صاحب هذا التوسع العسكري والسياسي انتعاش واحياء للثقافة العيلامية الوطنية . انحصر التدوين تقريباً باللغة العيلامية وبالخط العيلامي القديم ، وتركزت الديانة ى الاله العيلامي القومي « انشوشناك » ،وشمل هذا الاحياء التراثي الفن والعمارة ، غت العاصمة سوسة اوج عظمتها وازدهارها •

على ان هذا الازدهار السياسي والحضاري لم يدم أمدا طويلا فقد حلت في بلاد عيلام رة تدهور ، وقد صادف ذلك انتعاش جديد في بلاد بابل فقد قامت فيها سلالة قوية ب مدينة « ايسن » هي سلالتها الثانية وعدت السلالة البابلية الرابعة التي حكم ها ستة ملوك دام حكمهم زهاء القرن الواحد (١١٦٢ – ١٠٤١ ق • م) ، وقد سايرت لاحوال السائدة هذه السلالة في تعاظمها ولا سيما ضعف الدولة الآشورية والدولة عيلامية ، فطردت الحامية العيلامية وبلغ ملكها الرابع المسمى « نبوخذ نصر » الاول ١١٢٤ – ١١٣١ ق •م) من القوة بحيث انه جهز حملة عسكرية غزا فيها بلاد عيلام ستولى على عاصمتها سوسة وخلف لنا خبر انتصاره منقوشا في حجرة حدود « كدورو » ه ارجع تمثال الاله « مردوخ » ، كبير الهة بابل الذى اخذه الملك العيلامي عند وه لمدينة بابل وقد اسهب في كتابته التأريخية السالفة الذكر في وصف الاحتفال ى اقامه بمناسبة اعادة التمثال الى معبده في مدينة بابل •

واستمر الضعف والتدهور يعمان بلاد عيلام من بعد ذلك زمنا طويلا ، فلم تستعد سابق عهدها من القوة والازدهار ولا حتى استقلالها وتفاقمت الامور اكثر ابان تعاظم ولة الاشورية التي اخذت تسدد ضرباتها المتلاحقة على بلاد عيلام من بعد ان بسطت ذها السياسي على بلاد بابل • وكانت آخر ضربة مميتة وجهت على العيلاميين الملك الاشوري « آشور بانيبال » (٦٦٨ – ٦٢٦ ق . م) اذ على الرغم من ضعف بلاد م فان حكامها وامراءها لم يتخلوا عن التدخل في شوؤن بلاد بابل وتحريض اهلها على السلطة رية ، وقد ثار على آشور بانيبال اخوه ملك بابل « شمش – شم – اوكن » ى ناصره العيلاميون وبعد ان قضى آشور بانيبال على اتباع اخيه وجه حملة كبرى على عيلام في عام ٦٣٩ ق • م فدمرها ونهب العاصمة سوسة وخرب معابدها وحطم ثيل آلهتها ونبشت قبور ملوكها ونقلت عظامهم الى بلاد آشور لكي يحرم اشباح الموتى الاستقرار فتنكل بالاحياء ، ونثر الملح على انقاض المدن المدمرة وبحسب تعبير النصوص مارية أحل الدمار في بلاد عيلام مسافة طويلة ، شهر و ٢٥ يوماً • وكانت هذه ضربة ماحقة لم من بعدها لبلاد عيلام قائمة ، اذ دخلت من بعد ذلك تحت سلطات السلالات الايرانية كمة وهي الدولة الميدية ثم الاخمينية مما سنعرضه في الصفحات الآتية •

الباب الثاني

الاقوام الارية في ايران

الفصل الاول

استيطان الايرانيين في بــــلاد ايران

المبحث الأول : اصل الايرانيين (الآريين) وهجراتهم

مرّ بنا موجز تأريخ بلاد عيلام والعيلاميون في السهول الجنوبية من بلاد ايران وقلنا ان العيلاميين لم يكونوا من الاقوام الايرانية او الآرية التي كونت منذ الألف الأول ق.م القسم الاكبر من سكان ايران وكونت الدول والسلالات الحاكمة فيها واقدمهم الميديون (الماذيون) ثم الفرس الاخمينيون والفرثيون والساسانيون (تؤلف هجرة هؤلاء الايرانيين الى بلاد ايران جزا من هجرات اقوام تأريخية كثيرة عرفت بعدة اسماء اشهرها الاقوام « الهندية ـ الاوربية » او الاقوام الآرية التي كونت الغالبية العظمى من سكان اوربة التأريخين والهند ، ثم الفرع الايراني المهم الــــذي قلنا انه دخل بلاد ايران في مطلع الألف الأول ق.م وعرفت تلك الاقوام ايضا بعائلة لغاتها الواسعة وهي عائلة اللغات « الهندية ـ الاوربية ») او الهندية ـ الجرمانية ، وهي احدى عائلات اللغات البشرية الكبرى في سعة انتشارها وسعة الاقوام الذين تكلموا بها ، ويجدر ان نذكر بهذا الصدد العائلة اللغوية الكبرى الاخرى التي تكلمت بها اقوام تأريخية مشهورة في الشرق الادنى واقطار الوطن العربي وقد اطلق عليها اسم عائلة اللغات السامية التي تمثلها لغات تأريخية مشهورة مثل العربية واللهجات العربية القديمة والاكدية في العراق (البابلية والآشورية) واللغات السامية الغربية واشهرها الكنعانية والفينيقية والآرامية والعبرانية .

بدأت تلك الاقوام الهندية ـ الاوربية في هجراتها في ازمان تأريخية مختلفة منذ منتصف الألف الثالث ق.م من مهدها وموطنها الأصلي الذي لا يمكن تعيينه بوجه الدقة وانما يمكن تحديده بوجه عام في المناطق الكائنة جنوبي روسية او في منطقة تمتد من جنوب شرقي اوربة عبر الاجزاء الجنوبية من بحر البنط (Pontus) ، ومن اواسط اوربة الى غرب الاورال في الشرق ، والوديان العليا في الانهار الكبرى وهي الفستولا والاولاد والالبة والويزر .

(وكانت تلك الاقوام في دور حضاري من عصور ما قبل التأريخ يعرف باسم العصر الحجري المعدني (Chalcolithic) حيث عرفوا استعمال النحاس والبرونز وكانوا يمتهنون

الزراعة وتدجين الحيوان ولكنهم كانوا متنقلين وغير مستقرة الاستيطان بل اشبه ما تكون بالبدو وكان شغلهم الشاغل الحرب والفروسية ، وقد ساعدتهم الخيول والعربات على التنقل والحرب وكانت كما قلنا تعيش على هيئة قبائل يحكم كل قبيلة رئيس او ملك ينتخبه الرجال من بين الاكفاء المحاربين ومن الاسر النبيلة ، ويساعده في الحكم مجلس شورى من الرؤساء والمحاربين وشرعت هذه القبائل في هجراتها بسبب كثرة السكان وضيق موارد العيش في مواطنها الاصلية منذ الألف الثاني ق.م وقد سلكت في هجراتها اتجاهات مختلفة ، ودخل كثير منها اقطار الشرق الادنى بالاضافة الى اوربة ، واقدم تلك الاقوام الحثيون في بلاد الاناضول التي كان يستوطنها اقوام آسيوية هم « الخاتيون » ، وبدأت تثبت اقدامها منذ منتصف الألف الثاني ق.م ، وتعد اللغة الحثية بلهجاتها المختلفة اقدم اللغات الهندية الاوربية .

وذهبت مجموعات اخرى من القبائل الآرية حول البحر الاسود عبر البلقان الى بلاد اليونان منذ منتصف الألف الثاني ق.م ، وقد قضت على الحضارة المينية التي ازدهرت في جزيرة كريت وغيرها من الجزر وهم الاقوام اليونانية المختلفة في التأريخ كما ذهب فرع منهم آخر الى ايطالية وهم الاقوام اللاتينية (الرومانية) وجاءت قبائل اخرى من الآريين الى شمالي ما بين النهرين الى المنطقة التي كان يستوطنها ما يسمى بالحوريين وهم اقوام آسيوية قديمة ولغتهم ليست من اللغات الهندية الأوربية بل تصنف في عائلة واحدة مع لغة ارمينية القديمة المسماة « اورارطو » وأنشأ هذا الفرع من الاقوام الهندية الاوربية مع الحوريين دولة « ميتاني » التي كان حكامها من الآريين واشتهرت هذه الدولة في تاريخ المنطقة وتأريخ العراق القديم فقد بلغت من القوة في القرن الرابع عشر درجة كبيرة بحيث انها فرضت سلطتها على الدولة الاشورية الى ان استطاع الملك الآشوري « أشور - اوبالط » الاول (١٣٦٥ - ١٣٣٠ ق . م) ان يخلص بلاد آشور من تسلطها .

ومن الهجرات الكبرى التي يجدر ذكرها عن الآريين الاقوام التي ذهبت الى الهند حيث كان يستوطنها الاقوام السود من الدرافيديين بالدرجة الاولى وقضوا على حضارة حضارة وادي نهر السند الشهيرة التي تمثلها المواقع التأريخية « هرا ابا » و « موهنجو دارو » وبالنسبة الى موضوعنا دخول الايرانيين الى بلاد ايران اتجهت اقوام اخرى من الاقوام الهندية - الاوربية او الآرية الى بلاد ايران وكانت من القوة بحيث انها حافظت على كيانها القومي واستطاعت بمرور الزمن ان تسيطر على معظم البلاد وتكون لها منذ القرن التاسع كيانات سياسية اشهرها الميديون (الماذيون) والفرس الاخمينيون كما سنبين ذلك في الصفحات التالية .

(١) راجع تفصيل ذلك في Cambridge Ancient History, 1, Part 2, (1971), chap. XXVII

المبحث الثاني:

الدولة الميدية

اول ما يجدر ذكره عن الدولة الميدية واحوال بلاد ايران في عهدها ان مصادرنا عن ذلك قليلة جداً ، وتكاد تنحصر في الاشارات الواردة في مدونات الملوك الآشوريين واقدم ما جاء الينا من ذلك يرقى الى القرن التاسع ق . م ، في اثناء حملاتهم الحربية على بلاد ايران واتصالاتهم ببعض قبائلها وفي مقدمتهم الميديون والفرس ، وبالاضافة الى مثل تلك الاشارات التأريخية جاء في تأريخ هيوودتس الشهير (القرن الخامس ق . م) نتف واخبار طريفة عن قيام الدولة الميدية ، واكثر من ذلك عن الدولة الفارسية الاخمينية التي خلفتها كما جاءت اخبار قصيرة واشارات الى الميديين في مدونات الملوك الاخمينيين ولا سيما في الكتابات الشهيرة التي نقشها الملك دار الاول (٥٢١ – ٤٨٦ ق . م) في وجه الجبل الشاهق في بهستون مما مرّ ذكره بنا . هذا ولم تجر لحال التاريخ تحريات وتنقيبات مهمة في بعض المدن او الاماكن الميدية القديمة ولا سيما في بقايا العاصمة الميدية المسماة « اكبتانا » (همدان) .

فيبدو من الاشارات التأريخية القليلة الواردة في مدونات الملوك الآشوريين من القرن التاسع ق . م أن القبائل الايرانية كانت في حالة التنقل والتجوال في انحاء ايران المختلفة وانها لم تبدأ بالاستقرار الا من بعد اوائل القرن التاسع ق . م . وان اول اشارة تاريخية مهمة الى القبائل الميدية والفارسية ما ذكره الملك الآشوري شليمنصر الثالث (٨٥٨ – ٨٢٤ ق . م) في حملاته الحربية على المناطق الجبلية في ايران وجبال زجروس في عام حكمه السادس عشر (اى عام ٨٤٤ ق . م) وعام حكمه الرابع والعشرين (٨٣٦ ق . م) حيث اتصلت الجيوش الآشورية في حملاتها على جهات ايرانية بقبائل ايرانية كبيرة ، وقد ورد ذكر الفرس (فارسوا Parsua) في حملة عام ٨٤٤ ق . م ، والميديين (ماداى Madal) في حملة عام ٨٣٦ ق . م ، ولكن سبق ذكر القبائل الفارسية في الحملات الآشورية لا يعني بالضرورة ان هذه القبائل سبقت في هجراتها الميديين (الماذيين) ولعله يمكن الاستنتاج من هذه الاشارات التأريخية المهمة ان القبائل الفارسية في هذه الفترة كانت متركزة الى الغرب والجنوب الغربي من بحيرة « اورمية » وان الميديين كانوا في الجهات الجنوبية الشرقية في منطقة اقليم همدان (اكبتانا القديمة) التي اتخذوها عاصمة لهم فيما بعد . ولا يمكن الاستنتاج بالتأكيد على ان التسميتين الواردتين في الاخبار الآشورية تشيران الى اسم قومي ، بل الارجح انهما اسمان جغرافيان حيث تركز فيهما اول استيطان لاولئك الاقوام الايرانية في منتصف القرن التاسع ق . م . على ان

هذا لا يعني ان هجرات اولئك الاقوام قد انقطعت بالمرة . فالمرجح ان موجة من هذه القبائل استوطنت في حدود ذلك الزمن في شمال العراق وانها فرع من الميديين وان الاكراد كانوا من هذه الموجة بالاستناد الى التشابه اللغوية مابين اللغة الكردية واللغة الميدية القديمة ، وهناك قبائل ايرانية أخرى ورد ذكرها في المصادر المسمارية بهيئة زكرتو Zikirtu السكارتيون في المصادر اليونانية Zagratans وقد استوطنت في الجهات الشرقية الى اطراف تبريز ، واتجه فرع من الميديين الى اصفهان حيث صد تقدمه العيلاميون ، واتجهت قبائل اخرى الى الشرق وعرفت باسم الاقليم الذى استوطنته (بارتوا Parthva ، ومنهم الفرثيون في التأريخ فيما بعد وقد استوطنت حوالي جهات قزوين .

وتقرأ في اخبار الملك الآشورى شمسي - أدد الخامس (٨٢٣ - ٨١٠ ق ٠م) الذى خلف شليمنصر الثالث انه غزا جهات ايران ودحر أحد رؤساء القبائل الايرانية في الجهات الشمالية من بحيرة اورمية ، واستولى على ١٢٠٠ مدينة من مدنه ، ويشير هذا رغم المبالغة الواضحة الى ظهور الحصون والمدن المحصنة عند القبائل الايرانية (١) . وظهرت في حدود مطلع القرن التاسع ق . م دولة قوية في بلاد ارمينية القديمة هي مملكة « اورارطو » وكان النزاع والصراع شديدين بين هذه المملكة والدولة الاشورية ، وقد اتسعت مملكة اورارطو وامتدت الى الشرق من ملتقى فرعي الفرات ويضمن ذلك منطقة بحيرة سيحون وكان الاورارطو اصلهم القومي واللغوي قريبين من الحوريين الذين استوطنوا شمالي ما بين النهرين .
وقد اثر تعاظم هذه المملكة على القبائل الايرانية وحال دون تأسيسهم كيانات سياسية قوية ولكنها كانت في الوقت نفسه تقتبس منهم الحضارة واساليب الحرب كما سببت نوعا من الصراع العنيف ما بين الدولتين الآشورية والاورارطية حيث مالت الكفة الى جانب الآشوريين منذ عهد الملك الآشورى القوى « تجلا تبليزر » الثالث (٧٤٤ - ٧٢٧ ق ٠ م) الذى استطاع ان يستعيد جميع الاقاليم التي استولت عليها الدولة الاورارطية من بعد ان دحر ملكها المسمى « سردورس » الثاني (Sardurus) وجرد عدة حملات حربية الى منطقة زجروس ، وهجم على مستوطنات الماذيين الى الشمال الغربي من منطقة همدان وكذلك مستوطنات الفرس ووصلت الجيوش الآشورية الى جبال « ديماوند » الوارد ذكره في الاخبار الآشورية باسم بكني (Bikini) والى تخوم البحيرة الملحة الكبرى ، كما ورد في اخبار ذلك الملك الآشوري انه جلب أسرى من الميديين ٦٥٠٠٠ أسيراً واسكنهم في منطقة ديالى في حدود الدولة الآشورية .

(١) راجع ترجمة النصوص الملكية الآشورية في Luckenbill, Ancient Records of Assyria and Babylonia, Vol. 11.

وقام في حدود هذا الزمن من بين الميديين (الماذيين) زعيم حربي قوي هو « ديوكو » (Daiku) الذي لاشك في انه نفس الملك الذى ورد في تأريخ هيرودتس باسم « ديوكس » (Dioces) وانه كان مؤسس المملكة الميدية (١) ، وقد حالف دولة « اورارطو » وعندما اعتلي عرش الدولة الآشورية الملك القوي سرجون الثاني (٧٢٢ - ٧٠٥ ق . م) الذي اشتهر بقضائه على دولة اسرائيل ، ونقل كثيرا من سكانها واسكنهم في بلاد الميديين وجاء الى العرش ملك قوي اسمه « روساس » الاول ، فجرت بينه وبين الآشوريين حروب قاسية استطاع سرجون ان يلحق به ضربات ماحقة واشهرها حملته الثامنة ، واستطاع سرجون ان يحطم حلفا من المملكة اورارطو ومن الميديين وملكهم « دياكو » المذكور وبيدو ان سرجون اسره في المعركة ونفاه مع اسرته الى حماة في سورية ، ولعله أعيد الى موطنه من بعد ذلك ، واشتهر هذا الملك الذي بدأ حكمه في حدود ٧٠٨ ق.م بقوته في الاخبار الآشورية بحيث انهم اطلقوا على عاصمة المملكة الماذية (اكبتانا = همدان) « بيت دياكو » واعقبه عقبه على عرش الدولة الميدية ابنة الوارد ذكره في تأريخ هيرودتس بهيئة « فراورطيس (Phraortes (٦٥٥ - ٦٣٣ ق.م) ولكن يرجح انه اسمه الصحيح هو « خشاثريتا » (Khshathita) الوارد في نقوش الملك الفارسي الاخميني دار الاول في بهستون . وقد بلغ هذا مبلغا من القوة استطاع ان يوحد تحت حكمه معظم القبائل الميدية ، وصادف حكمه تراخي الضغط الآشوري على بلاد ايران في عهد خليفة سرجون ، اي الملك سنحاريب (٧٠٤ - ٦٨١ ق.م) بسبب انشغاله عسكريا في بلاد بابل وبلاد عيلام وبلاد الشام فحينئذ استمر الميديون في قوتهم في عهد الملك اسرحدون خليفة سنحاريب (٦٨٠ - ٦٦٩ ق.م) وتم نوع من التحالف بين الدولة الآشورية وبعض الامراء الميديين كما جاء ذلك في المعاهدة السياسية التي ابرمها هذا الملك مع رؤساء الاقاليم التابعة للامبراطورية في اخذ ولاية العهد لابنه آشور بانيبال وقد وجد نص المعاهدة في تنقيبات البعثة الاثرية البريطاني في نمرود « كالح القديمة » في عام ١٩٥٥ ، وبلغ الملك الميدي « خشاثريتا » درجة من القوة بحيث ان الملك الآشوري اسرحدون ارسل له رسل صداقة واستطاع ان يضم تحت

---

(١) يروى هيرودوتس (القرن الخامس ق . م) رواية طريفة عن ظهور اول ملك على الماذيين وهو ديوكس السائف الذكر فيقول ان المديين كانوا زراعا يعيشون في قرى وليس لهم حكومة مركزية وملك وكان ديوكيس يعيش في احدى تلك القرى وقد اشتهر برجاحة العقل النزاهة في اصدار الاحكام بين المتخاصمين مما جعل الناس يقصدونه للاحتكام في القرى المجاورة ، ولما رأى ازدحام الناس عليه امتنع عن الاستمرار في القضاء فيما بينهم وعندئذ عمت الفوضى بين الناس وكثرت اعتداءات بعضهم على بعض ، فاجتمع الميديون في مجلس شورى وعرضوا عليه ان ينصبوه ملكا عليهم ، فانتخب ملكا باكثر الاصوات ولم يكتف ديوكيس بذلك بل انه طلب ان يبني القوم له قصرا خاصا لسكناه ، ولما تم له ذلك تبدلت سيرته وسلك اسلوب الاستبداد والتحكم في رعيته .

سلطته معظم القبائل الميدية ، وقبائل اخرى ايرانية اهمها السميريون او الكيميريون Cimmerians والاسكيثيون (Scythians) وجعل القبائل الفارسية تابعة له من الذين استقروا منذ نهاية القرن الثامن ق.م في الجهات الجنوبية الشرقية من ايران ، وبلغت الجرأة بهذا الملك الماذي درجة بحيث انه قرر الهجوم على نينوى . وكان هذا عملا طائشا متسرعا ، فان الاسكيثيين الذين دخلوا في تحالف مع الآشوريين هاجموه من الخلف فدحر في المعركة ومات فيها (عام ٦٥٣ ق.م) ، وعندئذ هجم الاسكيثيين على بلاد ماذي وبقيت تحت سلطتهم نحو عشرين عاما (٦٥٣ - ٦٢٥ ق.م) كما يروي المؤرخ اليوناني « هيرودتس » واتجه الاسكيثيين من بعد ذلك بغزواتهم الى الغرب وقلبوا لحلفائهم الآشوريين ظهر المجن ونشروا الدمار في بلاد آشور وقد اشتركوا مع « الكمبريين » الذين نجوا من حملات آشور بانيبال فدمروا مدن آسية الصغرى وشمالي سورية وفينيقية ووصلوا الى دمشق وفلسطين .

واعقب الملك الميدي « فراوطوس - حشاثريتا » ابنه المسمى « كي - أخسار » (Cyaxares) او « كي خسرو » (Kai - Khosru) ، وكان هذا اعظم الملوك الميديين (٦٣٣ - ٥٨٤ ق.م) وقد تمكن من التخلص من تبعيته الاسمية الى الاسكيثيين ، كما فرض سيطرته على بلاد فارس وقد عمل كي اخسار على تنظيم جيشه وادخل النبالة أي رماة القسي والسهام والمشاة وجعلهما صنفين متميزين ، ومما لا شك فيه اقتبس بعض اساليب القتال من الاسكيثيين الذين امتازوا بسرعة الحركة والمناورة ، وجعل عاصمته الدائمة أكبتانا التي تقوم فوق انقاضها مدينة همدان الآن ، والمرجح ان اسمها يعني في المادية « مُلتقى الطرق » او مجلس الاجتماع وتقع في واد خصب جميل ، وكان يجمل العاصمة القصر الملكي الواسع ، وبقيت المدينة عامرة الى العهد الفارسي الاخميني والسلوقي وقد نهبت ابان فتح الاسكندر لبلاد ايران .

وبعد ان وطد كي اخسار حكمه في مملكته وجه نشاطه الى غزو الدولة الآشورية من بعد الهجوم الفاشل الذي شنه عليها ابوه من قبل ، ويبدو ان حلفا بينه وبين نبوبولاصر الكلداني (٦٢٧ - ٦٠٥ ق.م) قد عقد وكان نبوبولاصر هذا واليا على بلاد بابل من قبل الملك الآشوري

---

(١) الاسكيثيون وقد ورد ذكراهم في المصادر الآشورية بهيئة اشكوازي والكميريين ذكروا باسم كميـــــراي من القبائل الايرانية او الهندية الاوربية الذين انتشروا في هجراتهم عبر القوقاز في القرن الثامن الى بلاد ايران وسببوا اضطرابا كبيرا في هذه المناطق وفي معظم انحاء الشرق الادنى ، وتنسب الى فرسانهم المتنقلين ، المجموعات المهمة من الادوات الفنية والحربية المصنوعة من البرونز والتي عرفت باسم برونزيات لورستان حيث وجدت منها مجموعات كبيرة في القبور المنتشرة في المناطق الشمالية من كرمنشاه ، وترجع في ازمانها الى القرن الثامن ق.م ، وعثر الفلاحون ايضا على كنوز مماثلة من الحلي الذهبية والبرونزية في الموضع المسمى سكيز الى الجنوب من بحيرة اورمية ، ولعلها كنوز ملكية تعود الى ملوك الاسكيثين وتحتل برونزيات لورستان مكانة مهمة في معظم المتاحف العالمية ، ويوجد نماذج منها في المتحف العراقي .

آشور بانيبال ولكنه استقل وانسلخ عن تبعية للآشوريين وشارك الملك الميدي الهجوم على الدولة الآشورية . وقد وجه الملك الميدي هجومه على بلاد آشور في عام ٦١٥ ق.م حيث زحف على نينوى ولكنها قاومته مقاومة عنيفة ، فاتجه الى مدينة آشور العاصمة الآشورية القديمة وفتحها ، وهنا اسرع نبوبولاصر للالتقاء بكي - اخار وابرم الحلف بين بابل وماذى ، وتم بموجبه ترويج نبوخذ نصر ابن نبوبولاصر بحفيدة الملك الماذي المسماة « أميتس » . وتعزى الاخبار القديمة سبب فشل كي أخسار في هجومه الاول على نينوى بان الاسكيتيين صدوه ، ولكن اعيد الهجوم مرة اخرى من جانب الحلفاء في عام ٦١٢ ق.م فسقطت العاصمة المعظمة نينوى والتهمتها النيران ، وانسحبت فلول الجيش الآشوري بقيادة آخر ملوكهم المسمى « آشور اوبالط » الى حران في عام ٦١٠ ق.م ، ولكن تحطم هذا الجيش نهائيا وهكذا زالت من الوجود اعظم امبراطورية عرفها العالم القديم ، وتقاسمت زعامة ذلك العالم اربع دول كبرى هي الدولة البابلية الحديثة والدولة الماذية والدولة المصرية ومملكة ليدية في آسية الصغرى . وغدت الدولة الماذية في عهد كي - اخسار امبراطورية كبيرة اقتسمت مع الدولة البابلية املاك الآشوريين فشملت بلاد ماذى وفارس وبلاد آشور الى تخوم آسية الصغرى ، ودخلت في حوزة الامبراطورية بلاد بابل وبلاد الشام وفلسطين .

بيد ان الامبراطورية التي انشأها كي - أخسار لم تدم زمنا طويلا من بعده ، وقد خلفه في الحكم ابنه المسمى « استياكز » (Astuages) (واسمه بالايرانية القديمة « ارشتفاكا » Arishtivaiga (ومعناه رامي الرمح) الذي كان آخر ملوك الماذيين حيث انتقل حكم بلاد ايران من بعده الى الفرس الاخميني (في حدود ٦٠٠ ق.م) ، وكان استياجز جد الملك الفارس الاخميني لامه كورش الاكبر الذي انتزع منه الحكم على ما سنبين ذلك في الفصول الآتية . وتنسب الاخبار القليلة ولا سيما اخبار هيرودتس الى الملك الماذى الاخير استياجز انه اسرف في التبذير وحياة الدعة والبذخ ، وترك في عهده الميديون المتقشفون الاشداء حياة الخشونة والتقشف ، وهكذا كانت حياة المملكة الماذية قصيرة الامد ، فلم تساهم من الناحية الحضارية مساهمة كبيرة في تأريخ الحضارات القديمة ، على ان الميديين اثروا تأثيرات كبيرة في الفرس الاخمينيين ويرجح انهم اخذوا عنهم بعض العناصر الفنية المعمارية وفي مقدمتها الاعمدة ، كما انهم اقتبسوا بعض طرق الادارة والتنظيمات الادارية من الآشوريين ، مثلما تأثر بها الفرس الاخمينيون الذين اعقبوا الماذيين في حكم ايران .

والجدير بالتنويه في ختام كلامنا على الماذيين ان قبورا في بعض الكهوف في شمالي العراق في منطقة السليمانية يرجح ان بعضها تعود الى الماذيين وان احدها قبر ملكي مثل الكهف المسمى « اشكويتي قزقيان » والكهف المسمى « كروكج » (كهف البنت والولد) الكائن في وجه الجبل خلف قرية شرناخ ، ويرى الباحث الاستاذ كمريون بانه قبر الملك الماذي « فراطورس »

ن « ديوكسن » وابو « كي - اخسار و وجدت ايضا قبور جبلية للميديين بالقرب من «سرى - بول
ب السفوح الغربية من جبال زجروس وهي كذلك منحوتة في الجبال وزينت واجهاتها بالنحت
مض المشاهد الدينية .

والى هذه الآثار الميدية القليلة تفيدنا بعض المنحوتات الآشورية في تصوير الازياء الميدية
ث نحت في بعضها اشخاص عاديون وهم ملتحون وذوو شوارب ، وتغطى البستهم جلود من
حيوانات ويرتدون احذية عالية واطرافها الامامية معقوفة الى الاعلى . كما ان الآثار البرونزية
نيسة التي عثر عليها في سقيز ترينا بعض الجوانب المهمة من الفن الميدي وفيه تأثيرات من
ن الحضارات القديمة ، وننهي هذه الملاحظات الوجيزة عن القطع القليلة التي جاءت البنا
، الفن الميدي بذكر نحت ضخم يمثل اسدا بالحجم الكبير وجد في عاصمتهم اكبتانا (همدان) .

القسم الثاني

تاريخ ايران في العهد الاخمينـــــي

والــــى

مطلع العهد السلوقـــي

الفصل الثاني

الدولة الفارسية الاخمينية

المبحث الاول

قيام الدولة على يد مؤسسها كورش الثاني - حملاته العسكرية على ليدية (الاناضول) وبابل

سبق ان نوهنا كيف ان مصادرنا عن تاريخ الفرس القديم قليلة جدا وتعتمد بشكل رئيسي على الاشارات المتناثرة في الكتابات الملكية الآشورية والبابلية ، مضافا اليها ما كتبه المؤرخون اليونانيون عن التأريخ المذكور ٠ ومن الجدير بالذكر هو اننا لانستطيع الاعتماد كليا على مادونه اليونانيون عن الفرس ، لان معلوماتهم متضاربة وتحتوى على الكثير من الخيال ٠

ان اقدم ذكر للفرس كما مر بنا سابقا ظهورهم في النصوص المسمارية الآشورية التي تعود بتاريخها الى القرن التاسع قبل الميلاد ٠ حيث ذكرنا ان كتابات الملك شلمنصر الثالث ٨٥٨ - ٨٢٤ ق ٠ م قد اشارت الى انهم كانوا يسكنون آنذاك المنطقة المسماة « بارسووا - Parsua » الواقعة الى الجنوب الغربي لبحيرة اورمية ٠

وفي حدود ٨٠٠ ق ٠ م هاجر الفرس من منطقة « بارسووا » بسبب ضغط الاورارطيين عليهم ؛ وساروا باتجاه الجنوب وسكنوا المنطقة المسماة « سقّيز - Saqqax » وهي حاليا في منطقة « ايران - كردستان » ٠ ومع هجرتهم هذه فان خضوعهم للأشوريين قد استمر حتى في منطقتهم الجديدة ٠ اذ يبدو واضحاً من كتابات الملك الاشورى سرجون الثاني ٧٢١ - ٧٠٥ ق ٠ م ان الفرس كانوا حتى عام ٧١٤ ق ٠ م لا يزالون خاضعين للسيادة الاشورية ٠ هذا وان المعلومات المتوفرة تشير الى ان القبائل الفارسية قد سكنت في حدود ٧٠٠ ق ٠ م السهول الممتدة على طول جبال بختيارى ٠ وفي هذه السهول القريبة من منطقة عيلام اسست القبائل المذكورة دولتها الاولى وكانت تسمى « بارسوماش - Parsumas » ٠

وان المعلومات المتناثرة عن تأسيس الفرس لدولتهم الاولى تؤكد ان ذلك قد حدث بعد اتحاد القبائل الفارسية في أواخر القرن الثامن قبل الميلاد ٠ وتزعم هذه الدولة رجل كان

اسمه على اغلب الظن « اخمينس -- Achaimenes » (١) وتسمية

الاخمينيين هي نسبة لأسم هذا الملك . ومن المحتمل جدا ان فترة حكم هذا الملك كانت

ما بين الربع الاخير من القرن الثامن وحتى بداية القرن السابع قبل الميلاد .

يعتقد كذلك بان مقر حكم الملك اخمينس كان يقع ضمن سهول جبال بختيارى وببعد

مسافة ٤٠ كم من « ششتر Sustar » (٢) . وبعد تأسيس

الدولة الفارسية بفترة قصيرة بدأ الفرس بالتسلل الى منطقة عيلام ، فاخضعهم العيلاميون الى

سلطتهم . اذ ان النصوص الملكية العيلامية في القرن السابع قبل الميلاد اشارت الى

دفع القبائل الفارسية الجزية لحكام سوسة عاصمة العيلاميين . وان دل هذا على شيء

فانما يدل على دخولهم خلال الفترة المذكورة تحت السيادة العيلامية وتمردهم على السلطة

الاشورية . ومما يؤكد ذلك هو ان الفرس قد دخلوا عام ٦٩١ ق . م مع

البابليين والاراميين في تحالف مع ملك عيلام « خمبان نيمينا Humban Nimena

الذى ورد في النصوص الآشورية بصيغة « اومان مينانو -- Umman Minanu »

حاربوا سوية الملك الاشورى سنحاريب في الموقع المدعو « خالولة -- Halule »

الذى يقع بالقرب من مدينة سامراء الحالية . هذا ويبدو من الاشارات الخاصة بالفرس

ان رجلا كان يدعى « جشيش -- Cispis » قد خلف الملك اخمينس

على حكم الدولة الفارسية . وفترة حكمه كانت في حدود ٦٧٥ -- ٦٥٠ ق . م . وقد

ورد اسم هذا الملك في النصوص اليونانية بصيغة « تيسبس -- Teispes » .

كان جشيش ايام حكمه تابعا الى الملك الميدى « فراورطيس -- Phraortes » .

هذه الحقيقة تشير الى ان الدولة الميدية اخذت تضم تحت سلطانها اتباع الدولة العيلامية .

(ومع ذلك فقد وقعت الدولة الميدية ايام الملك فراورطيس تحت سيادة الاسكيثيين .

مما حفز ذلك الملك الفارسي جشيش على احتلال منطقة « فارس -- Parsa »

التي كانت مسكونة في السابق من قبل العيلاميين)

خلف الملك جشيش ولدين . الاول يدعى كورش ، الذى ندعوه في كتب التاريخ بكورش

الاول . والثاني « اريارامنا -- Ariyarama » . وبعد وفاة والدهما ، صار

---

(١) ورد هذا الاسم في كتابات بهستون .

(٢) ششتر وهو كهف من الكهوف الاثرية في جبال بختيارى . تم الكشف عن هذا الكهف عام ١٩٤٩ م . انظر :

R. Chirshman, Iran, p.27.

كورش الاول ملكا على منطقة « بارسوماشس » وذلك في حدود ٨٥٠ - ٦٠٠ ق ٠ م ٠

اما اخوه الصغير « اريا رامنا » فيعتقد انه صار ملكا على منطقة فارس التي تمكن والده من احتلالها على أثر دخول الميديين تحت سلطان الاسكيثيين ٠ غير ان مسألة تولي اريارامنا العرش على منطقة فارس امر لم يثبت صحته حتى الوقت الحاضر ٠ اذ ان اللوح الذهبي المدون بالخط المسماري الاخميني والذي يحتوي على القاب الملك اريارامنا شكوك في اصالته وانه قد اكتشف بطريق الصدفة في همدان ٠ هذا ويبدو من النصوص الاشورية بان الملك كورش الاول قد تحول في ولائه نحو الاشوريين ٠ اذ انه ارسل اثناء هجوم الملك اشور بانيبال على دولة عيلام ، عام ٦٤٢ ق ٠ م ابنه « اروكو- Arsama » مع بعض الهدايا الى مدينة نينوى رمزا لولائه لهذا الملك . غير ان الميديين قد تمكنوا ايام حكم ملكهم المدعو « كيأخار- Kyaxares » خلال النصف الاخير من القرن السابع قبل الميلاد من جعل بلاد ايران كلها تحت زعامتهم ٠ وخاصة بعد ان تمكن الملك المذكور من خلال تحالفه مع البابليين من القضاء على الامبراطورية الاشورية واحتلال العاصمة نينوى عام ٦١٢ ق ٠ م ٠

وبعد وفاة الملك كورش الاول خلفه في الحكم ابنه قمبيز ٠ اما اخوه الصغير اريارامنا فيفترض على ابنه « ارشاما - Arsama » قد صار من بعد وفاته ملكا على الجزء الشرقي من بلاد فارس ٠ ويعتقد المؤرخون في الوقت الحاضر بان قمبيز قد اخذ السلطة من الملك ارشاما ووجد ايران تحت زعامته ٠ وبعد وفاة الملك قمبيز جاء الى حكم الدولة الفارسية الاخمينية ابنه كورش الثاني الملقب بكورش الكبير .

كورش الثاني ٥٥٨-٥٣٠ ق٠م :

كان كورش في السنوات الاولى من حكمه تابعا للملك الميدي استياجز ابن الملك كياخسار ولكن تبعيته هذه استمرت ثمان سنوات فقط حيث ثار من بعدها بوجه الملك الميدى (١)

---

(١) يروى هيرودتس في تاريخه (الكتاب الاول الفقرة ١٠٧ فما بعد) رواية طريفة عن علاقة كورش الاول بآخر ملوك الميديين اي ' استياجز ' بانه كان ابن ابنته المسماة ' مندادة ' التي لم يشأ ان يزوجها من احد الامراء الميديين لانه رأى حلما فسره المجوس ان ابنها سيأخذ منه العرش ولذلك زوجها من احد الامراء الفرس التابعين له وهو قمبيز ومع ذلك فان نذر الاحلام استمرت في تحذير استياجز ان ابن ابنته من الامير الفارسي سيغتصب منه العرش فقرر أن يقضي على الطفل الوليد فكلف احد قواده المسمى ' هرباخوس ' ان يتولى قتل الطفل ولكن هذا رق له وصادف ان ولدت زوجته ابنا ميتا فأخذه بدلا عن الطفل كورش ورماه في البرية فتربى كورش في بيت القائد ولكن الملك الميدى اكتشف الخدعة فانتقم من قائده هرباخوس وارسل كورش الى امه وابيه في مقاطعة فارس ، ويروى هيرودتس ان كورش ثار من بعد ذلك على جده لامه بتحريض هرباخوس واستطاع انتزاع الملك منه .

ـكن في عام ٥٥٠ ق . م من احتلال بلاد ميدية . هذا وان المعلومات المتوفرة عن هذا الاحتلال
ير الى ان كورش الثاني قد سلب خزائن قصور العاصمة الميدية اكبتانة ونقلها الى مقر حكمه
مدينة « بزر كادة » واخذ معه ايضا الملك استياجز اسيرا . واضافة الى ذلك فقد بـدأ
رش يلقب نفسه بلقب الملوك الميديين ، مما دعى ذلك الشعوب
خرى مثل اليونان والمصريين وغيرهم ان يدعو الاخمينيين بالميديين .)

ـناء على ذلك يمكننا ان نقول بان الدولة الفارسية الاخمينيه قد خرجت في هذه
ـرة بالذات من عصرها المظلم عصر التبعية وظهرت على مسرح التاريخ . اذ ان كورش لم
ـف بأحتلاله لبلاد الميديين بل استمر في احتلال جميع المناطق التي كانت تابعة الى الدولة
ـية . واحتل المنطقة التي سكنها الفرثيون ، ومن بعدها على ما يبدو قد سيطر على جميع
ـلق الواقعة الى الشرق من بلاد ميدئة .

وبعد هذه الانتصارات التي حققها كورش الثاني توجه بانظاره لاحتلال بلاد ليدية في القسم
ـي من (بلاد الانضول) ، وقد تم له ما اراد عام ٥٤٦ ق.م . هذا ويبدو ان احتلاله لبلاد
كان سريعا بحيث ان حلفاء ليدية ، وهم البابليون والمصريون واسبارطة لم يتمكنوا من تقديم
ـعدة لها . ويظهر من الاخبار اليونانية ان كورش الثاني قد عامل ملك ليدية قارون (كرويسس –
Croesus) معاملة حسنة بينما الاخبار البابلية تؤكد على ان كورش قد حكم
ـ على الملك كرويسس وسمح لجنوده بنهب العاصمة الليدية « سارديس – Sardes ».
ـم من اختلاف الروايات حول هذا الموضوع الا انها تتفق على ان كورش الثاني قد سلب
السكان الليديين وجلبها الى خزينة دولته . وبعد ان حقق ذلك توجه لاحتلال المدن
ـية الواقعة في آسيا الصغرى القريبة من ليدية .

ـافة الى ذلك فقد استطاع كورش بين عامي ٥٤٥–٥٣٩ ق.م من السيطرة على بلاد
ـستان واقليم سيحون وجيحون وقندهار وبذلك وصلت حدود الدولة الاخمينية حتى الحدود
ـية الغربية لبلاد الهند .

واستنادا الى الاخبار اليونانية توجه كورش الثاني لاحتلال مدينة بابل بعد هذه الفتوح التي حققها في اواسط آسية . اما المصادر البابلية فتشير الى ان كورش قد توجه لاحتلال مدينة بابل مباشرة بعد احتلاله بلاد ليدية . وهذه المعلومات اوردها المؤرخ البابلي « بيروسس-Berossus» ، الـذي عاش في مطلع القـرن الثالث ق . م

ويبدو ان معلوماته تعتمد على المصادر البابلية الاصلية التي دونت ايام احتلال كورش لمدينة بابل وذلك لانها قريبة في مضمونها الى كتابات كورش الثاني نفسه . وعليه فان اخباره اكثر امانة من كتابات هيرودوتس عن احتلال مدية بابل ، تلك الكتابات التي لا يعتمد عليها كثيرا ويصعب علينا تصديقها .

يذكر هذا المؤرخ البابلي بان الجيش الاخميني قد تقابل في شهر آب من عام ٥٣٩ ق . م مع الجيش البابلي في مدينة اوبس الواقعة على نهر دجلة . وقتل خلال المعركة ابن الملك البابلي نبونيد المدعو « بيل – شار – اوصبو » الذى كان على رأس الجيش البابلي . وبعد هذه المعركة التي قتل فيها ابن الملك نبونيد لم تحصل معارك كبيرة اخرى . حيث ان قائد الجيش الاخميني المدعو « كوبرياس – Gobryes » قد استولى على مدينة سبار في العاشر من شهر تشرين الاول من العام نفسه ودخلها من دون قتال . وبعد يومين ع من هذا التاريخ احتل مدينة بابل واخذ الملك نبونيد اسيرا معه . وفي ٢٩ تختشرين الاول دخل الملك كورش الثاني الى مدينة بابل .

ان معلوماتنا عن هذا الموضوع تشير الى ان كورش الثاني قد اتهم الملك نبونيد بعدم احترامه لالهة بلاده . وسبب هذه التهمة يرجع الى ان الملك نبونيد قد قام بكل المحاولات الممكنة لصد خطر الاخمينيين الذى كان يواجه مملكته ، فعمل جاهدا على توحيد القبائل الارامية . وارضاءً لهذه القبائل فقد أدخل طقوس اله القمر سين الى مدينة بابل . وبنى لهذا الاله معبدا في بابل وحران ، فخلق ذلك تذمراً لدى كهنة مدينة بابل مما جعل كورش الثاني يستغل هذا التذمر ويوجه مثل هذه التهمة الى نبونيد ا بعد احتلاله لبابل .

وقد قام كورش ارضاءً لاهل بابل وكهنتها باعادة تماثيل الالهة الرئيسة لبابل الى معابدها الخاصة . كما كان يقوم بتقديم القرابين الى الاله « مردوخ » ، الاله الرئيس لمدينة بابل . وزيادة على ذلك فان المعلومات المتوفرة تشير الى ان كورش كان يرسل رداءة الخاص ليلبسه ممثله في بابل اثناء احتفالات عيد رأس السنة البابلية .

وتذكر من اعمال كورش الاخرى في مدينة بابل معاملته الحسنة للأسرى صح الموجودين

فيها حيث سمح لهم بالعودة الى بلادهم . الا ان بعضا من المؤرخين يؤكدون على ان هذا التسامح لم يشمل جميع الاسرى وانما شمل اليهود فقط وذلك لأنهم كانوا يمثلون الطابور الخامس لكورش في مدينة بابل . وأنهم اى اليهود قد عملوا بكل ما لديهم من الاساليب الخبيثة على اسقاط الحكم البابلي . ومع ذلك فان الاخبار جميعها تؤكد ان كورش الثاني قد عامل سكان مدينة بابل معاملة حسنة ولم يغير في علاقاتهم العامة واحوالهم الاقتصادية ولم يغير كذلك النظام الاداري في بابل وعلى ما نعتقد ان سبب ذلك يرجع الى انه كان نظاما متكاملا .

هذا وقد لقب كورش نفسه بلقب « ملك البلدان وملك بابل » كما أنه عين واحدا من اهل مدينة بابل يدعى « قابو - اخي - بولط » حاكما عليها . غير ان السلطة الحقيقية كانت بيد قمبيز الذي كان يقيم في بابل . وقد منح الملك كورش ابنه قمبيز عام ٥٣٠ ق . م لقب « ملك بابل » بعد ان اختار لنفسه لقب « ملك البلدان » . وهذه الحقيقة قد وردت في النصوص البابلية بالصيغة التالية :

kam - bu - zi - ia - sar - babili ina u - mu - mu - su - ma - ku - ra - as - abu - su - su sar matati

وترجمتها : - في ايام قمبيز ملك بابل ، كان كورش الثاني ، ابو ، ملك البلدان هذا وقد استطاع كورش في عام ٥٣٥ ق . م من توحيد بلاد ما بين النهرين وسورية وفلسطين ومن ثم توجه لاخضاع الاسكيثيين ومن بعدهم قاتل قبائل الساجا البربرية عبر نهري سيحون وجيحون . وفي اواخر عام ٥٣٠ ق . م فشل كورش في احدى معاركه ضد القبائل المذكورة ولقي حتفه هناك ويعتقد انه خسر في هذه المعارك ٢٠٠٠٠٠ جندي . اما اخبار زينفون فتذكر ان كارش الثاني قد مات موتا طبيعيا وهو في قصره . والواقع ان الاخبار متضاربة حول موت الملك كورش .

المبحث الثاني

اتساع الدولة الاخمينية في عهد قمبيز ودارا الاول
تنظيمات دارا السياسية والادارية

قمبيز الثاني ٥٣٠-٥٢٢ ق.م :

(في شهر آب من عام ٣٥٠ ق . م توج قمبيز ملكا على الدولة الاخمينية . وبعد خمس سنوات من توليه الحكم توجه لاحتلال مصر ، وكان ذلك في عام ٥٢٥ ق . م . لان والده كورش

الثاني كان واضعا في خطته فكرة السيطرة على بلاد مصر . وعندما اقترب الجيش المذكور من الجيش المصري تخلى اليونانيون والليبيون العاملون في الجيش المذكور كمرتزقة عن مسؤلياتهم وسلموا انفسهم للجيش الاخميني . وزيادة على ذلك فان قائد الجيش اليوناني « فانيس - Phanes الذي كان في خدمة الفرعون المصري بسماتيك الثالث قد سلم نفسه ايضا الى الملك قمبيز . وبعد هذه الانشقاقات التي حصلت في الجيش المصري تمكن الجيش الاخميني من ابادة القوات المصرية بحيث ان قائد القوة البحرية المصرية قد سلم نفسه واسطوله من دون قتال الى الملك قمبيز .

وفي ٢٩ مايس (ايار) من عام ٥٢٥ ق . م توج قمبيز ملكا على بلاد مصر فكون بهذا التتويج السلالة ٢٧ من السلالات الفرعونية . هذا ويبدو من الكتابات المصرية نفسها ان قمبيز قد عامل بلاد مصر معاملة حسنة وقد ساير خلالها التقاليد والشعائر المصرية ، بحيث ان تتويجه ملكا على مصر قد جرى وفق الطقوس الدينية المصرية . كما انه امر باستمرارية استخدام التقويم المصري . واضافة الى ذلك فقد لقب نفسه بلقب « ملك مصر ، ملك البلدان وسليل رع و « اوسيرس » . وعمل كذلك على تقديم القرابين المنتظمة الى الالهة المصرية .

هذا ويبدو من نفس الكتابات المصرية ان قمبيز لم يحاول اطلاقا احداث أية تغيرات كانت في حياة مصر السابقة ، اذ تشير الكتابات الى ان قمبيز قد سلك اثناء حكمه في مصر نفس السياسة التي كانت متبعة من قبل السلالة ٢٦ التي كانت تحكم مصر قبل احتلاله لها . حتى انه لم يحاول تغيير الزي المصري للملك . اذ صور الملك قمبيز في احدى المشاهد المصرية وهو يرتدي اللباس المصري . واضافة الى ذلك فقد عين قمبيز موظفا مصريا كبيرا على ادارة البلاد وكان الموظف يصف نفسه في الكتابات المصرية على انه اليد اليمنى للملك قمبيز .

ان تتويج قمبيز ملكا على القطر المصري قد دعى الكتاب المصريون الى تأليف الاساطير الملفقة بغية منحه صفة شرعية لأن يكون ملكا على مصر ، حيث اشارت احدى هذه الاساطير الى أن كورش الثاني قد تزوج من الاميرة المصرية « نيتيتس Nitetis ابنة الملك المصري « ابريس Apries وان الملك قمبيز الثاني قد ولد من هذه الزيجة وعليه فهو من اصل مصري . ومثل هذه القصص المصرية هي التي دفعت المؤرخ « كتيسياس Ktesias الى ان يرفض ما ذكره هيرودوتس وزينفون عن زواج الملك قمبيز الاول من « مندانة » ابنة الملك الميدي استياجز وان كورش الثاني كان نتيجة لهذا الزواج (١) كما ذكرنا .

(١) انظر حول تفاصيل قصة هذا الزواج : الاستاذ طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، الجزء الثاني الطبعة الثانية (١٩٥٥ ، ص ٣٩٩-٤٠٣ ، ورواية هيرودتس) الكتاب الاول ، الفقرة ١٠٧ فما بعد

ويعتقد هؤلاء المؤرخون اليونانيون بان صلة القربى هذه بين كورش الثاني واستياجز هي التي دعته لمعاملة استياجز معاملة حسنة عند احتلاله بلاد ميدية .وبعد احتلال الملك قمبيز للقطر المصري بدأ يخطط لارسال حملتين في آن واحد .الاولى كانت تقصد واحة « آمون » الموغلة في بادية طرابلس للسيطرة على الطريق المؤدي الى ليبيا . ويبدو من اخبار هيرودوتس بان الجيش الاخميني قد اخفق في احراز نتيجة مهمة بسبب العواصف الرملية الكثيفة .

اما حملته على الحبشة فقد قادها بنفسه وكانت بدايتها أن قام بتقوية المدن الواقعة على طريق الحملة . واثناء تقدمه تشير الاخبار الى انه قد زار مدينة اسوان . واستنادا الى الرواية التي التي ذكرها هيرودوتس لم تكن الحملة التي جهزها قمبيز كاملة الاستعدادات بل كانت تعاني من نقص في المؤن . واضافة الى ذلك فان جيشه قد قابل وهو في طريقه الى الحبشة مجموعة من الزنوج آكلي لحوم البشر ،ولذلك فقد اضطر قمبيز على ان يتخلى عن غايته . ومما يؤيد صحة اخبار هيرودوتس حول فشل هذه الحملة هو ان الحبشة لم تخضع للحكم الاخميني الا في زمن الملك دارا الاول .

وفي نهاية عام ٥٢٤ او بداية عام ٥٢٣ ق . م عاد قمبيز الى مدينة منفس بعد فشل حملته في الحبشة وقد اخمد في رجوعه الثورة التي نشبت في المدينة المذكورة ضد السيطرة الاخمينية وحكم على الملك المصري بسماتيك الثالث بالموت .

وفي شهر آذار من عام ٥٢٢ ق . م بلغته اخبار ثورة اخيه « بارديا » الذي عين نفسه ملكا على الدولة الاخمينية . فقرر قمبيز العودة الى بلاد فارس الا انه مات وهو في طريق عودته . ويعتقد بعض المؤرخين بان قمبيز مات مسموما بتدبير من الملك دارا الاول .

الملك الدعي بارديا ٥٢٢ ق.م :

تشير الاخبار والمعلومات المتناوله الخاصة والتاريخ الاخميني الى ان الملك قمبيز الثاني قد دبر قبل احتلاله مصر أمر اغتيال اخيه بارديا ، وذلك بسبب اشتراكه في الثورات التي نشبت في السنوات الاولى من حكم قمبيز . وتشير نفس هذه المعلومات الى ان الشخص الذي ثار على الملك قمبيز اثناء وجوده في مصر هو رجل غريب عن البيت الحاكم يدعى «كوماتا Gaumata المجوسي ولكنه كان يشبه بارديا ( ) وقد استطاع هذا الدعي ان يستولي على الحكم واعلن نفسه ملكا عام ٥٢٢ ق . م . وان معظم الولايات الاخمينية قد اعترفت بهذا الدعي الذي ارضى الجماهير بان اعفاهم من الضرائب مدة ثلاثة سنوات . غير ان الشخص الذي انقذ البلاد من حكم هذا الدعي كما تشير المعلومات السابقة كان الملك دارا الذي كان آنذاك حاكما على ولاية بلاد الفرثيين . والحقيقة ان المؤرخين اليونانيين وغيرهم لم يوضحوا اطلاقا هل ن

دارا قد قتل فعلا شخصا دعيا كان اسمه كوماتا المجوسي ، او انه قتل بارديا ابن كورش الثاني واخ الملك قمبيز ، فان اخبارهم متضاربة بهذا الخصوص . واضافة الى ذلك فلو راجعنا جميع المصادر الخاصة بمقتل بارديا فاننا لا نجد ان اخاه قد قتله ، ولا نستطيع كذلك ان نحدد الفترة التي قتل فيها . غير ان الشيء الذي يلفت الانتباه هو ان هذه المصادر قد اكدت ان الدعي «كوماتا» المجوسي كان كثير الشبه في بارديا كما ذكرنا وبسبب هذا الشبه الموجود بين بارديا وكوماتا المجوسي اعتقد عدد من المختصين بالتاريخ الاخميني ان دارا قد ثار على بارديا الحقيقي بعد ان انكر شخصيته ووصفه بأنه الدعي كوماتا المجوسي . وبرر نكرانه لشخصية بارديا حقيقة ادعائه بان كوماتا المجوسي يشبه بارديا شبها كبيرا بحيث لا يمكن التميز ما بينهما وعليه فيظهر ان كوماتا المجوسي كان شخصية وهمية لا وجود لها وقد فرضت على بار دا حتى يبرر دارا ثو ته عليه . لان « بارديا » وأخاه قمبيز كانا يتمتعان بجماهيرية عالية لكونهما ابناء الملك كورش الثاني مؤسس الامبراطورية الاخمينية . وبسبب ما تقدم يبدو ان الشخص الذي ثار على قمبيز اثناء وجوده في مصر هو اخوه بارديا وليس المدعو كوماتا المجوسي . ويبدو ايضا بان استيلاء بارديا على العرش الاخميني لم يأت من رغبته الحقيقية في الثورة على اخيه وانما جاء من شعوره بوجود مؤامرة داخلية استغلت غياب الملك قمبيز عن البلاد واستغلت كذلك فشل حملاته على واحة آمون والحبشة ، فاستبق بارديا هذه المؤامرة باستيلائه على مقاليد الحكم .

وقد يجوز كذلك ان بارديا لم يثر على اخيه اطلاقا وان انباء ثورته التي وصلت الى الملك قمبيز هي اخبار ملفقة وتمثل حلقة في سلسلة المؤامرة التي وضعها دارا للوصول الى الحكم اذ ان بعض النصوص البابلية التي جاءت من زمن هذا الملك تذكر بارديا على انه ملك بابل ولكن الحقيقة تستوجب ان نذكر بان هناك نصوصا اخرى بابلية وصفته بملك البلدان . غير ان الاحتمال ممكن بان تكون هذه النصوص ملفقه ايضا .

وعلى كل حال فان الفقرة التي يعتقد بان بارديا قد قضاها ملكا على الدولة الاخمينية كانت قصيرة جدا ودامت من ١١ آذار – الى ٢٩ ايلول من عام ٥٢٢ ق . م .

الملك دارا الاول ٥٢٢-٤٨٦ ق.م :

(لقد تبين من حديثنا عن الملك بارديا أن دارا قد اعد خطة محكمة استطاع بواسطتها القضاء على بارديا وعلى اخيه قمبيز ايضا) والحقيقة ان هذه الخطة لم تنفذ من قبل دارا وحده بل تشير كتابات المؤرخين اليونانيين وكتابات دارا نفسه الى ان ستة آخرين من نبلاء الفرس قد ساعدوه في تنفيذ هذه الخطة . ومما يؤكد ان ثورة دارا كانت موجهة ضد بارديا ، وان كوماتا المجوسي عل ما يبدو شخصية وهمية ابتدعتها خطة دارا تلك الثورات التي قامت بها جميع ولايات الامبراطورية الاخمينية في وجه دارا ، في حين ان هذه الولايات قد ايدت كوماتا

دارا قد قتل فعلا شخصا دعيا كان اسمه كوماتا المجوسي ، او انه قتل بارديا ابن كورش الثاني واخ الملك قمبيز ، فان اخبارهم متضاربة بهذا الخصوص . واضافة الى ذلك فلو راجعنا جميع المصادر الخاصة بمقتل بارديا فاننا لا نجد ان اخاه قد قتله ، ولا نستطيع كذلك ان نحدد الفترة التي قتل فيها . غير ان الشيء الذي يلفت الانتباه هو ان هذه المصادر قد اكدت ان الدعي «كوماتا» المجوسي كان كثير الشبه في بارديا كما ذكرنا وبسبب هذا الشبه الموجود بين بارديا وكوماتا المجوسي اعتقد عدد من المختصين بالتاريخ الاخميني ان دارا قد ثار على بارديا الحقيقي بعد ان انكر شخصيته ووصفه بأنه الدعي كوماتا المجوسي . وبرر نكرانه لشخصية بارديا حقيقة ادعائه بان كوماتا المجوسي يشبه بارديا شبها كبيرا بحيث لا يمكن التميز ما بينهما وعليه فيظهر ان كوماتا المجوسي كان شخصية وهمية لا وجود لها وقد فرضت على باردا حتى يبرر دارا ثورته عليه . لان « بارديا » وأخاه قمبيز كانا يتمتعان بجماهيرية عالية لكونهما ابناء الملك كورش الثاني مؤسس الامبراطورية الاخمينية . وبسبب ما تقدم يبدو ان الشخص الذي ثار على قمبيز اثناء وجوده في مصر هو اخوه بارديا وليس المدعو كوماتا المجوسي . ويبدو ايضا بان استيلاء بارديا على العرش الاخميني لم يأت من رغبته الحقيقية في الثورة على اخيه وانما جاء من شعوره بوجود مؤامرة داخلية استغلت غياب الملك قمبيز عن البلاد واستغلت كذلك فشل حملاته على واحة آمون والحبشة ، فاستبق بارديا هذه المؤامرة باستيلائه على مقاليد الحكم .

وقد يجوز كذلك ان بارديا لم يثر على اخيه اطلاقا وان انباء ثورته التي وصلت الى الملك قمبيز هي اخبار ملفقة وتمثل حلقة في سلسلة المؤامرة التي وضعها دارا للوصول الى الحكم اذ ان بعض النصوص البابلية التي جاءت من زمن هذا الملك تذكر بارديا على انه ملك بابل ولكن الحقيقة تستوجب ان نذكر بان هناك نصوصا اخرى بابلية وصفته بملك البلدان . غير ان الاحتمال ممكن بان تكون هذه النصوص ملفقه ايضا .

وعلى كل حال فان الفقرة التي يعتقد بان بارديا قد قضاها ملكا على الدولة الاخمينية كانت قصيرة جدا ودامت من ١١ آذار – الى ٢٩ ايلول من عام ٥٢٢ق . م .

الملك دارا الاول ٥٢٢–٤٨٦ ق.م :

(لقد تبين من حديثنا عن الملك بارديا أن دارا قد اعد خطة محكمة استطاع بواسطتها القضاء على بارديا وعلى اخيه قمبيز ايضا) والحقيقة ان هذه الخطة لم تنفذ من قبل دارا وحده بل تشير كتابات المؤرخين اليونانيين وكتابات دارا نفسه الى ان ستة آخرين من نبلاء الفرس قد ساعدوه في تنفيذ هذه الخطة . ومما يؤكد ان ثورة دارا كانت موجهة ضد بارديا ، وان كوماتا المجوسي عل ما يبدو شخصية وهمية ابتدعتها خطة دارا تلك الثورات التي قامت بها جميع ولايات الامبراطورية الاخمينية في وجه دارا ، في حين ان هذه الولايات قد ايدت كوماتا

المجوسي . لان كوماتا المجوسي هو بارديا نفسه ، اي انه من صلب البيت الحاكم ، ذلك البيت الذي تمكن من تحرير الفرس من نير التبعية وكون لهم الامبراطورية الاخمينية المتوامية الاطرف .

من اولى الثورات التي قامت بوجه دارا الثورة التي نشبت في ميلام وتلتها ثورة اخرى في ولاية « ماركيانا » غير ان هذه الثورة قد قضي عليها في البال اما الثورة « نيدنتوبيل » الذي سمى نفسه نبوخذ نصر الثالث . Nidintu Bel

هذا وان ثورتي عيلام وبابل صارتا سببا في قيام بقية الثورات على الملك دارا . والحقيقة ان من اخطر هذه الثورات واهمها بالنسبة للملك دارا كانت الثورة التي نشبت في بابل . لان انفصال بابل عن جسم الامبراطورية الاخمينية صار سببا في فصل كل الولايات الواقعة في الجهة الغربية من الامبراطورية المذكورة ولهذا السبب فقد جهز دارا حملة كبيرة على بابل وقاد هذه الحملة بنفسه . وفي اليوم الثالث عشر من شهر كانون الاول من عام ٥٢٢ ق . م تمكنت قوات الملك دارا من عبور نهر دجلة واتجهت نحو مدينة بابل . وعند موقع يدعى « ززنا -Zazana وقعت المعركة بين الجيشين الاخميني والبالي وكان النصر فيها الى جانب الاخمينيين ، وأخذ على اثرها الثائر البابلي نيدنتوبيل .

وبينما كان دارا في مدينة بابل حدثت ثورات اخرى في بلاد فارس وبلاد ميدية واشور وسورية وعدد آخر من الاقطار . واضافة الى ذلك فان المعلومات المتوفرة تؤكد على ان بابل قد ثارت مرة أخرى بقيادة شخص اسمه « اركسا - سمي نفسه نبوخذ نصر الرابع وثورة اركسا قد حدثت في شهر آب من عام ٥٢١ ق . م . اي بعد حوالي ستة اشهر من احتلال دارا لمدينة بابل .

ومع كثرة هذه الثورات التي قامت بوجه دارا ، الا انه تمكن من اخمادها في فترة عام واحد رغم ان عمره آنذاك لم يتجاوز الثامنة والعشرين . وان دل هذا على شيء فانما يدل على قدرة دارا وبراعته السياسية والعسكرية .

فمن اولى الاعمال التي قام بها دارا بعد تسلمه مقاليد الحكم زواجه من ابنة الملك كورش الثاني « اتوسا - Atossa » وتقريبه لجميع افراد عائلتها . اذ بعمله هذا قد جعل من افراد البيت الحاكم السابق اتباعا واعوانا له . واضافة الى ذلك يبدو ان دارا حاول باساليب ذكية خدمة المؤرخين من اجل ارجاع اصله الى سلالة البيت الحاكم . اذ اكد في كتاباته على ان والده هستابس كان ابن الملك ارشما . وكما ذكرنا في بداية هذا الفصل كان ارشما ابن الملك اريارامنا ، الذي لا يوجد لدينا بخصوصه سوى اللوح الذهبي المشكوك في اصالته . وعليه يمكننا ان نفترض في هذا المجال على ان الملك اريارامنا وابنه ارشما هما كذلك من ابتداع الملك دارا

نفسه . وان اللوح الذهبي المذكور هو من صنع دارا كذلك .

ان هذه المعلومات عن دارا رغم ما فيها من التزوير التاريخي تشير الى ذكائه وقدرته على تحمل اعباء الحكم . وذلك اضافة الى ما حققه خلال فترة حكمه من انتصارات سريعة في جميع الولايات التي ثارت عليه واصلاحات ادارية سوف نتحدث عنها في مجال آخر .

ومن اعمال دارا العسكرية الاخرى حملاته على القبائل الاسكيثية التي كانت تسكن المنطقة الواقعة ما بين بحر ارال وبين بحر قزوين . لان هذه القبائل كانت تهدد بأستمرار أمن الجبهة الشمالية الشرقية من الامبراطورية الاخمينية ولذلك قرر دارا في عام ٥١٣ ق . م الهجوم على هذه القبائل عن طريق القارة الاوربية . هذا وقد تعاونت مع الملك دارا في هذه الحملة بعض الفرق (اليونانية) كما ان المهندس الايوني المدعو « ماندروكلس Mandrokles » قد اقام جسرا لهذه الحملة على مضيق البسفور. فربط بهذا الجسر لاول مرة القارة الاسيوية بالقارة الاوربية . فعبرت عليه القوة الاخمينية ووصلت في سيرها الى الدانوب والفولجا ، الا ان القبائل الاسكيثية لم تشتبك مع الجيش الفارسي في اية معركة واضطر ذلك الجيش الاخميني على الرجوع . وبالرغم من عدم استطاعة هذه الحملة من تحقيق النجاح في اخضاع القبائل الاسكيثية الا انها مكنت الفرس من السيطرة على « تراقيا – Thrakien » وهذه السيطرة قد قربت حدود الامبراطورية الاخمينية من حدود بلاد اليونان .

(ومن الاعمال التأديبية الاخرى التي قام بها الملك دارا اخضاعه الثورة التي قامت بها المدن الايونية تلك الثورة التي لا نعرف دوافعها الحقيقية ، غير انها قد نالت تأييد اليونان ومساعدتهم . مما جعل دارا يصمم على احتلال اليونان) . وبدأ ذلك بان بعث رسله الى جميع المدن اليونانية والى اسبارطة واثينا يطلب منهم ان يمنحوه مزيدا من الاراضي والممرات المائية في تلك المنطقة . وقد وافقت على طلبه جميع المدن اليونانية ما عدا اسبارطة واثينا ، حيث قامتا بقتل رسل الملك دارا ، الامر الذي دفع بالملك الفارسي الى ارسال حملة عام ٤٩٠ ق . م وتقابلت هذه الحملة مع الجيش اليوناني في موقعة مراثون ، تلك الموقعة التي انتصرت فيها الجيوش اليونانية . وسوف نتكلم بالتفصيل عن هذه المعركة في كلامنا عن الحروب الفارسية اليونانية .ولقد سجل دارا انتصاراته العسكرية على الملوك والولايات التي ثارت عند تسلمه مقاليد الحكم في منحوتة جبلية تعرف بأسم « بهستون » وقد نقشت هذه المنحوتة على الوجه الصخري الحاد لجبل بهستون القريب من مدينة كرمنشاه الحالية وبأرتفاع يتراوح ما بين ١٣٠ و ١٤٠ م . ويشاهد في هذه المنحوتة الملك دارا وفوقه صورة الاله « اهورا مزدا » رمز حمايته له ويخرج رأسه هذا الاله وكتفاه من قرص الشمس المجنح وهو شعار شبيه بشعار الاله اشور ، وقد وضع الملك قدمه على جسم ما اسماه بالثائر الدعي كوماتا (بارديا) ، ويقف خلفه ثمانية من الملوك الذين ثاروا عليه وهم مربوطون

بالحبال . ودون دارا حول هذه المشاهد باللغة الاخمينية والعيلامية والبابلية اخبار اخماده للثورات العديدة بعون الأله « اهورا مزدا »

ان الاخبار المدونة في منحوتة بهستون لا يمكننا الاعتماد عليها كليا . اذ يبدو منها واضحا بان دارا قد وصف كل خصومه بالكذب واعتبر نفسه الصادق الوحيد في الوقت الذي نجد فيه بان الملك دارا نفسه كان عارفا بان الناس سوف لا يصدقدن بما جاء في هذه الكتابات من اخبار، بحيث ضمن كتاباته لعنة الاله اهورا مزدا لكل من يشك في صحة الاخبار الواردة فيها والحقيقة ان سبب اتهام الملك دارا لخصومه بالكذب وان لعنة الاله اهورا مزدا تحل على كل من يشك في صحة اقواله، راجع الى كونه يعرف جيدا بان حكاية نسبه وقصة كوماتا المجوسي كانت تلفيقا ضد الملك بارديا . وان الثورات التي قامت ضده كانت بسبب اعتدائه على حرمة البيت الحاكم ، الذي اسس الامبراطورية الاخمينية . ولهذا السبب عمل دارا جاهدا على تمويه حقيقة وصوله الى الحكم . وان اهتمام دارا بهذا الموضوع دفعه الى تدوين ما جاء في منحوتة بهستون باللغة اليونانية كذلك . ووزع تلك الكتابات بين المدن الايونية . اذ عثر في بعض هذه المدن المذكورة على عدد من النصوص المدونة باللغة اليونانية وتحتوي في مضمونها على بعض من اخباره المثبتة اعلى منحوتة بهستون .

هذا ومما تجدر الاشارة اليه بخصوص الكتابات المذكورة في بهستون انها صارت مفتاحا في حل رموز الكتابة المسمارية . اذ ان احد الضباط الانكليز العاملين في الجيش الايراني والمدعو هنري رولنصون قد قام بعمل قالب لهذه الكتابة رغم ارتفاعها الهائل . والطريقة التي اختارها رولنصون لعمل القالب تعتبر بحد ذاتها من المغامرات المحفوفة بالمخاطر . اذ لم يكن بامكانه الوصول الى المستوى الذي كانت عليه المنحوتة لعلوها الشاهق ولذا فقد صعد الى قمة جبل بهستون من الجهة التي يمكن الصعدد منها . ومن قمة الجبل كان يدلي نفسه بالحبال الى مستوي المنحوتة . وبهذه الطريقة الخطرة تمكن من عمل قالب لكل كتابات بهستون . علما بان ارتفاع قمة الجبل عن مستوى المنحوتة يقدر بحوالي ٦٠ م . واضافة الى هذا العمل الجبار فان هنري رولنصون قد تمكن كذلك عام ١٨٣٥ م ان يتوصل الى حل رموز الكتابة المسمارية الاخمينيه التي كانت منقوشة على المنحوتة .

تنظيمات دارا الادارية

(لقد اجرى الملك دارا خلال الفترة ما بين عامي ٥١٨ -- ٥١٤ ق . م عددا من التنظيمات الادارية . وكانت هذه التنظيمات تهدف بلا شك الى وضع نظام يمكنه من ادارة الاجزاء الواسعة من الامبراطورية الاخمينة .)

والحقيقة ان قدرة الملك دارا الادارية قد مكنته من الوصول الى تنظيم يمتاز بالمرونة من ناحية وبالتماسك من الناحية الاخرى) وان صفة المرونة والتماسك التي يمتاز بها نظامه الاداري الجديد

هي قدرته على التوفيق بين طبيعة النظام الاقطاعي القديم وبين مركزية الحكم الذي فرضته السيادة الاخمينية على جميع البلدان التي خضعت لها .

وتتلخص تنظيمات دارا الادارية في انه قد قسم الامبراطورية الاخمينية الى عدة ولايات . ووضع على كل ولاية من هذه الولايات حاكما يدعى باليونانية **Satrap** وكلمة « ساتراب » تعني حرفيا « مظلة الحكم » . هذا وان المعلومات المتوفرة عن التاريخ الاخميني تؤكد ان نظام الولايات ومنصب الـ « ساتراب » كان متبعا كذلك في زمن الملك كورش الثاني . وعليه يعتقد ان اصل هذا النظام يرجع الى بلاد ميدية . اذ ان الفرس باحتلالهم لميدية تعلموا منها الكثير واخذوا تنظيماتها الادارية ، تلك التنظيما ت التي كانت متأثرة بدورها بالتنظيمات الادارية الاشورية ، غير ان الفرق في تنظيمات الملك دارا وبين تنظيمات الملك كورش الثاني يتميز في حجم الولايات ، اذ اصبح في زمن دارا اصغر نسبيا من حجم الولايات التي كانت في ز من كورش الثاني .

هذا من جهة ومن الجهة الاخرى فقد منح دارا حكام ولاياته الحرية المطلقة فـــي ادارة ولاياتهم ولكنه في الوقت ذاته ألزم كل حاكم من حكامه ان يقدم سنويا النسبة المفروضة على ولايته من الضرائب . وبهذا الاسلوب يكون دارا قد حافظ نسبيا على حرية النظام الاقطاعي القديم ولكنه في الوقت نفسه ربطه بالسلطة المركزية من خلال الزامه بتقديم نسبة مقررة من الضريبة السنوية . وان هذه الحرية التي منحها الملك دارا لحكام ولاياته ادت الى خلق علاقة ودية بينه وبين حكام تلك الولايات بحيث ان حبهم وطاعتهم له كانت طوعية وليست قسرية . لانها كانت تعتمد على الثقة المتبادلة بين الطرفين .

وكانت هذه الناحية بالذات مشجعة لحكام الولايات لتقديم خدماتهم بكل جدية واخلاص .

وعلى الرغم من ان الملك دارا قد وضع السلطة الحقيقية بيد الفرس فقط ، لان حكام الولايات وقادة الجيش كان يجب ان يكونوا من العنصر الفارسي . الا انه ترك بقية الوظائف الاخرى في الولايات لسكان الولايات الاصليين . وبهذا العمل يكون دارا قد اعطى للقوميات الاخرى من غير الفارسية الحق كذلك في ادارة شؤونهم الخاصة بأنفسهم .

ونذكر في ادناه عدد الولايات التي قسمت اليها الامبراطورية الاخمينية خلال الفتـــرة التي دونت بها كتابات بهستون . لان العدد الذي سنورده يعتمد كليا على عدد الولايات التـــي اشارت اليها الكتابات المذكورة . كما ينبغي علينا ان نضع بعين الاعتبار ان عدد هذه الولايات لم يبق ثابتا خلال فترة حكم الملك دارا بل كان خاضعا للزيادة والنقصان .

- ولاية فارس ٢ - ولاية عيلام ٣ - ولاية بابل ٤ - ولاية آشور ٥ - ولاية منطقة جزيرة ٦ - ولاية مصر ٧ - ولاية المنطقة الجنوبية من آسيا الصغرى ٨ - ولاية ساردبس عاصمة ليدية) ٩ - ولاية الجزر الايونية ١٠ - ولاية ميدية ١١ - ولاية ارمينية ١٢ - ولاية منطقة الفرثيين ١٣ - ولاية درانكينا ١٤ - ولاية قوقاسية ١٥ - ولاية خوارزم ١٦ - ولاية كبدوكية ١٧ - ولاية افغانستان ١٨ - ولاية منطقة الصغد ١٩ - ولاية قندهار ٢٠ - ولاية منطقة الاسكيثيين ٢١ - ولاية مساغيتا ٢٢ - ولاية ارخوسين ٢٣ - ولاية ماكا .

وبعد ذلك استحدثت ولايات اخري مثل : ٢٤ - ولاية ليبيا ٢٥ - ولاية النوبة ٢٦ - ولاية تراقية .

اما ما يتعلق بنسبة الضرائب التي كانت تدفعها كل ولاية من هذه الولايات ، فان كتابات المؤرخين اليونانيين وخاصة كتابات هيرودونس تشير الى ان ولاية بابل كانت تدفع ايام حكم الملك دارا اعلى نسبة من الضرائب وتقدر بألف وزنة (تالدت) من الفضة . علما بان التالدت الواحدة تساوي ٣ر٣٠ كغم . وهذا يعني ان ولاية بابل وحدها كانت تدفع سنويا ثلاثين الف طن و ٣٠٠ كغم من الفضة . وولاية مصر كانت تدفع ٧٠٠ كغم من الفضة مع كمية من الحبوب . وغالبا ما كانت تدفع هذه الضرائب على شكل آنية معمولة من المعادن الثمينة او ملابس او حيوانات . اما الولايات التي تتوفر فيها الخيول فقد كانت معظم ضرائبها من الخيول التي كانت تستخدم عادة للأغراض الحربية ونقل البريد .

وفيما يخص اللغة المشتركة التي كانت تستخدم في المعاملات التجارية والادارية بين الولايات المختلفة فان نتائج التنقيبات التي اجريت في بعض اجزاء بلاد فارس قد بينت لنا على ان اللغة العيلامية والخط المسماري العيلامي قد استخدما لهذا الغاض في الفترة الاولى من حياة الامبراطورية الاخمينية وخاصة بعد احتلال كورش الثاني لبلاد عيلام . وبعد فترة من ذلك بدأت اللغة الارامية والخط الارامي يستخدم لمثل هذه الاغراض وذلك لسعة انتشار اللغة الارامية وسهولة الخط الارامي . اما الكتابات الملكية والكتابات التذكارية فقد كانت تكتب على الاغلب باللغات الاخمينية والعيلامية والبابلية وبخطوط هذه اللغات الثلاثة المسمارية . وفي بعض الاحيان كان يستخدم الخط الارامي واللغة الاخمينية في الكتابات التذكارية . ومن احسن الامثلة على ذلك كتابات الملك دارا في « نقش رستم » .

هذا وان السبب الذي دفع الفرس الاخمينيين الى استخدام هذه الخطوط الغريبة عنهم ولم يستخدموا خطهم الخاص يرجع الى ان الخط الاخميني المسماري قد ابتكر على ما يرجع ايام حكم الملك كورش الثاني . فهو والحالة هذه خط لم تألفه شعوب المنطقة ولا الفرس انفسهم .

دراسة شكل العلامات المسمارية للخط الاخميني يبد حا بانه لا يمثل مرحلة تطورية المراحل التي مرت بها الكتابة المسمارية وانما هو خط ، ولكنه كان متأثرا جدا بالخط الهجائي . ولهذا السبب فانه خط نصف هجائي ويت من (٤٢) علامة مسمارية

وعلى اغلب الظن ان نسبة قليلة جدا من الفرس الاخمي كانوا يجيدون هذا الخط وعليه صر استعماله على الكتابات التذكارية كما هو الحال مع المسماري العيلامي والبابلي .

و ظيمات المهمة الاخرى للملك دارا التنظيمات الخاصة . . وبالرغم من ان البريد ي كان متأثرا باسلوب البريد الاشوري . الا ان دارا قد ن التنظيمات الاشورية وذلـ له اجزاء الامبراطورية الاخمينية بطرق عديدة ومن ا هذه الطرق الطريق الذي وصف دتسن بالطريق الملكي . اذ كان يمتد من ساردیس عاصمة لدية الى ولاية كبدوكية ومن ك يمتد باتجاه نهر دجلة ويعبر سلسلة جبال زاكروس ويصل سوسة عاصمة عيلام .

هذا الطريق وغيره من الطرق الاخرى مزودا بعدد كبير م محطات التي يتم فيها ابدال ا وعمال البريد انفسهم بعد ان يكونون قد قضوا المسافة الت مبهم وتتعب جيادهم كذلك . وان الدراسات التخمينية حول سرعة البريد جعلت بعض باحثين يعتقدون ان عمال البـ كان بأستطاعتهم ان يقطعوا في النهار الواحد مسافة تزيد ء لثلاثمائة كيلو متر . ومعنى ذلك الرسالة التي تبعث من سوسة الى مدينة ساردیس في اسيا صغرى تستغرق فترة نقلها اسبوعا ، لا اكثر . والحقيقة ان فترة اسبوع واحد ليست طويلة جد ذا ما وضعنا بنظر الاعتبار بعد ا ة بين المدينتين المذكورتين .هذا وان الاسكندر المقدوني كا معجبا بتنظيمات البريد الاخمينية علها مثالا يقتدى به .

واضافة ا تنظيمات التي اوردناها في اعلاه والتي كانت تهدف في حملها الى ربط الولايات المتعددة سلطة الاخمينية المركزية ، اوجد دارا جهازا امنيا يزوده بالا ار التي تتعلق بسلامة وأمن امبر رية . وكان الافراد العاملون في هذا الجهاز الامني مرتبط مباشرة مع الملك وكانوا يدعون ، قبل الشعب بعيون وآذان الملك . وبالرغم من ضرورة مثل هذا الجهاز الامني الا انه كان يسبب في بعض الاحيان مضايقات لحكام الولايات باعتبار ان افراد الجهاز المذكور يجعلون انفسهم على م المساواة مع هؤلاء الحكام . كما انهم كانوا يسيئن في تقاريرهم الى بعض الحكام الذين لم يكونوا على وفاق تام مع افراد الجهاز الامني . وكانت ذه الاسائة تغش الملك وتفقده ثقته بحكامه .ومن السلبيات الاخرى التي كانت تعاني منها الى حد ما الامبراطورية الاخمينية تتمثل بالاوضاع الاقتصادية . اذ انها لم تكن على مستوى موحد في جميع الولايات . ففي اسية الصغرى (ليدية) وبابل ومصر كان نظام التعامل الاقتصادي النظام النقدي الـــــذي كان يستخدم المسكوكات الذهبية في الوقت الذي كانت فيه بقية الولايات تتعامل نظام المقايضة .

ن الملك دارا حاول ازالة هذا الفرق في نظم تعامل ولاياته المختلفة لذلك سك عمله ذهبية خاصة
مبراطورية الاخمينية ، وذلك من اجل ان تحل تدريجيا محل نظام المقايضة المتبع في عدد
قليل من ولايات الدولة الاخمينية .
ما يخص اعمال الملك دارا في المجال الديني فان كتاباته قد وضحت انه كان يقدس الالـه
هورا مزدا » ، في الوقت الذي تشير فيه الكتابات القديمة الى ان الفرس كانوا يعبدون الالـه
شرا » اله العدل والمتمثل بالشمس ويعبدون ايضا الهة المياه والخصب الالهة « اناهيتا » ولهـذا
جب يمكننا ان نقول بان دارا قد ادخل اثناء حكمه الديانة الزرادشتية وجعلها دين الدولة الرسمي
ان كتاباته المنقوشة في جبل بهستون ونقش رستم قد أكدت ان انتصاراته على اعدائه كانت
ن الاله اهورا مزدا .

وكان اول من بشر بالزرادشتية شخص يدعى زراثوسترا **Zarathustra**
عتقد ان ظهور هذا المبشر بالديانة الجديدة كان في اواخر القرن السابع اوفي بداية القرن
سادس قبل الميلاد . وكانت ديانته تدعو الى عبادة اله واحد هو الاله اهورا مزدا اله العدل
خير والاحسان ومع هذا فان الزرادشتية تعترف بوجود مبدأ الشر الذي أسماه زراثوسترا بأسم
« اهريمان » وخيرت الناس في اتباع احد المبدأين ولكنها تعتقد بأن مبدأ الخير هو الذى
ينتصر في النهاية . كما أنها تؤمن بيوم الحساب الذى سيكون فيه اهورا مزدا الديان الاعظم
يساعده فيه زراثوسترا الذي سيقود الصالحين عبر السراط الفاصل بين النعيم والجحيم .
ما اعمال دارا في مجال التشريعات القانونية فلم نعثر له على اية شريعة ؛
لا ان كتاباته الملكية كانت تحمل الكثير من الاشارات التي يمكننا ان نعتبرها الاسس
لتي كانت تقوم عليه الشريعة في زمانه . ومن دراسة هذه الاشارات يبدو واضحا الشبه الكبير
لموجود بينها وبين ما جاء في شريعة حمورابي . ومن الامثلة الجيدة على ذلك هو مضمون
ضحا الشبه الكبير الموجود بينها وبين ماجاء في شريعة حمورابي . ومن الامثلة الجيدة على
ذلك هو مضمون كتابته على نقش رستم التي جاء فيها : --
بعون الاله اهورا مزدا . انني من اصدقاء الحق ولست من انصار الرذيلة . وانني لا ارضى
ان يستغل القوى الضعيف اوان ينتصر الباطل على الحق . وما دمت قويا فانا المحارب الجيد ..»
والحقيقة ان من يقرأ مقدمة شريعة حمورابي يجد فيها كذلك الدعوة لحماية الضعيف من استغلال
القوى والعمل على نشر الحق والقضاء على الرذيلة . هذا ويبدو ان الملك دارا قد اخذ
قواعد القانونية البابلية عن طريق العيلاميين . اذ ان ملكهم
المدعو شتروك ناخونتي قد غزا مدينة بابل في حوالي ١١٧١ ق . م ونقل منها شريعة حمورابي
الى مدينة سوسة عاصمة عيلام لتكون المثل الذى يهتدى به في مجالات التشريع العيلامية .

المبحث الثالث

الحروب الفارسية اليونانية

ان المعلومات المتوفرة لدينا عن الحروب الفارسية اليونانية تعتمد بشكل رئيس على المصادر اليونانية وخاصة ماذكره هيرودتس عنها .

والحقيقة ان كتابات هيرودوتس بهذا الخصوص افضل من بقية الاشارات الاخرى المتعلقة بالحروب الفارسية اليونانية بالرغم من اعتقادنا بأنه قد يتحيز احيانا الى الجانب اليوناني باعتباره يوناني الاصل . هذا من ناحية ومن الناحية الاخرى فان هيرودوتس قد عاش خلال الفترة التي حكم فيها « بوبكلس » (١) على اليونان . فلا بد وان راعى في كتاباته مشاعر هذا الحاكم . ومع ذلك فان افضلية اخبار هيرودوتس تعود الى كونه قد عاصر الاشخاص الذين شاركوا في تلك المعارك . لان ولادته كانت في عام ٤٨٠ ق . م ووفاته في عام ٤٢٤ ق م . ومعنى ذلك انه قد حصل على معلوماته من شهود العيان لأحداث تلك المعارك . ومن الادلة الاكيدة التي توضح أن هيرودوتس قد تحيز الى الجانب اليوناني وكان مراعيا في كتاباته مشاعر « بوبلكس » مبالغاته بالارقام المتعلقة بخسائر الفرس . اذ ان جميع الباحثين يرون ان الارقام التي وردت في كتاباته مبالغ فيها ولا يمكن ان تطابق الواقع المنطقي . ومع ذلك فاننا مضطرون الى الاعتماد على ما ذكره هيرودوتس وبقية المورخين اليونانيين بخصوص الحروب المذكورة لان الفرس الاخمينيين لم يذكروا لنا شيئا عن اخبار تلك المعارك ، ذلك لأن نتائجها لم تكن تتناسب ومكانة الامبراطورية الاخمينية آنذاك .

ان البداية الاولى للحروب الفارسية اليونانية تتمثل بالثورة التي قامت بها المدن الايونية ضد حكم الملك دارا . وفي حديثنا عن اعمال دارا الحربية اشرنا الى ان السبب الحقيقي لثورة المدن الايونية غير معروف تماما . الا ان بعض المؤرخين اليونانيين قد اشار الى ان حاكم هذه المدن والمدعو اريستاكوراس Aristagores قد اتفق مع حاكم ولاية ساردیس الفارسي على احتلال جزيرة « ناكسوس Naxos » وان الحملة التي

---

(١) ان تاريخ اليونان القديم قد مر بأربعة عهود وهي ما يلي : ١ - عهد الملوك ١١٠٠ - ٧٥٠ ق . م ٢ - عهد النبلاء ٧٥٠ - ٦٢٥ ق . م ٣ - عهد الطغاة ٦٢٥ - ٥٢٥ ق . م ٤ - عهد الديمقراطية ٥٢٥ - ٤٠٠ ق . م . وبريكلس حكم في العهد الرابع من عام ٤٦٠ - ٤٣٠ ق . م حيث بلغت الديمقراطية ايام حكمه انضج مراحلها . ولكنها بدأت بالانهيار بعد انتهاء حكمه .

ـزها هذان الحاكمان قد فشلت في تحقيق الهدف ولذلك فان حاكم المدن الايونية قد خاف
ـاب الملك داريوس بسبب فشل الحملة المذكورة فقرر الثورة على الحكم الفارسي لأنه اي
اريستاكوراس » قد وجد في ثورته الخلاص الوحيد في عقاب دارا). والحقيقة ان هذا السبب
ـي ذكره المؤرخون اليونانيون بخصوص ثورة المدن الايونية يعتبر من الاسباب المقنعة ولذا اعتقد
ـض المؤرخين المحدثين بان السبب المباشر لثورة المدن المذكورة ربما يكمن في المضايقة التـي
ـصلت للسفن التجارية الايونية من جراء احتلال قمبيز لمصر ومن جراء سيطرة الملـك
ـرا على مضيق البسفور والدردنيل وذلك عندما ارسل حملته ضد القبائل الاسكيثية . اذ سبق
ـن قلنا بان الحملة لم تحقق اهدافها ولكنها مكنت الملك دارا من السيطرة على اقليم تراقية
ـاقع في الضفة الاوربية من البسفور . ومع وجاهة هذا السبب فأنه كذلك لم يكن في اعتقادنا
ـسبب الحقيقي في ثورة المدن الايونية . لان هذه المدن قد شاركت ببعض فرقها مع حملة
ـرا على القبائل الاسكيثية . واضافة الى ذلك فقد سبق وان رأينا بان المهندس الايوني « ماندروكلس»
. قام ببناء جسر على البسفور ربط به لاول مرة القارة الآسيوية بالقارة الاوربية ، وبواسطته عبرت
ـات الملك دارا الى الضفة الاوربية من مضيق البسفور . وعليه فنعتقد ان ثورة المدن الايونية
ـما جاءت بتحريض من اليونان ، لان المدن المذكورة لا تستطيع الوقوف لوحدها بوجه القوة
ـفارسية الاخمينية . اذ ان المعلومات لدينا عن ثورة المدن الايونية قد اشارت الى ان اريستاكوراس
ـاكم هذه المدن قد سافر عام ٥٠٠ ق . م الى اثينا وتشاور مع رجالاتها حول ثورته ،وان اثينا
ـ وعدته بتقديم اسطولها الحربي مساندة منها لثورته . والسبب الذى دعى اثينا الى الاصطدام
ـع الدولة الاخمينية من خلال مساعدتها للمدن الايونية يرجع بالتأكيد الى تخمينهم الصائب
ـن الفرس الاخمينيـيـن سوف يهجمون على اثينا عندما تحين الفرصة المناسبة لذلك . وعلى
ـساس هذا التخمين فقد قررت اثينا اثارة الاضطرابات بوجه الامبراطورية الاخمينية كي لا
ـسمح لها باحتلال اثينا في الوقت الذى يختاره الفرس انفسهم . لان قرار الملك دارا في محاربة
ـقبائل الاسكيثية عبر القارة الاوربية يبدو انه كان حجة مكنته من السيطرة على الضفة الاوربية
ـضيق البسفور من اجل ان يمهد الطريق لا حتلال اثينا . ومما يجعل هذا الاحتمال راجحا
ـهو ان حملة الملك دارا لم تتصادم مع القبائل الاسكيثية اطلاقا بحجة ان القبائل المذكورة
ـانت تتحاشى الجيش الفارسي . وعلى كل حال فقد بدأ الايونيون ثورتهم ضد الفرس الاخمينيين
ـحتلال مدينة ساردیس عاصمة ولاية ليدية وأبادتها بالسيف وبالحريق . كما انهم طلبوا مـن
ـجميع المدن اليونانية ان تعلن الحرب على الفرس . وقد لبت المدن المذكورة النداء فقامت بحرق
ـلمدن الواقعة ما بين البسفور وجزيرة قبرص . ونتيجة ذلك فقد جهز الملك دارا حملة عسكرية

على هذه المدن الثائرة . واستطاعت هذه الحملة في بدايتها ان تحرز النصر على بعض المـــــدن اليونانية مثل قبرص وغيرها ، وكانت المقاومة التي ابدتها المدن اليونانية شديدة ولكن مع ذلك استطاعت هذه الحملة في النهاية احتلال مليطية Milletes عاصمة المدن الايونية . وعلى أثر ذلك قام الفرس بتهجير سكانها الى المناطق الواقعة على نهر دجلة في اسيا الصغرى ، واضافة الى ذلك قام الجيش الفارسي ايضا باعادة تقسيم المدن الايونية بغية تشتيت اليونانيين الذين تسببوا في نشوب الثورة .

(ان مساعدة اثينا لثورة المدن الايونية صار سببا مباشرا للملك دارا لأن يبدأ بوضع الخطة المناسبة لاحتلال اثينا والا فأنها سوف تكون دائما السبب المباشر في اثارة الاضطرابات بوجه الامبراطورية الاخمينية) . وقد بدأ خطته كما رأينا فيما سبق بان بعث رسله الى جميع المدن اليونانية والى اسبارطة واثينا كذلك يطلب منها ان يمنحوه مزيدا من الاراضي والممرات المائية في تلك المنطقة . وقد وافقت على طلبه جميع المدن اليونانية ماعدا اسبارطة واثينا ، حيث قامتا بقتل رسل الملك دارا . وبطبيعة الحال اغاض هذا العمل الملك الفارسي كثيرا فقرر محاربة اثينا في الحال ، وكان ذلك في عام ٤٩٠ ق . م . وفي هذا التأريخ المذكور رفعت السفن السفن الاخمينية الموجودة في ولاية كليكية اشرعتها بعد ان حملت بالجنود المشاة والخيالة المهيئين للقيام بالانزال على الاراضي اليونانية . هذا ويقدر عدد الجنود المشاركين في هذه الحملة بـ ٢٥٠٠٠ جندي . وكان هدفها الرئيس كما تذكر المصادر اليونانية معاقبة سكان اثينا على مساعدتهم لثورة المدن الايونية والسيطرة كذلك على جميع المدن اليونانية التي لم تتعرف بالسيادة الاخمينية . لان سيطرة الفرس على جميع المدن اليونانية سيساعدهم على تثبيت اقدامهم في المدن الايونية ويمنعها من القيام بالاضطربات .

بدأت الحملة الفارسية هجومها باحتلال عدد من الجزر اليونانية تمهيدا لأحتلال اثينا . وفي هذا الاثناء كانت اثينا تستعد لمقابلة الجيش الفارسي . وكان اعتقاد رجالات اثينا بان الفرس سيقومون بانزالهم على الاراضي اليونانية من خليج « فاليرون – Phaleron » الواقـــــع الى الجنوب من اثينا . ولكن القوات الفارسية اختارات سهل «مراثـــــون» فقامت بانزال قواتها فيه وبعد ان علمت اثينا بنبأ الانزال قرر مجلسها الشعبي وفقا لنصحة « ميلتيادس – Miltiades » احد قواد اثينا العسكرين ، ان تخرج قوات اثينا وتواجه الجيش الفارسي وعدم الانتظار لحين وصوله ومحاصرته للمدينة). لان اثينا لم تملك الاستعدادات الكافية لمجابهة الحصار الذي سيفرضه القوات الاخمينية عليها . وبالفعل فقد خرجت القوات الاثينية من المدينة وسارت لمواجهة الجيش الفارسي في سهل

اثون وعندما حدثت المعركة بين الطرفين استطاع الجيش الاثيني وفق التوزيع الذي فرضه
ملتيادس على القوات الاثينية ان يحدث خسائر كبيرة في الجيش الاخميني مما اضطره
الى التراجع الى سفنه . ويذكر هيرودوتس بان خسائر
الجيش الفارسي قد بلغت ٦٤٠٠ جنديا بينما كانت خسائر الجيش الاثيني ١٩٢ جنديا فقط .
ومن الطريف ذكره في هذه المعركة ان الجيش الاسبارطي حليف اثينا قد وصل بعد حدوث المعركة
بيوم واحد . وقد اعتذر الاسبارطيون عن هذا التأخير بعذر هو ان لم يكن من المسموح لهم ارسال
الجيش الى المعركة ما لم يصبح القمر بدرا . واضافة الى حجة الاسبارطيون في وصولهم متأخرين
عن موعد المعركة فان كتابات المؤرخين اليونانيين تشير الى ان احد الاشخاص الاثينيين الذي شاهد
انتصار قوات اثينا قد ذهب راكضا من مكان المعركة حتى مدينة اثينا ليخبر سكانها بالنصر الذي
حققه الاثينيون وهزيمة الجيش الفارسي . وعند وصول
هذا الراكض الى مدينة اثينا وتبليغه لسكانها
بخبر الانتصار سقط ميتا من شدة التعب . وعلى ما يبدو ان سباق الركض للمسافات الطويلة والذي
يصطلح عليه سباق المراثون كان نتيجة لهذه الحادثة . هذا ويبدو من المعلومات المتوفرة عن هذه
المعركة بان خسائر الفرس فيها لم تكن جسيمة بحيث انهم قرروا الهجوم على اثينا بعد رجوعهم
مباشرة الى السفن وذلك عن طريق خليج فاليرون الواقع كما قلنا الى الجنوب من اثينا . واضافة الى
ذلك فانهم حاولوا في هذا الهجوم ان يسبقوا الجيش الاثيني في الوصول اليها . وعلى هذا الاساس
يمكننا ان نفترض بان اختيار الفرس لسهل مراثون مكانا للمعركة وتراجعهم فيها كان جزءاً من الخطة
التي كانت ترمي الى سحب الجيش الاثيني بعيدا عن المدينة حتى يتمكنوا من الالتفاف عليه
عن طريق خليج فاليرون . غير ان خبرة ميلتيادس ومعرفته بالتكتيك الفارسي جعلته يتوقع ان القوات
الفارسية سوف تعيد هجومها عن طريق خليج فاليرون ، فنصح القوات الاثينية بالتراجع سريعا الى
الخليج المذكور . وبالفعل استطاعوا الوصول الى الخليج المذكور قبل القوات الفارسية . وعندما
شاهد الاسطول الاخميني وصول قوات اثينية الى خليج فاليرون قبله قرر الانسحاب والتراجع الى
آسيا الصغرى . وكانت معركة المارثون في الواقع حسب ما ذكرنا لا تمثل خسارة كبيرة للجيش
الاخميني ولا تعتبر كذلك هزيمة بالنسبة له ، الا انها بينت للفرس الاخمينيين بان احتلال اثينا
يتطلب حملة اكثر قدرة من الحملة التي ارسلها الملك دارا . كما انها في نفس الوقت قد منحت
الاثينيين ثقة بانفسهم وبقدراتهم . ولذلك فقد جهز الاثينيون في ربيع عام ٤٨٩ ق . م حملة
عسكرية بقيادة ميلتيادس لأحتلال جزر بحر ايجة التي كانت اغلبها واقعة تحت السيطرة الفارسية .
وفي اول معركة لها جرح ميلتيادس واضطر الاسطول الى الانسحاب . وان فشل هذه الحملة التي
قادها ميلتيادس على جزر بحر ايجة فسح المجال امام منافسه « تميستوكلس - Themistokles

لان يوجه اليه تهمة خديعة الشعب اليوناني وبالفعل فقد عزل ميلتيادس على أثر هذه التهمة وحكم عليه بدفع غرامة قدرها خمسون (تالنت) من الفضة ، الا ان ميلتيادس مات بعد ذلك متأثرا بجراحه ، وبعد موته فسح المجال امام تميستوكلس ليصبح سيد اثينا .

وان فشل دارا في احتلال اثينا لم يثنه في الواقع عن هدفه ، اذ انه جهز حملة عسكرية اضخم من الحملة السابقة الا ان قيام الثورة في مصر ضد الحكم الاخميني والاضطرابات التي حدثت في بابل جعلته يؤجل موعدها حتى وافاه الاجل الذي منعه من تحقيق هذا الهدف .

خلف دارا في حكم الامبراطورية الاخمينية ابنه « احشويرش – Xerxes » الاول ٤٨٦ – ٤٦٤ ق . م . وقد قرر هذا الملك تنفيذ خطة والده الخاصة باحتلال اثينا وفي الوقت الذي كان هذا الملك يستعد لتجهيز حملته العسكرية ، كانت اثينا نفسها تستعد ايضا لمواجهة الحملة الفارسية وذلك بتقوية اسطولها الحربي حتى ان تميستوكلس قد دعى لتسخير كل اموال اثينا في سبيل تقوية وتوسيع الاسطول المذكور . هذا وقد قدمت كل الولايات التابعة للسيادة الاخمينية اساطيلها الحربية مساعدة ومساهمة منها في حملة الملك الفارسي احشويرش الاول . اما اثينا فلم يكن الى جانبها سوى دولة اسبارطة وولاية « كروتون – Kroton » الواقعة في جنوب ايطاليا .

لقد تجمع الجيش الفارسي في ساردبس عاصمة ليدية وكان مؤلفا من قوميات مختلفة كل قومية كانت ترتدي ملابسها الشعبية ، اذ يذكر هيرودوتس في هذا الخصوص بان الهنود كانوا يلبسون الملابس القطنية والاحباش يلبسون جلود الاسود وهكذا بقية القوميات الاخرى التي كان يتألف منها الجيش الفارسي . ويقدر هيرودتس عدد الجيش الفارسي بحوالي مليوني جندي غير ان الدراسات الحديثة تقدر جيش احشويرش الاول بحوالي ١٠٠٠٠٠ محارب . علما بأن قائد هذه الحملة كان الملك الفارسي نفسه .

اما الجيش الاثيني فقد كان يتوقع بان هجوم الجيش الفارسي على اليونان سيكون عبر الممر المائي المدعو « تمبة – Tempe » غير ان الملك احشويرش الاول قد غير فكرته وانزل قواته على الاراضي اليونانية في مكان آخر غير المكان الذي كان يتوقعه الاثينيون وذلك بعد ان قام الملك الفارسي بعملية التفاف حول الممر المذكور استغرقت عشرة ايام . وعلى اساس هذا الانزال وضع تميستوكلس خطة جديدة تتلخص بضرورة مقابلة الجيش الفارسي عند ممرات « ترمبولي » . اذ ان ضيق هذه الممرات الثلاثة يمكن قوة صغيرة من تأخير الجيش الفارسي اثناء مروره فيها . واوكلت مهمة اعاقة الجيش الاخميني في مضيق ترمبولي الى ملك اسبارطة « ليونيداس - اما الاسطول الاثيني فكان عليه ان يتجمع خلال فترة تأخير الجيش الفارسي في « ارتيمسيون –

Artemision » الذي يمثل الرأس الشمالي لجزيرة « يوبيا – Euboa » وبقـوم هناك بعمل الحواجز التي تعيق مرور الاسطول الفارسي .

وعندما ما اقترب الاسطول الاخميني من مضيق ترمبولي صادفته عاصفة قوية اضرت بالكثير من سفنه وادت كذلك الى وقوع خمس عشرة سفينية اخمينية عن طريق الخطأ بأيدي القوات اليونانية . ومع ذلك فان الاسطول الاخميني قد اصلح الاضرار بسرعة وقام بهجومه في المضيق المذكور فقابله ملك اسبارطة ومعه زهاء الـ ٥٠٠٠ جندي واستطاع الملك المذكور ان يؤخر الهـجوم يوما كامـلا بعـد ان ابـدى جماعته استبسالا عظيمـا فـي القتال . غير ان القوات الفـارسية قد قامت بعملية التفاف حول اسبارطة وجنوده . وبهذه العملية استطاعت قوات احشويرش ان تقضي على الملك المذكور وجميع الجنود الذين كانوا معه .واضافة الى ذلك فقد امر الملك الاخميني بقطع رأس الملك الاسبارطي عن جثته ورماه الى القوات الاثينية .

وفي اليوم الثالث من بدأ معركة ترمبولي تقابل الاسطولان الفارسي والاثيني في « ارتيميسيون » فانتهى اللقاء بتراجع الاسطول الفارسي لمناعة الحواجز وثبات الاسطول الاثيني . والحقيقة ان تراجع الاسطول الفارسي لا يعد هزيمة بالنسبة للحملة الفارسية لان الحملة المذكورة كانت تعتمد في هدفها على الجيش البري الذي ظل مهددا لمدينة اثنيا بحيث ان الاثينيين اضطروا الى اخلاء المدينة وارسلوا النساء والاطفال الى جزيرة سلاميس وجزر اخرى . اما القادرون على حمل السلاح فقد تجمعوا على سفن الاسطول الاثيني بعد ان قرروا عدم الاستسلام للفرس لان استسلامهم سوف يسبب ضياع بلاد اليونان . وبعد عملية الاخلاء هذه احتل الفرس اثنيا من دون مقاومة تذكر . اما الاسطول الاثيني فقد تجمع عند مضيق جزيرة سلاميس وكان على ظهره كل الرجال القادرين على حمل السلاح .

وبعد فترة من احتلال الجيش الفارسي لمدينة اثينا التقى الا سطولان الفارسي والاثيني في مضيق سلامين . وعلى اثر غلطة قامت بها سفن الاسطول الفارسي حينما اغرقت سفينـة فارسية اثناء تعقبها لسفينة يونانية فسبب هذا الخطأ الارتباك بين سفن الاسطول الفارسي بحيث بدأت سفنه تضايق بعضها البعض مما ساعد ذلك الاسطول الاثيني على ايقاع الخسائر الكبيرة في الاسطول الفارسي واضطره على التراجع بعد معركة دامت حوالي اثنتي عشرة ساعة . ويعتقد ان سبب خسارة الاسطول الفارسي في مضيق سلاميس يرجع الى ان مساحة هذا المضيق كانت ضيقة بالنسبة لحجم الاسطول الفارسي ولذلك صارت السفن الفارسية تربك بعضها البعض . واضافة الى ذلك فان معركة سلاميس كانت بالنسبة لليونانيين معركة حياة او موت ولذلك ابدوا فيها صمودا اضطر الفرس على التراجع .

ومع هذه الخسارة التي مني بها الاسطول الفارسي في سلاميس فان الملك احشويرش الاول لم يتخلّ عن قراره في احتلال بلاد اليونان فان جيشه البري كان لا يزال يمثل مصدر خطر على اليونانيين وزيادة على ذلك فان خسائر الجيش الفارسي لا تمثل اندحارا لقواته إنما كانت تنتج من عدم استطاعته من القضاء نهائيا على الاسطول اليوناني . وعلى هذا الاساس الفارسي « ماردنيوس Mardonios » موقع « بلاتية ـ Platea » كمكان مناسب لقواته الخيالة . وفي هذا المكان بالذات هاجمته القوات اليونانية التي كانت قيادتها بيد الاسبارطيين واحلّت عام ٤٧٩ ق.م الهزيمة بالجيش الفارسي ، تلك الهزيمة التي اضطرت الفرس ان يفعاوا عن فكرة احتلال اليونان نهائيا . هذا وان التضحيات التي قدمها الشعب اليوناني دفاعا عن حريته وكرامته لهي من الامثلة الحية على ان صمود الشعوب التي لا تبخل بتقديم التضحيات دفاعا عن حريتها سوف يكتب النصر لها لا محال .

الفصل الثالث

المبحث الاول

تدهور الدولة الفارسية وسقوطها

على يـد الاسكندر الكبير المقدوني

رأينا في حديثنا عن الحروب الفارسية اليونانية كيف أن الامبراطورية الفارسية التي وضع اسسها كورش الثاني واعاد بناءها الملك دارا قد بلغت الحد الاقصى في اتساعها ايام مؤسسها الثاني الملك دارا ولم يعد بأستطاعتها ان تضم تحت لوائها أجزاء أخرى من العالم . اذ رغم الجهود الكبيرة التي بذلها الملك دارا من اجل احتلال بلاد اليونان فان النتيجة النهائية قد تمثلت بعدم تمكنه من تنفيذ رغبته ، اذ سبق وان عرضنا النتيجة التي حصل عليها الجيش الفارسي في معركة سهل مراثون .

احشويرش الاول ٤٨٦-٤٦٥ ق.م :

(خلف الملك دارا الاول ابنه احشويرش الاول الذي سبق وان كان نائبا للملك على بابل طوال ١٢ عاما . وكان من اولى الاعمال التي قام بها هذا الملك القضاء على الثورة التي نشبت في مصر على أثر الفشل الذي واجهه دارا في معركة مراثون . اذ ان هذا الفشل قد شجعها على اعلان عصيانها بوجه الملك دارا الذي وافاه الاجل قبل ان يتمكن من اخمادها؟ . ولذلك فقد قام احشويرش الاول في السنة التالية لوفاة داريوس بالقضاء على الثورة المذكورة وعلى أخيه « اخمينس Achaimenes » حاكما على ولاية مصر) واضافة الى ذلك فان المعلومات المتوفرة تؤكد ان بابل قد ثارت خلال الفترة الواقعة ما بين عامي ٤٨٤ - ٤٨٢ . م مرتين بوجه الملك احشويرش الاول . هذا وان النصوص المسمارية البابلية تعرفنا بأسمي الثائرين البابليين اذ كان بعضهـــا مؤرخـــا بحكـــم « بيـل شيماني Bel_Simani » وشمش أربيـــي Shamash_Eriba الا ان الملك الفارسي قد تمكن كذلك من القضاء على هاتين الثورتين ولكنه غضب كثيرا من اصرار بابل على الانفصال من جسم الامبراطورية الاخمينية . فخرب بابل ودمر معابدها وفي مقدمتها « ايساكيلا » معبدها الرئيس وزقورة بابل ايضا . ويعتقد انه خرب مدينة بورسبا كذلك . واضافة الى هذا التخريب الذي احدثه الملك احشويرش الاول في مدينة بابل وبورسبا فان كتابات هيرودتس تشير الى انه قد نهب تمثالا من الذهب للأله مردوخ وصهره . فادى هذا العمل على تعطيل احتفالات عيد رأس السنة البابلية (= اكيتو) مما اثار ذلك احتجاج كهنة مدينة بابل ولكن احشويرش الاول قابل احتجاجهم هذا بان اصدر اوامره بتأسير معظمهم وقتل عدد كبير منهم وخاصة الذين حرضوا على الاحتجاج . وقد جعلت هذه الثورات التي واجهها احشويرش الاول في بداية حكمه ان يتعصب للعنصر الفارسي واعتبر شعوب بقية الولايات مجرد رعايا تابعين . ولم يهتم اطلاقا للمكانة الحضارية التي كانت تتمتع بها بعض ولايات الامبراطورية الاخمينية مثل ولاية بابل ومصر . ولذلك فقد تخلى عن اللقب الذي اوجده الملك كورش الثاني وهو « ملك بابـل » .

وبالرغم من ان معظم المصادر الخاصة بالتأريخ الاخميني ترجع سبب تعصب الملك احشويرش للعنصر الفارسي الى الثورات التي قامت ضده . الا ان الحقيقة على عكس ذلك اذ ان التسامح الذي ابداه كورش الثاني ودارا تجاه البلدان التي خضعت لسيادة الامبراطورية الاخمينية كان جزءا من الخطة التي كانت ترمي الى تثبيت اقدام الامبراطورية الفتية . وبعد ان تم لها ذلك في اواخر حكم الملك دارا بدأ ملوكها اللاحقون يظهرون مشاعرهم الحقيقية تجاه شعوب الولايات التابعة لهم . فمثلا ثارت بابل مرتين بوجه الملك دارا ولكنه لم يعاملها

معاملة الملك احشويرش الاول ، ولوكانت الثورات هي السبب الحقيقي للتعصب لكان الأولى بدارا ان يبدأ بهذا التعصب لكثرة الثورات التي قامت بوجهه ، والسبب الآخر في ظهور هـذا التعصب يرجع الى ان الضرائب الكثيرة والخبرات الفنية التي كانت ترد الى الامبراطورية الاخمينية من الولايات التابعة لها قد ساعدت على رفع مستواها الحضاري . مما دعى ذلك الملوك الذين خلفوا كورش ودارا ان يتنكروا للدور الحضاري الذي سبقتهم به بعض الولايات التي خضعت لسلطانهم .

(وبعد ان تمكن الملك احشويرش الاول من اخماد الثورات التي نشبت في ولاية مصر وبابل قرر تنفيذ خطة والده الخاصة باحتلال بلاد اليونان . فجهز حملة كبيرة وقادها بنفسه وقد رأينا اثناء حديثنا عن الحروب الفارسية اليونانية كيف استطاع الجيش الاخميني من ابادة الجيش الذي كان بقيادة ملك اسبارطة عند مضيق ترمبولي) بعد ان اخره مدة يوم كامل . وبعد يومين من معركة ترمبولي تلاقى مع الاسطول الاثيني في معركة « ارتيميسيون » التي تراجع فيها الاسطول الفارسي . ومن بعد ذلك تقابلا مجددا في مضيق سلاميس عام ٤٨٠ ق.م وحدثت المعركة بقيادة احشويرش الاول بنفسه وشاهد نتائجها اذ عمل له منصة عالية عند الساحل المطل على مكان المعركة . وعندما لاحظ ارتباك سفن اسطوله واخذت بعضها يعيق البعض الآخر مما تسبب في احداث خسائر كثيرة في الاسطول الفارسي اصدر اوامره بالتراجع . ولكنه مع ذلك لم يتخلّ عن فكرته في احتلال اليونان حتى انهزم جيشه في موقع « بلاتية » فشغل نفسه بعد ذلك في تعمير البلاد واكمال الابنية التي لم يتمكن دارا من اكمالها في حياته . هذا وان المصادر المتعلقة بالتأريخ الاخميني تشير الى ان الملك احشويرش الاول يكاد يكون آخر الملوك الاقوياء في السلالة الاخمينية . والحقيقة ان مثل هذه الاشارات لم يعد لها مجال في كتابة التاريخ في الوقت الحاضر ، لأنها تعتبر دائما الملوك الذين يتم على ايديهم اقامة الامبراطورية ملوك اقوياء والذين يشهدون انهيارها وسقوطها هم ملوك ضعفاء . ومعنى ذلك ان هذه الاشارات تعتبر قيام الامبراطوريات وانهيارها يكون بسبب الحكام فقط ولا تعير أية أهمية للظروف التي تحيط بهم وقت تسلمهم الحكم . فلو صادف ظهور كورش الثاني والملك دارا في الفترة التي كانت فيها الامبراطورية الآشورية في اوج قوتها لكان من المستحيل بالنسبة لهما ان يفعلا شيئا يذكر . ولكنهما ظهرا في فترة انهيار الدول الكبيرة التي كانت تحيط بالفرس مما ساعد ذلك هذين الملكين على اقامة الامبراطورية الاخمينية .

(وكان الحال كذلك بالنسبة للملك احشويرش الاول اذ انه قد تسلم الحكم بعد ان تثبتت اقدام الامبراطورية الاخمينية وبلغت اوج قوتها وثرائها ، فمما لا شك فيه ان هذا الملك سيبدو قويا لان مكانة الامبراطورية التي يحكمها تنعكس على شخصيته)

كما ان ثرائها كان يسمح له ان يعيش حياة مترفة . فاذا كان ثـراء الدول لا ينعكس على حياة افرادها وملوكها ، فلاى سبب اذاً قاموا بالحروب الواسعة وفرضوا الضرائب على الشعوب التي خضعت لسلطانهم .

مما تقدم يبدو واضحا بأن سيطرة الامبراطورية الاخمينية قد رفعت من مكانة ملوكها كثيرا . فأثار ذلك رغبة الكثير من المقربين الى البيت الحاكم في الحصول على هذا المنصب . فبدأت المؤامرات تفعل فعلها وكان من نتائجها اغتيال الملك احشويرش الاول عام ٤٦٥ ق . م .

الملك ارتحشتا الاول ٤٦٥-٤٢٤ ق.م :

لقد واجه هذا الملك في بداية حكمه الثورة التي قام بها اخوه حاكم بلاد البخت . فسببت هذه الثورة حقده على جميع اخوته . اذ انه لم يكتف باخماد الثورة المذكورة حسبما تشير المعلومات المتوفرة بل قام بقتلهم جميعا . وهذا الحقد الذى كشف عنه ارتحشتا الاول تجاه اخوته يدفعنا الى الاعتقاد بان الملك المذكور هو الذى دبر المؤمرة التي اغتيل على اثرها والده . ولذلك فأنه كان يعلم ويشعر بحقد اخوته عليه وانتظارهم للفرصة المناسبة للثورة عليه ولذلك قتلهم جميعا ليتخلص من خطرهم .

وبعد فترة قصيرة من ذلك حدثت ثورة اخرى في ولاية مصر . وكانت هذه الثورة بقيادة شخص يدعى « اناروس - Inaros » الذي تمكن من السيطرة على منطقة الدلتا فقط اذ ان مدينة منفس ومصر العليا بقيتا خاضعة للسيادة الاخمينية . وبعد ذلك قام « اناروس » بالاتصال بالاسطول الاثيني الذى كان موجودا انذاك بالقرب من جزيرة قبرص ، وطلب منه مساعدته في ثورته على حاكم ولاية مصر . وقد استجاب الاسطول الاثيني لطلبه وقام بقتل « اخمينس » اخ الملك احشويرش الاول وحاكم ولاية مصر . وعندما بدأت السفن الاثينية تنتقل بكل حريتها في مياه النيل حتى مدينة منفس . ومع ذلك فقد اخمدت هذه الثورة على يد حاكم ولاية سوريا الفارسي ، الذى استطاع من ابادة الاسطول الاثيني وتأسير الثائر « اناروس » وارسله الى بلاد فارس حيث صلب هناك عام ٤٥٤ ق . م . وبعد القضاء على ثورة « اناروس » مباشرة جاءت بعض السفن الاثينية لتقديم نجدة اضافية لثورة مصر ولكنها ابيدت لأنها لم تكن تعلم بالهزيمة التي لاقاها الاسطول الاثيني على يد حاكم ولاية سوريا .

وبعد هذه الاحداث تم عقد صلح بين اثينا والفرس عام ٤٤٩ ق . م تعهدت فيه اثينا بعدم اثارة القلاقل او التدخل في شؤون قبرص وولاية مصر . ولذلك بقت ولاية مصر هادئة حتى نهاية حكم الملك الفارسي دارا الثاني ٤٢٤ - ٤٠٤ ق . م .

اما سياسة ارتحشستا في بابل فلا نعرف عنها الشيء الكثير ، لان اغلب المعلومات الرسمية كانت مدونة على اوراق البردى التي لم يصلنا منها شيء . ومع ذلك فان المعلومات البسيطة المتوفرة تؤكد ان الفرس الاخمينيين كانوا يستغلون مدينة بابل احيانا مكانا للراحة والاستجمام واحيانا لنفي الشخصيات الفارسية . لان مدينة بابل قد بقيت محافظة على عظمتها رغم التخريب الذى احدثه فيها الملك احشويرش الاول .

احشويرش الثاني ٤٢٤ ق.م ودارا الثاني ٤٢٤-٤٠٤ ق.م :

لا توجد لدينا حول هذا الملك معلومات كافية بسبب قصر الفترة التي حكم فيها . اذ انه اغتيل بعد زمن قصير من تسلمه الحكم من قبل اخيه من ابيه ، الذى قتل بدوره على يد دارا الثاني .

لقد كان هذا الملك قبل اعتلائه العرش منفيا في بابل هو وزوجته اخت الملك احشويرش الاول . وبعد مقتل الملك احشويرش الثاني عاد الى بلاد فارس واستطاع ان يستولي على الحكم بعد فترة قصيرة من ذلك .

لقد بدأ هذا الملك حكمه في جو تسوده المؤامرات التي تطمع بالوصول الى الحكم . واضافة الى ذلك فأنه قد صرف اموالا طائلة بسبب تدخله الى جانب اسبارطة في حربها مع اثينا ، املاً منه في ارجاع سلطان الدولة الفارسية السابق في اسيا الصغرى وبين المدن الايونية . ولكن تدخله هذا قد ادى الى ثورة حاكم ولاية ساردبس ، وأستسلام اثينا لأسبارطة وقيام ثورات اخرى في بلاد ميدية ومصر . حيث ان ولاية مصر قد استقلت عام ٤٠٥ ق . م نهائيا عن الحكم الفارسي وبقيت محافظة على استقلالها طوال ستين سنة . وان دل هذا على شيء فانما يدل على ان الامبراطورية الفارسية الاخمينية لم يعد بأمكانها المحافظة على ولاياتها لان اندفاع الشعب الفارسي نحو الحرب لم يعد يشابه اندفاعهم ايام قيام الامبراطورية . واضافة الى ذلك فان هيبة الحكم نفسه قد أخذت تتلاشى بسبب المؤامرات التي كانت ترفع ملكا وتحط آخرا وفي عام ٤٠٤ ق . م مات الملك دارل الثاني وذلك اثناء وجوده في مدينة بابل من اجل الراحة والاستجمام .

ارتحششتا الثاني ٤٠٤-٣٥٩ ق٠م :

كاد هذا الملك ان يقتل يوم تتويجه في المعبد الخاص بمدينة بزركادة . اذ هجم عليه اثناء الاحتفال اخوه الاصغر المدعو كورش محاولا طعنه بخنجره ، ولكن محاولته كانت فاشلة ٠ ونتيجة لهذا الحدث تدخلت زوجة دارا الثاني بين ولديها واستطاعت بتوسلاتها ان تصدر العفو بخصوص كورش واعادته ثانية الى حاكمية ولاية اسية الصغرى، لانه كان واليا عليها اثناء حكم والده دارا الثاني . هذا ويبدو من سير الاحداث بان كورش كان حاقدا على اخيه ومصمما على تنحيته من الحكم ٠ فاعلن لذلك العصيان على اخيه وقاد جيشا من اسيا الصغرى والحق به جيشا من الاغريق المرتزقة الذى اشتهر بحملة العشرة آلاف اغريقي ، والمقترنة باسم زينفون الذى سنتحدث عنه بعد قليل ٠ وبعد وصول هذا الجيش الى موقع « كوناكسة - Cunaxa » الذى لا يبعد كثيرا عن موقع المسيب الحالي تلاقى مع جيش الملك ارتحششتا الثاني ٠ فنازل كورش اخاه بنفسه وجرحه ولكن الملك المذكور قضى على كورش بضربة رمح قوية ارتدته قتيلا ٠ فأنهزمت بذلك جموعه وبعدها نقل الملك ارتحششتا الثاني الى مدينة بابل لتضميد جراحه

زينفون وحملة العشرة آلاف اغريقي (١)

عندما حدثت المعركة بين كورش واخيه كان الاغريق المرتزقة في جناح كورش الايمن معتصمين بنهر الفرات ومنتظرين نتيجة النزال الذى دار بين كورش واخيه ٠ وبعد ان قتل كورش قرر قائدهم عدم الاشتراك في مقاتلة الجيش الفارسي ولذلك سمح لهم بالعودة الى بلادهم ٠ وكان من بين جنود هذه الحملة رجل يدعى زينفون الذى قام بتدوين اخبار هذه الحملة منذ انطلاقها من اسيا الصغرى حتى رجوعها ثانية الى البحر الاسود وبالنظر لأهمية اخبار هذه الرحلة فنوجزها على الشكل التالي : - بدأت حملة كورش من سارديس عاصمة ليدية واجتاز بجيشه ممر كيليكية المؤدى من هضبة الاناضول الى سهل كيليكية باتجاه البحر ، ثم وصل الى طرسوس ، وسلك كورش من بعد طرسوس المعروف بالمجاز السورى الذى يجتاز جبال امانوس باتجاه انطاكية وحلب ، ثم مر من مدينة « ايسوس » التي جرت فيها المعركة بين دارا الثالث والاسكندر المقدوني من بعد مائة عام ٠٠

Xenophon, Anabasis: The Expedition of Cyrus The Younger.

وبعد ان اجتاز الجيش مدينة حلب وصل الى نهر يسمى « خالسيس » وهو نهر « الباليخ » ثم عبر الفرات من موضع مشهور بأسم « تبساكوس » وسار على الشاطئ الايسر منه حتى بلغ نهر « اراكوس » وهو نهر الخابور وبعد مدة من اجتياز هذا النهر يصف لنا زينفون « البادية العربية » وصفا ممتعا ذاكرا فيه حيوانات الصيد كالحمر الوحشية والابل والحباري والنعام ، وبعدها يصف لنا ما حلّ بالجيش من قلة الطعام والمؤن وما قاسوه من صعوبة سير العربات في الوحل . ويصل الجيش اخيرا الى موقع شمال مدينة الرمادي بنحو خمسين ميلا يسميه زينفون « الابواب » .

وبعد ان تاه الجيش مدة اسبوعين تمكن من دخول بابل وملاقاة جيش الملك ارتحشستا الثاني في كوناكسة . وبعد ان سمح للاغريق بالعودة الى بلادهم قرر قائدهم ان يسلك الطريق المحاذي لنهر دجلة . فعبر الجيش المذكور في طريق عودته السور الميدي الذي بناه الملك البابلي نبوخذ نصر ووصلوا الى دجلة قرب موضع سماه زينفون باسم « ستاسة » وعبروا النهر ، ثم ساروا شمالا الى موضع يتصل فيه دجلة بأحد روافده الذي سمي « فسكوكس » وهو نهر العظيم ، واستراحوا قليلا في مدينة « اوبس » وفي هذه المدينة بالذات حدث للأغريق نكبة ، تلك هي ان القائد الفارسي الذي كلف أمر مراقبة الاغريق حتى يتركوا حدود المملكة الفارسية قد اقترح على قائد الاغريق عقد مؤتمر حضره قواد الجيش الاغريقي ، ولكن القائد الفارسي قتلهم جميعا . وذلك من اجل شل وحدة هذا الجيش وتجنب احتمال قيامه بخلق بعض المتاعب للامبراطورية الفارسية . وبعد هذه الحادثة انتخب الجند قائدا جديدا لهم هو « زينفون » الذي دون لنا اخبار الحملة المذكورة . وبعدها تابع الاغريق سيرهم حتى وصلوا مدينة نمرود التي سماها زينفون « لاريسّا — Larissa » ، وبخصوصها يذكر ما نصه :-

« وصل الاغريق الى ضفة نهر دجلة الذي تقع عليه مدينة كبيرة مهجورة تسمى « لاريسّا » **محاطة بسور عرضه ٢٥ قدما وارتفاعه ١٠٠ قدم ، اما طوله فيبلغ ١٢كم . والمدينة مبنية بالطابوق ، اما اسافل جدرانها فمبنية بالحجر الى ارتفاع ٢٠ قدما . وبعد ذلك يتحدث زينفون عن مدينة نينوى فيقول :-**

« وصل الاغريق الى سور عظيم مهجور يضم مدينة مهجورة سماها « ميسبلا - **Mespila** وكانت مسكونة في السابق من قبل الميديين . وكان عرض قاعدة السور ٢٠ قدما وارتفاعها ٥٠ قدما وعلى هذه القاعدة يقف سور مبني بالطابوق عرضه ٥٠ قدما وارتفاعه ١٠٠ قدما وطوله ٣٦ كم . علما ان طول سور مدينة نينوى هو ١٢كم .

(١) ان كلمة **Mespila** باللغة الاكدية تعني المهجور لأنها مشتقة من المصدر **Sapalu** الذي يعني صار الى الاسفل ، اى طمر ، هجر ، هجر ، ويرجح ان الكلمة الواردة في حملة زينفون تقرن بهضبة مسيلا ولعلها اصل تسمية مدينة الموصل .

ولما وصل الجيش منطقة زاخو يذكر لنا زينفون قوم الكردوجي اي الاكراد . ويصفهم بأنهم محاربون اشداء يعيشون في الجبال ولا يطيعون الملك ، ثم ساروا الى جزيرة بن عمر ودخلوا الاراضي التركية وواصلوا سيرهم حتى وصلوا في النهاية الى البحر الاسود . وكان ذلك في عام ٤٠٠ ق.م .

هذا وقد حاول الملك ارتحشتا الثاني الذي سماه اليونانيون « منيموس - Mnemon » عدة اخضاع ولاية مصر ، التي ثارت في اواخر حكم الملك دارا الثاني . لأن انفصال الولاية المذكورة قد اضر كثيرا بموارد الدولة الاخمينية من الحبوب ولكن محاولته قد باءت بالفشل .

ومن الأعمال الأخرى لهذا الملك تدخله في الحرب الكورنثية التي كانت دائرة بين اثينا واسبارطة والمدن المؤازرة لهما . وقد استطاع من خلال ذلك ان يفرض شروطه على الاطراف التي قبلت بالتفاوض من اجل انهاء الحرب المذكورة . حيث اجتمعوا في عام ٣٨٧ ق.م في مدينة ساردبس عاصمة ليدية وقرأ عليهم نص المعاهدة التي عرفت بأسم « سلام الملك » وقد جاء فيها ما يلي :- « ارتحشتا (الثاني) الملك العظيم ، الذي يجد ذلك حقا بان تعود الى سيادته جميع مدن آسيا الصغرى . اما قبرص وبقية الجزر اليونانية الصغيرة فيجب ان تحصل على استقلالها ماعدا « ليمنوس - Lemnos » و « امبروس - Imbros » و « سكيروس - Skyros » فأنها تعود الى اثينا وذلك بسبب تبعيتها السابقة لأثينا ، فأصبحت بذلك معظم المدن الايونية تحت سيطرة الامبراطورية الفارسية الاخمينية .

لكن معاهدة « سلام الملك » لم تتمكن من احلال الهدوء الدائمي في اسيا الصغرى . لأن العداء الذي كان موجودا بين ولاية اسية الصغرى قد ادى الى نشوب الحروب فيما بينهم . والذي شجع على اتساع هذه الحروب كثرة اليونانيين المرتزقة . اذ ان انتهاء الحرب البلوبنيزية (٤٥٧ - ٤٤٥ ق . م) قد جعلت حياة اليونانيين بلا هدف ينشغلون به لذلك كانوا يقاتلون مع اية جهة تمنحهم المال . وقد سبق وان رأينا كيف أن حملة زينفون كانت مؤلفة من عشرة آلاف يوناني مرتزق . والحقيقة ان الحروب التي نشبت بين بعض ولاة اسيا الصغرى قد اضرت بهيبة الامبراطورية الفارسية مما اضطر ذلك الملك ارتحشتا الثاني ان يعد حملة بنفسه من اجل اعادة الامور الى نصابها . ولكن الملك المذكور قد مات والاضطرابات لا تزال تسود معظم اجزاء الامبراطورية الفارسية .

ارتحشتا الثالث ٣٥٩-٣٣٨ ق.م :

لقد استطاع هذا الملك بأمكانياته الحربية وقدرته السياسية ان يعيد سيطرة الدولة الفارسية على معظم الاجزاء التي حاولت الانفصال وخاصة ثورة الولاة في اسيا الصغرى . وبعد ان تم له ذلك صمم على استعادة ولاية مصر التي انفصلت عن جسم الامبراطورية

الاخمينية مدة ستين عاما . وقد مهد لهذا الاحتلال بابرام معاهدة مع دولة مقدونية تنص على ضرورة اقامة سلم متبادل بين بلاد فارس ودولة مقدونية . وبعد ذلك سيطر على جزيرتي قبرص وسيدون ومنهما انقض في شتاء عام ٣٤٣/٤٢ ق.م على مصر وتمكن من احتلالها . وكانت حملته على مصر بقيادة شخص يدعى « باكواس - Bagoas » وبالنظر لانفصال ولاية مصر مدة ستين عاما عن جسم الامبراطورية الاخمينية ، ذلك الانفصال الذي اضر كثيرا بواردات الدولة الفارسية من الحبوب ، فقد عامل الملك ارتحششتا الثالث ولاية مصر معاملة سيئة . اذ قام بذبح الثور المقدس « آبيس Apis » وأكل في وليمة اقامها الملك المذكور لاصحابه وقدم للمصريين الحمار بدلا من ثورهم المقدس . باحتلال الملك لولاية مصر استطاع ان يعيد للامبراطورية الاخمينية هيبتها ومكانتها بين دول المنطقة واثبت بذلك على مقدرته العالية في الحكم . ولكن مؤامرات البلاط الفارسي قد تسببت في موت هذا الملك مسموما على يد قائده « باكواس » . والحقيقة ان فترة حكم هذا الملك يمكننا ان نصفها بصحوة الموت بالنسبة للامبراطورية الفارسية الاخمينية .

الملك ارسيس ٣٣٨-٣٣٦ق.م والملك دارا الثالث ٣٣٦-٣٣٠ق.م

وهو الابن الصغير للملك ارتحشستا الثالث . وقد اعتلى العرش بتدبير من « باكواس » الذي قام بسم والده . وبعد سنتين من بقائه على عرش الامبراطورية الاخمينية قام باكواس بقتله بنفس الاسلوب الذي استخدمه مع والده . وبذلك فسح المجال للملك دارا الثالث (الذي لا يعود الى البيت الحاكم مباشرة) لان يعتلي العرش من بعد ارسيس . والحقيقة لا توجد لدينا معلومات كافية عن فترة حكم هذا الملك ولكننا نستطيع ان نتصور بأنه كان لعبة بيد باكواس .

ان اول عمل قام به هذا الملك هو اجباره القائد باكواس ان يشرب السم من قدح قدمه له الملك نفسه وبذلك تخلص دارا من تدخلاته ومؤامراته على البيت الحاكم . وبالرغم من قدرة هذا الملك فأنه لم يتمكن من انقاذ الامبراطورية الاخمينية من الخطر الذي كان يتهددها من جراء ظهور دولة مقدونية وشخصية الاسكندر المقدوني كما سنبين ذلك في المبحث الثاني .

المبحث الثاني:

الاسكندر المقدوني وفتوحاته في الشرق

ان ظهور الاسكندر المقدوني يمثل في الواقع حدا فاصلا بين فترتين زمنيتين متميزتين

من تاريخ العالم . اذ ان فتوحاته الواسعة قد ادت الى امتزاج الحضارة الهلينية بالحضارات الشرقية القديمة ومنها الفارسية وبقية الحضارات الشرقية . وقد تمخض عن هذا الامتزاج ظهور حضارة جديدة ذات طابع متميز يطلق عليه الحضارة الهلنستية (Hellenistic) اي الشبيهة بالهيلينية وهي الحضارة اليونانية الصرفة .

ولد الاسكندر ابن الملك فيليب الثاني ملك دولة مقدونية في صيف عام ٣٥٦ ق.م . وعندما بلغ الثالثة عشرة من عمره دعا والده الفيلسوف اليوناني ارسطو طاليس لزيارة مقدونية واختاره ليكون معلما ومربيا خاصا لأبنه . وعلى قدر تأثر طبع الاسكندر وسلوكه بغيره ، فأنه تأثر بمعلمه ارسطو طاليس وبأمه « اولمبياس » فأنطبعت في نفسه تعاليم ذلك الفيلسوف ، الذي كان يدعو الى الاعتدال الذي وحده هو الذي يحفظ كيان الملك ويصون الدولة كما ان تأثره بامه وهي امرأة لم تكن تعرف اي معنى للأعتدال ، فقد كانت متسلطة سريعة الانفعال ، قد جعل طبيعته قريبة الشبه الى حد كبير من طبيعة امه بالرغم من انه قد ورث عن والده فيليب الثاني صفات الجلد وصلابة العود والمهارة في معالجة الامور والموهبة العسكرية .

وعندما بلغ الاسكندر عشرين عاما من عمره خلف اباه على عرش مقدونية . وكان ذلك عام ٣٣٦ ق.م اي في نفس السنة التي تولي فيها الملك الفارسي دارا الثاني . ورغم الاضطرابات التي عانتها مدن حلف كورنثية على أثر اغتيال فيليب الثاني فان الاسكندر المقدوني قد تمكن بموهبته العسكرية من اعادة الاوضاع الى سابق عهدها . وصمم على تنفيذ خطة والده التي كانت ترمي الى احتلال بلاد فارس ، وبالفعل فقد وافق اعضاء الحلف على توليته قيادة الحملة على فارس فأستعد لها الاسكندر خير استعداد . وفي ربيع عام ٣٣٤ ق.م عبر الاسكندر المقدوني مضيق الدردنيل بوصفه القائد الاعلى لجيش مقدونية وحلف كورنثية ومن الجدير ذكره بهذا الخصوص هو ان الاسكندر المقدوني قد رمى من سفينته وهو يعبر مضيق الدردنيل رمحه على الاراضي الآسيوية وذلك تعبيرا رمزيا منه على احتلال جزء من هذه الاراضي بواسطة رمحه . كان جيش الاسكندر يتألف من ثلاثين ألفا من المشاة وما يزيد على خمسة آلاف من الفرسان . ومن بين قوات المشاة التابعة للاسكندر كان اثنا عشر ألفا من المقدونيين يؤلفون فيلقا عدده تسعة آلاف جندي مقسمين على ست فرق اقليمية ، وثلاث آلاف من حملة الدروع يؤلفون ثلاث فرق . وكان في الحملة ايضا اثنا عشر ألفا من اليونانيين يتألفون من الحلفاء والمرتزقة ، اما بقية المشاة فكانوا يحملون اسلحة خفيفة وهم من المدن التابعة الى حلف كورنثية مثل الكريتيين والتراقين وكان مشاة الحلف يستخدمون بصفة خاصة في الحاميات وفي المحافظة على خطوط المواصلات .

(وتميزت فرقة خاصة من الفرسان في جيش الاسكندر المقدوني عرفت بالرفقاء او الاصحاب الذين يمثلون رجال الملك وكانوا مقسمين الى ثماني فصائل اقليمية) واضافة الى ذلك فقد كان في صحبة الاسكندر لفيف من الفلاسفة ورجال الادب وعدد من الفنيين اليونانيين والمهندسين الذين كانوا يضطلعون بأقامة ادوات الحصار ، كما كان هناك مهندسون لاعمال الرى ومساقط المياه وشؤون التعدين وآخرون للانشاء والتعمير . وكان ضمن جيش الاسكندر أيضا فئة مختصة بشؤون المساحة ، ومن ابرز اعمال هذه الفئة جمع المعلومات عن الطرق والاماكن التي تصلح لأقامة معسكرات الجند وتسجيل المسافات التي يقطعها الجيش في مسيره . وقد بقيت سجلات هذه الفئة التي كان الاسكندر يقوم بمراجعتها ، العماد الذى قامت عليه جغرافية آسية لأمد طويل . وزيادة على ذلك فقد كانت الهيئة الادارية للجيش تصدر جريدة يومية تمثل السجل اليومي للحملة . وبينما كان جيش الاسكندر ينتقل عبر مضيق الدردنيل ، عمد الاسكندر الى التوقف في « اليوم - Ilium » (= طروادة) وقدم القرابين والتضحيات في معبد الالهة اثينا واخذ الدرع المقدس ، الذي قدر ان يكون له الفضل في انقاذ حياته . وبعد ذلك اعلن الاسكندر ان « اليوم = طروادة » اصبحت حرة وعادت اليها الديمقراطية والغيت عنها الجزية التي كانت تدفعها للفرس . ثم لحق بجيشه بعدئذ وزحف به شمالا بمحاذاة الشاطي ليلتقي بالقوة الفارسية التي كان قد اعدها وجهزها على عجل ولاة الفرس على المقاطعات المتاخمة للشاطي (وقد لاقى جيش الاسكندر هذه القوة الفارسية عند نهر « الغرليق » (جرانيكوس Granicus وتمكن من دحرها في معركة ملتحمة كاد الاسكندر يفقد فيها حياته . لان خطة الجيش الفارسي في هذه المعركة كانت تستهدف الاسكندر المقدوني نفسه ، الذى كان باديا للعيان بما يلوح من الاجنحة البيضاء فوق خوذته) . ولهذا السبب فقد ركز قواد الفرس هجومهم على الاسكندر وانقضوا بأشخاصهم عليه مستميتين في محاولة يائسة ابتغاء قتله . وفي احدى لحظات هذه المحاولة كادوا ان ينجحوا . وكان الفضل في انقاذ الاسكندر ونجاته سرعة وخفة حركة احد اتباعه المدعو « كليتوس » . وبعد دحر القوات الفارسية اعلن الاسكندر بين جميع مدن اسية الصغرى الساحلية بأنه قد اتى من اجل اعادة الديمقراطية والسماح لكل مدينة بان تسترد حقها في التمتع بقوانينها الخاصة بها ثم الغاء الجزية التي كانت تدفع الى الفرس . ولذلك فقد كان الديمقراطيون في مدينة تلو الاخرى يعملون على قلب الحكومات الموالية للفرس . وبعد ذلك زحف جيش الاسكندر الى الجنوب وسلك

من « ساردیس » نفس الطريق الذى سلكه كورش في حملته المعروفة باسم حملة زينفون .
اى انه مر من طرسوس ثم الى الباب السورى المؤدى من كيليكية الى شمالي سورية ٠ .
اما الملك الفارسي دارا الثالث فقد استطاع ان يحشد جيشا قوامه ٤٠٠٠٠ رجل وزحف
للدفاع عن مملكته ، ولكنه سار في الطريق الجبلي حاسبا انه سيلاقي الاسكندر فأنتظره
في مجازات جبال انتي طوروس . وعندما وصل الى « توبر اكالة » وجد نفسه في مؤخرة
الاسكندر الذى كان يستهدف « سكل — توتان » ، وعندما كان الاسكندر يقترب من سورية
اعاقته زوبعة في « مرياندوسس » في الوقت الذى بلغته الانباء عن مكان دارا الثالث فرجع
في اثره وتلاقى الجيشان على جانبي مجرى ماء في « ايسوس » فجرت اولى المعارك الكبيرة
التي انهزم فيها الجيش الفارسي وادى الى فرار الملك دارا الثالث فاخذت عربته وحاشيته في الاسر ،
اما خيمته البديعة في تركيبها واعدادها فقد صارت المثل الاول الذى عرف منه المقدونيون
مبلغ ما كان عليه الترف الفارسي ٠ وعندما جلس الاسكندر الى مائدة الملك دارا الثالث
قال « هذا ، فيما اعتقد ، هو الملك حقا » ولم يكن الاسكندر في قوله هذا متهكما كل التهكم ،
وبينما كان يتناول العشاء سمع عويل نساء ، وعلم أنهن أم دارا وزوجته وبناته ، ممن وقعن في الاسر ،
وكن يبكين ويندبن لموت دارا ، فبعث اليهن احد اتباعه ليبلغن ان دارا لم يمت ، وأنهن
آمنات تماما ، وسوف يلقين من المنزلة وحسن المعاملة مثل ماكن يلقبنه من قبل ٠ ولم يقع
بصر الاسكندر ابدا على زوجة دارا الثالث ، كما لم يسمح بأن يشار الى جمالها من طرف
خفي امامه ٠ ولكنه تزوج في آخر الامر من احدى بنات الملك دارا ٠
وبعد انتصار جيش الاسكندر في معركة « ايسوس » ارسل خطابا الى الملك دارا يخبره فيه
بان الاسكندر اصبح فعلا ملك اسيا ٠ فاذا احتاج دارا شيئا ما فعليه ان يكتب بوصفه تابعا
الى سيده الاسكندر المقدوني » ٠
وكان هدف الاسكندر من هذا الخطاب استفزاز دارا وحثه على القتال ، لان الاسكندر
قد قرر بعد معركة ايسوس عدم ملاحقة دارا الى قلب اسيا بل التوجه جنوبا للسيطرة على
فينيقية وبلاد الشام ومصر . هذا وقد خضعت له كل المدن الساحلية
الا مدينة صور ، فكان حصارها ثم فتحها عام ٣٣٢ ق ٠ م من اصعب مشاريع الاسكندر
الحربية ولذلك فقد دمرها بعنف ٠ هذا وان خضوع بلاد الشام بما فيها مدينة دمشق قد حل
مصاعب الاسكندر المالية ٠ لان دمشق كانت تحتوى على خزانة الحرب الفارسية ٠
وقبل سقوط مدينة صور تسلم الاسكندر المقدوني رد الملك دارا على الخطاب الذى بعثه اليه ٠
وقد عرض فيه دارا عشرة آلاف وزنة (تالنت) من الفضة فدية عن عائلته ، كما عرض عليه

الزواج من ابنته ثمنا للسلم بينهما والتخلي للأسكندر عن جميع الاراضي الواقعة غرب الفرات ٠ وقد روى أنه عندما بدأ الاسكندر يبحث اقتراح دارا في مجلس الشورى قال له « بارمينيون » احد اصحاب الاسكندر : « لو كنت مكانك لقبلت » فرد الاسكندر على ذلك بالجواب المشهور : « وكذلك كنت افعل لو كنت مكانك » ٠

وبدلا من ان يقبل الاسكندر ذلك الاقتراح قصد مصر بعد ان حاصر مدينة غزة زهاء شهرين ووصل الى مصر في اواخر شهر تشرين الثاني من ٣٣٢ ق . م ، فسارع الوالي الفارسي الى الخضوع والاستسلام ، لأنه كان على بينة من مزاج الشعب المصرى وميوله ومشاعره مما لا سبيل الى الخطأ في تقديرها ، واصبح المصريون يرون في الاسكندر الآخذ لهم بالثأر من الفرس ٠ وعندما وصل الاسكندر المقدوني الى منفس قدم القرابين الى الثور المقدس وتوج هناك باعتباره فرعون مصر ٠ وبعدها عاد الى شاطئ البحر ووضع على مقربة من بلدة « راقودة » بمحاذة الشاطئ حدود مدينة قدر لها ان تكون احدى المدن العظيمة على توالي العصور وهي مدينة الاسكندرية ٠ واثناء وجود الاسكندر في مصر قام بصحبة زمرة قليلة من اتباعه برحلته المشهورة الى مزار الاله آمون في واحة آمون .

وبعد رجوعه من واحة آمون توجه الى العراق من قرب دير الزور فسار شرقا الى دجلة وعبره بمسافة قليلة الى شمالي الموصل ٠ وتوجه بعد ذلك الى قرية « كوكميلة » ، حيث وجد دارا معسكرا هناك فجرت المعركة بين الجيشين .وعندما رأى دارا تمزق قواته ادار عربته وانهزم بعيدا عن ارض المعركة ولكن حرسه من المشأة صمدوا في وجه فيلق الاسكندر فترة من الزمان كانت كافية لتمكن الملك الفارسي من ان يلوذ بالفرار ٠ وقرية كوكميلة تقع على نهر الخازر شمال غربي مدينة اربيل بنحو عشرين ميلا ٠ حيث ان المعلومات الخاصة بهذه المعركة تشير الى ان الاسكندر المقدوني قد جلب الغنائم بعد انتهاء المعركة الى اربيل الواقعة الى الجنوب الغربي من موضع المعركة بعشرين ميلا ٠

لقد بذلت القيادة الفارسية من جل كوكميلة جهودا مضنية في سبيل لم شمل جيش تستطيع به ان تصمد لقهر الاسكندر ٠ ولكنها كانت مهمه ميئوسا منها ، اذ كيف يمكن يمكن ان يتم بطريق الارتجال في سنة ونصف انشاء قوة قادرة على الصمود امام جيش محترف يتموده قائد محنك ٠ ولكن مع هذا فان القوات الفارسية رغم فقدانها العديد من ولاياتها قامت بجهد مشكور ،ولو أنها لم تستطع ان تتخذ اهم خطوة ضرورية على الاطلاق ، ونعني بها تنحية دارا عن تولي قيادة الجيش في ساحة القتال ٠ فقد استدعيت افضل وحدات

الفرسان من بين القوات المعبأ في جيش الامبراطورية الاخمينية واعيد تسليحها بحراب صغيرة

...لا ... الرمح ، ولكن الصعوبة التي واجهت القواة الفارسية كانت في تدبير المشاة ،

...لمرتزقة اليونانيين ... يعد ... في الامكان الحصول

عليهم . ولذلك فان خطة الفرس كانت تنطوي على تحاشي الاشتباك في معركة فاصلة ، ومحاولة

...نهاك قوى الاسكندر باستخدام ما لديهم من قوة الفرسان البارعة . ولكن لما كانت كرامة الملك

...عظيم تستلزم الالتحام بصورة رسمية ، وليس من سبيل الى كسب النصر بواسطة قوة الفرسان

...حدهم ، فان الضرورة القصوى حتمت عليهم ان يعمدوا الى استخدام عربات اشبه في صورتها

...لمناجل رغم ان العهد قد طال على اهمال استخدام مثل هذه العربات .

اما الاسكندر المقدوني فقد حشد لمعركة كوكميلة اكبر جيش تولى امرته على الاطلاق وكان

...يتألف من أربعين ألفا من المشاة وسبعة آلاف من الفرسان . وقد هيأ الاسكندر لهذا الجيش عشاء

...ديئا ووفر لرجاله نوما هادئا ، في الوقت الذي كان فيه الجيش الفارسي مدججا بالسلاح طوال

...ليل . وفي صباح اليوم التالي المصادف الاول من تشرين الاول من عام ٣٣١ بدأت المعركة

...كان النصر فيها لجيش الاسكندر كما ذكرنا بعد هذا الانتصار مكث الاسكندر قليلا في

...ينة اربيل ثم سار منحدرا الى بابل . التي لم يلاق فيها حربا بل ان الحاكم الفارسي

مازيوس سلم المدينة الى الفاتح . ولذلك فقد نصب الاسكندر « مازيوس » واليا عليها ، فكانت

هذه اول مرة يعين فيها الاسكندر فارسيا . ولكنه لم يخول الوالي اية سلطات عسكرية ، بل

...ين قائدا مقدونيا كما عين كذلك مشرفا على الشؤون المالية . ومنذ ذلك الحين ، كان كلما

...ين واليا فارسيا ، قسم السلطات الثلاث ، وهي المدنية والعسكرية والمالية ، فكان يقصي الفرس

...ئما عن تولي السلطة العسكرية .

واعاد الاسكندر عادات بابل القومية الى ما كانت عليه ، والقى في روع السكان انه خلصهم

...ن اضطهاد البرابرة وأمر باعادة بناء المعابد التي دمرها احشويرش الاول وخاصة معبد « ايساكيلا » ،

...عبد الاله مردوخ في بابل ، وبعد ذلك توغل الى بلاد فارس فاحتل مدينة سوسة عاصمة عيلام

...ن ثم مدينة برسيبوليس عاصمة الامبراطورية الاخمينية ذات القصور المحصنة التي جعلها

...ا الاول فخر السلالة الاخمينية . وقد مكث الاسكندر في مدينة « برسيبوليس » اربعة اشهر

...نمس في خلالها في ولائم وافراح ، وقد احرق قصر الملك احشويرش الاول ليكون ذلك عبرة

...سيا وايذانا بان معبد ايساكيلا هو المعبد العظيم في بابل ، الذي سبق وان خربه احشويرش

...الاول . اما القصة الذائعة عن تلك الوليمة التي اقامها الاسكندر وكيف ان تابيس قد

---

١) تتلخص قصة تابيس Thais في ان الاسكندر المقدوني قد احرق في آخر وليمة من ولائمه قصر الملك الفارسي ، وذلك عندما ثمل القوم اقترحت احدى البغايا اليونانيات والتي كادت تسمى ' تأبيس ' ان تضرم النار في القصر ، الذى طالما وضعت فيه خطط تدمير بلاد اليونان ، فبدأ الاسكندر بالشعلة الاولى فتوهج البناء الشامخ بالنار التي التهمت اخشاب الارز الثمينة والزخارف المنحوتة .

حثته على اشعال النيران ، فما هي الا حديث خرافة ، واسطورة روائية . وتوجه الاسكندر من « بوسيبوليس » الى « اكبتانا » العاصمة الميدية ، حيث ان الملك دارا الثالث واتباعه قد فروا اليها بعد هزيمتهم في معركة كوكميلة . وعندما وصل الاسكندر الى العاصمة المذكورة غادرها دارا واتباعه متراجعين الى منطقة افغانستان ، ولكن الاسكندر استمر في مطاردتهم . وما ان وصل على مقربة من مكان يدعى « شاهرود » حتى رأى سحبا من الغبار والتراب تدل على ان العدو سيلوذ بالفرار . وفي اثناء الفرار هذا قام احد الجنود الفرس بطعن الملك دارا وتركه يعاني سكرات الموت . ومن حسن حظه انه مات قبل ان يصل اليه الاسكندر بقليل . ويقال بأن الاسكندر المقدوني قد غطى بعباءته الارجوانية جثة دارا ونقلها الى بوسيبوليس لتدفن هناك . وبعد ذلك تابع تقدمه الى اواسط آسيا وشمالي الهند ، وعند رجوعه مرّ ببلاد السند . وفي هذه الاثناء بدأ التذمر والسخط يعمان جيش الاسكندر الذي لم يعد يعرف في اية نقطة من العالم سينتهي بها هدفه . ولذلك فقد اضطر الاسكندر على العودة الى سوسا . وفي هذه المدينة وقعت واقعة لها طرافتها . اذ يقال بان الاسكندر اثناء اقامته في الهند قد شغف بفريق من النساك والمتقشفين الذين عكفوا على حياة التأمل والنسك في الغابة . وان أحد هؤلاء النساك المدعو « كالانوس » قد رافق جيش الاسكندر في رجوعه من الهند . وفي مدينة سوسا ألمّ المرض بكالانوس وأسرّ الى الاسكندر بأنه اصبح يائسا من الحياة . وقد انكر عليه الاسكندر هذا اليأس ، ولكن كالانوس نفذ ما اراد حيث اقيمت كومة من الحطب ، اعدت لحرق الجثث ، وألقى ذلك الهندي بنفسه حيا في النار وعلى مرأى من الجيش ، بينما كانت الابواق تدوى والفيلة تؤدى السلام الملكي . وقد قيل بان كالانوس قد تنبأ بموت الاسكندر ، فودع القواد ولكنه لم يودع الاسكندر مكتفيا بقوله له « سوف نلتقي مرة أخرى في مدينة بابل » . وفي سوسة كذلك بدأ الاسكندر سياسة جديدة تهدف الى مداراة الفرس واشراكهم في الحكم ، حتى انه ألف جيشا من الايرانيين الشبان ليتدربوا على اساليب الحرب الغربية . كما شرع في تحقيق اصلاحه الخاص بدمج الغرب بالشرق ، حيث تزوج زوفة فارسية وهي ابنة الملك دارا ، وحذا حذوه ثمانون قائدا من قواده وعشرة آلاف جندي من جنوده . ومن بعد ذلك رجع الى بابل ومنها اقلع الى اعالي دجلة حتى « اوبس » وقد اظهر اتباعه في اوبس تذمرا عظيما مما ادى الى اعلان الجيش برمته العصيان السافر . وطلب الجميع السماح لهم بالعودة الى اوطانهم . فثارت لذلك ثائرة الاسكندر واشتد غضبه . وبعد ان امر حراسه بالقاء القبض على زعماء الثورة ، ألقى خطبة حماسية في قوات الجيش وختمها بتسريح الجيش كله واعفائه من خدمته . وفيما يلي الجزء الاخير من خطابه الخاص بتسريح الجيش :

« والآن بما انكم جميعا ترغبون في الرحيل ، اذهبوا الى حال سبيلكم وبلغوا الأهل والاخوان في الوطن انكم ناكصون على أعقابكم بعد ان تخليتم عن مليككم الذي قادكم من نصر الى نصر في انحاء العالم ، تاركين اياه تحت رحمة الاجانب الذين غزا بلادهم . ومما لا ريب فيه ان اقوالكم سوف تجلب لكم مديح الناس وتحل عليكم بركة السماء ، اذهبوا ..... » . وبعد خطبته هذه اعتكف الاسكندر لمدة يومين ومن ثم دعا زعماء الفرس للحضور اليه واخذ يؤلف جيشا فارسيا . وبهذا استطاع ان يفت في عضد المقدونيين الذين استسلموا صاغرين وتجمعوا امام مركز قيادة الاسكندر وتعالت اصواتهم بأنهم لن يذهبوا الا اذا صفح عنهم واشفق عليهم . فأطل عليهم ووقف بينهم والدموع منهمرة على خديه . وهنا انبرى احدهم بقوله « انك اتخذت من الفرس اصهارا لك » فاعترضه الاسكندر بقوله « ولكنني اتخذت منكم جميعا اصهارا لي » وعلى اثر ذلك علا هتاف الجيش مدويا في جميع الارجاء بالاستحسان . وانهال الجميع عليه بالعناق والتقبيل وبذا تم الصلح ، الذي اعقبه اعداد وليمة كبرى ضمت تسعة آلاف ضيف .

وبعد ذلك وجه الاسكندر عنايته واهتمامه نحو الخليج العربي ، فأتخذ الخطوات الكفيلة بضمان سبل المواصلات والعمل على تحسينها بين بلاد بابل والخليج العربي وذلك بازالة السكور والعقبات التي كان يقيمها الفرس الاخمينيون في وجه الملاحة الحرة في نهر دجلة. كما عمل على تأسيس « اسكندرية » على الخليج العربي عند مصب دجلة فيه . وهي التي اصبحت مركزا مهما للتجارة . ثم شرع في بناء حوض ضخم للسفن التجارية في مدينة بابل ، الحربية الكبرى بما في ذلك المراكب ذات الطبقات الخمس من المجدفين التي تم صنعها في فينيقية . ويبدو ان الهدف الاساسي من حملته ان تكون ذات غرضين الاول حربي والثاني استكشافي . ولكن المعلومات المتوفرة تؤكد ان الاسكندر لم يكن يقصد ان يجعل من بلاد العرب ولاية تابعة له لان معرفته بأحوال بلاد العرب كانت ضئيلة جدا . وعلى كل حال فأن قائد قواته البحرية « نيارخوس » قد حاول كمرحلة تمهيدية ان يطوف حول شواطئ الجزيرة العربية . فبعث بسفينة من خليج السويس وجهتها صوب الجنوب ، فوصلت الى اليمن ، بلاد البخور وحضرموت ، كما ارسل ثلاث سفن اخرى للمسير جنوبا

---

(١) في زمن الاسكندر كان دجلة والفرات يصبان مباشرة في الخليج العربي ، حيث لم يكن قد تكون شط العرب من التقاء النهرين . ومصبهما القديم يبعد حوالي ١٢٠ كم عن ميناء الفاو الحالي .

في الخليج العربي حتى خليج السويس واكتشفت احدى هذه السفن جزيرة البحرين ٠
وبعد ذلك بدأ الاسكندر استعداداته لغزو بلاد العرب . وفي هذه الاثناء اصابته حمى
لم يقو على تحملها جسمه وبنيته ، بعد ان اضعفها الاجهاد البالغ وما اصيب به من جروح ٠
وقد روت الجريدة الرسمية لجيش الاسكندر أنه واصل لبضعة ايام عمل الاستعدادات وكان
في اثنائها يقدم القرابين المألوفة ، ويناقش شؤون الحملة مع قواده حتى اقعده المرض عن الحركة ٠
وعندئذ نقل الى قصر الملك البابلي نبوخذ نصر بعد ان كان قد فقد النطق وعجز عن الكلام .
وبعد نقله الى القصر المذكور أصر رجال الجيش على رؤيته ، ولم يقبلوا بديلا لهذا المطلب .
وفي صمت وسكوت مرت صفوف الجند القدامى في الحجرة التي كان يرقد فيها ملكهم وهو
على فراش الموت ، ولا حول له ولا قوة سوى مجرد رفع رأسه كعنوان على الاعتراف بالتقدير
والوداع . وعقب ذلك بيومين عند مغرب الشمس فاضت روحه ، وكان ذلك في اليوم الثالث عشر
من شهر حزيران عام ٣٢٣ ق.م ولم يكن قد أتم من عمره بعد ثلاثة وثلاثين عاما ، وقد حكم
اثني عشر عاما وثمانية اشهر .

والحقيقة انه من حسن حظ الاسكندر ان يموت في الوقت الذي كانت فيه شهرته
قد بلغت الاوج ، اذ لم يكن من المتوقع لها ان تزداد بل كان من المحتمل جدا ان تبدأ
بالتناقص . اذ ان بوادر الغرور والعجب بالنفس اخذت تبدو في سلوكه . ولو انه عاش
اكثر من ذلك لأرتكب على ما يرجع اخطاء تحط من شهرته الفذة التي اكتسبها . وكان من
اولى بوادر الغرور في حياة الاسكندر ادخاله عام ٣٢٧ ق.م عادة السجود امام الملك .وكان
يتوجب بمقتضاها على جميع من يقتربون من الملك ان يؤدوها . وفي الواقع ان عادة السجود
بالنسبة للفرس امر اقتضته الشعائر الرسمية ،فملوك الاخمينيين ليسوا بآلهة.في السجود
في نظر الفرس مايتضمن عبادة ولكنه في نظر اليونانيين والمقدونيين كان ينطوي على عبادة حقه ،
وما كان الانسان عندهم ليسجد الا للآلهة ٠ وبالتأكيد كان الاسكندر على بينة تامة من
الكيفية التي لا بد ان يفسر اليونانيون بها ذلك السجود ٠ وبناء على ذلك فهو لا بد وان كان
يبغي ان يصبح الها في امبراطوريته ٠ ومما يؤكد رغبته هذه أنه كتب مرة الى ارسطو طاليس
بأنه لا يوجد له نظير ، وان صاحب السلطة والكلمة العليا اذا ماتولى ، يصبح مثله الاله بين
الناس ٠ وبالفعل فقد قدم الاسكندر طلبا الى مدن حلف كورنثة ان تعتبره الها ٠ ولم تراغب
مدن الحلف حتى اسبارطة اى صعوبة في قبول ذلك وتقدمت صاغرة الى تأليهه ٠

الفصل الرابع

ايــران في العهد السلوقي

المبحث الاول : تقسيم امبراطورية الاسكندر وقيام الدولة السلوقية :

إن الامبراطورية او الدولة العالميـة التي اسسها الاسكندر الكبير بفتوحاته في الشرق والتي اوجرتاها لم تبق من بعد وفاته سالمة موحدة ، ولم يكن من يخلف الاسكندر على العرش الا اخ اصغر منه كان مضطرب العقـل ، كما ولدت زوجتـه ، روكسانه ابنا ضاع حقه في خلافه الاسكندر في خضم الصراع والنزاع اللذين نشبا بين قواده وولاته الذين احتربوا فيما بينهم زهـاء اثنين واربعين عاما ، وقد برز من بينهم ثلاثة من مشاهير قواده استطاعوا ان يقتسموا امبراطوريته . فصارت مصر من حصته القائد المسمى ((بطليموس)) الذى اسس اسرة البطالسة او البطالمة التي حكمت مصر من مطلع القرن الثالث ق . م الى الفتح الروماني لمصرعام ٣٠ ق . م . وصارت بلاد مقدونية من حصة القائد المسمى انتيكونس ، وحصل القائد الثالث (سلوقس) على بلاد الشام والعراق وايران . وهكذا دخلت بلاد . ايران تحت حكم السلوقيين الذي دام من حـــدود ٣١١ الــى ٢٤٧ ق . م حيـــث استقلـــت ايـــران تحـــت حكم اسرة (البارثين) الذيـــن سنفود لحكمهـم في ايران فصلا خاصـا .

تميز القائد سلوقس الذى دخلت تحت حكمه ايران بجملة صفات جعلته من اشهر قواد الاسكندر وحكام العالم القديم ، ومن بين ذلك احتذاوه حذو الاسكندر فـــي مثلـه العليا وتعلقه بالتفافه الهلينة (اليونانية) والعمل على نشرهـــا في الاقاليم الشرقيـــة فالتقت تفافات الشرق القديم بالقافة اليونانية ونتج عن ذلك الامتزاج ما سبق ان نوهنـــا به وهي الحضارة « الهلنسية » (Hellenistic) أى الشبيهة بالهلينية – اليونانيـة (Hellenic) . وكان سلوقس أيضا على معرفة تامة ببلاد ايران وأهلها ، فقد حصل على هذه المعرفة يوم صار قائـدا في عهد الاسكندر على جيش مؤلف من المقدونيين والفرس ، وقد تزوج نفسه بأميرة فارسية هي المسماة « افامة » (Apama) ونتج عن هذا الزواج السلالة السلوقية من خلفاء سلوقس وقد سميت باسمها اربع مدن شهيرة في بلاد الشام شيدها سلوقس اشتهرت من بينها « أفامية » على نهر العاصي (Orantes)

وقد دخلت في حكم سلوقس احسن اجزاء الامبراطورية الفارسية الاخمينية باستثناء التخوم الشرقية التي تنازل عنها الى ملك الهند « جندراكوبتا » مقابل اهدائه فيلة كان سلوقس بحاجة اليها في جيوشه للمحافظة على الحدود الغربية . وقد وضع سلوقس الاسس الادارية والسياسية والاقتصادية للامبراطورية السلوقية ، وفي مقدمة ذلك انه قسمها تقريبا الى قسمين رئيسيين ، هما القسم الشرقي الذي جعل عاصمته مدينة سلوقية التي شيدها بنفسه على دجلة في العراق (وتعرف بقاياها الآن على الضفة اليمنى او الغربية باسم تل عمر مقابل طيسفون ، اي طاق كسرى بالقرب من سلمان باك) وكانت احدى المدن الرئيسية التي سماها الجغرافيون العرب باسم المدائن) . وجعل عاصمة القسم الغربي اي بلاد الشام ، مدينة جديدة هي انطاكية الشهيرة التي شيدها في عام ٣٠٠ ق.م ، وقد سميت باسم ابيه انطيوخس . وصارت انطاكية من اشهر مدن العالم القديم واغناها وقد نافست الاسكندرية في مصير وزنها مركزا بارزا من مراكز الحضارة الهلنستية .

وقد اشرك سلوقس في الحكم ابنه انطيوخس الاول (٢٨٠ - ٢٦١ ق.م) وجعله واليا على القسم الشرقي من الامبراطورية السلوقية واتخذ مقره في سلوقية دجلة ومع ان هذه المدينة استمرت في اهميتها ومركزها بيد ان اتخاذ الملك سلوقس انطاكية مقر حكمه يشير الى تبدل في اتجاه السلوقيين في نقل اهتمامهم وادارتهم من الاجزاء الشرقية الى الاقسام الغربيـــــــة من الامبراطورية ، ولعل هذا كان على رأس العوامل التي جعلت حكمهم في ايران والعراق لم يدم زمنا طويلا اذ سرعان ما استطاعا ان ينفصلا عن الحكم السلوقي . وكان انفصال ايران قد حدث في زمن اقدم حيث استقل الفرثيون عن التبعية السلوقية في حدود عام ٢٤٧ ق.م ، واعقب ذلك انتزاع العراق من ايدي السلوقيين في حدود ١٤٩ ق.م . وهكذا انحصر حكم السلوقيين في بلاد الشام . ومما يجدر ذكره عن الحكم السلوقي في ايران والاجزاء الشرقية المتاخمة انه على الرغم من الفترة القصيرة التي دامها فقد حصل امتزاج ما بين الشرق والغرب . وبرز هذا التمازج بوجه واضح ومستمر في بلاد البخت التي اشتهرت بكونها ملتقى طرق تجارية مهمة ما بين الجهات الغربية وبلاد الصين وسيبريا الغنية بالذهب وجنوبي روســـــــــية وقد قامت في اقليم البخت عدة مدن ومستوطنات جديدة من اليونان والسكان الاصليين

وبعد استقلال الفرثيين وانفصالهم عن الحكم السلوقي واستقلال بلاد ايران تحت حكمهم ظلت تلك المستوطنات الاغريقية الشرقية زهاء قرنين من الزمان ، وكانت مراكز مهمة في نشر الحضارة الهلنستية الجديدة الى الهند واواسط آسية .

واشتهر العهد السلوقي في بلاد ايران والعراق باهتمام الحكام السلوقيين في انشاء المراكز العمرانية وتعبيد الطرق البعيدة ، التجارية منها والعسكرية ، وكان بعضها يربط عاصمة السلوقيين في العراق اي سلوقية ببلاد البخت التائية مارا بكرمنشاه وهمدان واسس السلوقيون ما لا يقل عن تسعة مدن في سواحل الخليج العربي من بينها انطاكية دجلة وهي « بوشير الآن التي شيدت فوق انقاض مدينة عيلامية قديمة . واعادوا ايضا بناء بعض المدن التاريخية القديمة مثل « اكبتانا » (همدان) عاصمة الدولة الميدية التي مر الكلام عليها ، وشيدت الى الجنوب منها مدينة جديدة باسم اللاذقية **Laodicea** (وهي نهاوند الحديثة) واعيدت تسمية المدينة القديمة الري **Rhages. Raga** القريبة من طهران ودعيت باسم يروبوس « **Europos** وكان الغالب على سكان هذه المدن في العصر السلوقي انهم كانوا خليطا من الايرانيين والسلوقيين (اليونان والمقدونيين) .

وسارت التنظيمات الادارية بوجه عام على اساس ادارة حكومة المدينة ، حيث مجلسها الاداري ومجلس الشورى فيها وموظفوها الذين كانوا يعينون سنويا في الغالب . واستمرت الممارسات والشعائر الدينية المحلية ولكن اضيف اليها بعض العناصر من الديانة الاغريقية ولا سيما بين السكان الذين كانوا من اصل يوناني .

ايجاز الخصائص الحضارية :

سبق ان نوهنا بنشوء ما يسمى بالحضارة الهلنستية (الشبيهة بالهلينية أي اليونانية الصرفة) من امتزاج حضارات الشرق القديم بالحضارة اليونانية على اثر غزو الاسكندر الشرق . وكانت اولى المظاهر لهذه الحضارة الجديدة انتشار اللغة الاغريقية (اليونانية) في الاقطار الشرقية ولا سيما في المدن والمراكز العمرانية ومنها بلاد ايران موضوع كلامنا . فشاع استعمال هذه اللغة ولا سيما بين المثقفين واهل المدن الى جانب لغاتهم الوطنية . ويجدر ان نذكر بهذا الصدد ان انتشار اللغة الاغريقية كان على حساب اللغة الآرامية التي انتشرت انتشارا واسعا في العراق وايران وبلاد الشام منذ العصور الماضية ولا سيما منذ العهد الفارسي الاخميني السابق . وبالاضافة الى ذلك شاعت ظاهرة التزواج ما بين الاغريق واقربائهم المقدونيين وبين اهل البلاد الاصليين

وقد مر بنا كيف ان مؤسس الدولة السلوقية نفسه سلوقس الاول تزوج من احدى النبيلات الفارسيات وهي « افاما » وظلت اللغة الاغريقية متداولة وتدرس في بعض المدن حتى في العهد الفرثي الذي استقلت فيه ايران عن السلوقيين وكان يقابل هذا التحول الى الهلينية في بلاد ايران تأثر اليونان (الهنينيين) انفسهم بالثقافات والعادات الايرانية . ومن مظاهر ذلك ما ذكرناها من التزواج واتخاذ بعض الشعائر والممارسات الدينية الايرانية وفي النواحي الفنية استمر الفن الايراني القديم ولكنه الى جانب ذلك ظهر ايضا في ايران فن خليط بين الفن الاغريقي والفن الايراني كما شاع ايضا الفن اليوناني الصرف في بعض الابنية والعمارات التي شيدت في تلك الفترة من بلاد ايران .

ومع ان النقود المسكوكة انتشر تداولها والتعامل بها في العهد الاخميني السابق ، بيد ان هذا التداول قد ازداد في سعة حجم العملة المتداولة على اثر اتساع الأماكن والاقاليم التي انتشر فيها استعمال النقود . فأثر ذلك في تطوير التبادل التجارى والازدهار الاقتصادى . ولكن صاحب ذلك انتشا ظاهرة التضخم النقدى وهبوط اسعار المعادن المتخذة في العملات المسكوكة و لا سيما الذهب والفضة و قد قدر هبوطها بنحو ٥٠ بالمائة مما كان عليه سعر هما في العهود السابقة وكانت هذه الظاهرة الاولى من نوعها لم يسبقها ما يماثلها في العالم القديم .

على ان مما يقال بوجه عام ان العصر السلوقي ولا سيما في عهد سلوقس وخلفائه الاوائل تميز بشيئ من الازدهار الاقتصادى العام وبوجه خاص في التوازن ما بين الاجور والاسعار . ويشير ارتفاع فائض الديون الى انتعاش التجارة والحاجة الى رأس المال . ولكن اعقب هذا الازدهار شيئ من الاضطراب في الحياة الاقتصادية من جراء انفصال الفرثيين وبلاد البخت عن السلطة السلوقية ، وبعد فترة انتعاش مؤقتة قصيرة في عهد انطيوخس الثالث (٢٢٥ - ١٨٧ ق . م) ظهرت الازمة الاقتصادية مرة ثانية ، وكان سببها الرئيسي امتداد نفوذ الرومان وتدخلهم في اقاليم الامبراطورية السلوقية . ولكن الفرثيين الذين استقلوا عن الحكم السلوقي اعادوا التوازن الاقتصادى في انحاء مملكتهم بعد ان استطاعو ان يجعلوا الفرات الحد الفاصل مابين امبراطوريتهم والامبراطورية الرومانية ، وجعلوا بلاد بابل مركزا امبراطوريتهم .

ونكرر ماسبق ان نوهنا به من اهم العوامل التي عملت على ازدهار التجارة العالمية في العهد السلوقي . كان اهتمام السلوقيين بطرق التجارة العالمية المارة من بلاد ايران الى الصين والهند ، وبالاضافة الى التحسينات التي ادخلها السلوقيون في هذه الطرق وفروا لها الحماية العسكرية ولا سيما النقاط البعيدة منها الممتدة من البحر الاحمر الى الهند ، حيث وضعوا حاميات عسكرية في طرق الصحارى وجهزوها بالماء والمؤن وتأسيس الخانات لايواء التجار .

وفي الشؤون الزراعية اهتم السلوقيون بحفر جداول الري ، وقد ازدهرت الزراعة في معظم انواع الحبوب والاشجار المثمرة واهتموا في تجفيف المستنقعات وتحويلها الى اراض زراعية

كما تطورت الاساليب الزراعية وادخلت الزراعة المكثفة ومنها زراعة الكروم واستعملت المحاريث الجديدة كما تحسنت اساليب الري في غرس البساتين والحدائق . واشتهرت ايران في تصدير انواع كثيرة من المنسوجات والسجاد والحلي والاحجار وبعض المعادن واشتهر الصناع الايرانيون في صنع البسط المزخرفة التي كان الطلب العالمي عليها كبيرا كما اشتهرت صناعة الاواني الفخارية المزخرفة والفنون التشكيلية وحفر الاحجار . ويمكن القول بوجه عام ان الدولة السلوقية في النواحي الاقتصادية كانت اشبه ما تكون بمؤسسة رأسمالية ذات تنظيمات مالية منظمة ، فكان الملك يحتكر الكثير من الموارد الاقتصادية مثل الصناعات ومواد الخام الضرورية لها ، وكان من سياسة الدولة المالية كثرة الضرائب على الناس بحيث اثقل كاهل الطبقات المختلفة رغم الازدهار الاقتصادي ، وشملت الضرائب معظم شؤون الناس المختلفة مثل ضريبة الرأس وضريبة دور السكن والحيوانات والحقول والبساتين والولادة والزواج والموت . وكان الوارد من تلك الضرائب لاشباع حاجة الملك وبلاطه بالمال الذي كان يحتاج اليه في الجيش والاسطول والمعابد وكهنتها .

الباب الثالث

ايران في العهد الفرثي

الفصل الاول

قيام الدولة الفرثية

النزاع ما بين الفرثيين والرومان

المبحث الاول : اصل الفرثيين وتأسيس دولتهم

(اعقب الحكم السلوقي في بلاد ايران حكم سلالة ايرانية انفصلت عن ذلك الحكم واستقلت في حدود منتصف القرن الثالث ق.م (٢٤٧ ق.م)) حيث انتهزت بعض القبائل الايرانية التي عرفت فيما بعد باسم الفرثيين ضعف الدولة السلوقية وانشغالها في القسم الغربي من الامبراطورية السلوقية ونزاعها مع بطالسة مصر فثارت تلك القبائل وكذلك فعلت بلاد البخت (احد الاقاليم الشرقية) وانفصلت عن التبعية الى الدولة السلوقية واستطاعوا من بعد نحو قرن واحد ان ينتزعوا من السلوقيين العراق (في حدود ١٤٠ - ١٢٧ ق.م) ثم اتسع حكمهم في بلاد ايران وظلوا يحكمونها مع العراق الى العهد الفارسي الساساني (٢٢٦ م) .

(فمن كان اولئك الفرثيون ؟ اطلق على هؤلاء بالاضافة الى الفرثيين اسم الارشاقين Arsasids نسبة الى ارشاق Arsaces الذي قاد الثورة علي السلوقيين (في حدود ٢٥٠ - ٢٤٧ ق.م) ونجح في ثورته ونيله الاستقلال) وعرفوا كذلك باسم الاشغانيين وذكرتهم المصادر العربية باسم ملوك الطوائف ويستدل من المصادر التأريخية القليلة على ان الفرثيين كانوا احدى القبائل الهندية - الاوربية المتنقلة ، وان هذه القبيلة عرفت باسم « بارني » Parni وهي فرع من القبائل المسماة المسماة « داهي Dahae التي تنتمي الى القبائل الكثيرة التي عرفت في التاريخ باسم الاسكيثيين Scpthians او الاشكوزيين كما ذكرتهم المصادر الآشورية.وكانت هذه القبائل بدوية متنقلة في السهوب الواسعة ما بين بحر قزوين وبحر « ارال » واشتهرت بالفروسية والحرب حتى ان موت الواحد منهم في المعركة كانت اعز الامنيات .

وقد نزح الفرثيون في المنتصف الاول من القرن الثالث ق.م الى الاقليم الذي عرفوا به وهو الاقليم المسمى « بارثوا » (في منطقة خراسان) وقد ورد اسم هذا الاقليم في المصادر الفارسية الاخمينية قبل ان تستوطن فيه تلك القبائل بزمن طويل وذكر كذلك في ازمان اقدم في النصوص المسمارية

الآشورية مثل اخبار الملك الآشوري « اسرحدون » (القرن السابع ق.م) فقد ارسل هذا الملك حملة عسكرية توغلت في جهات بحر قزوين وجلبت بعض الاسرى من الاقليم الذي ورد اسمه بهيئة « برتوكا » الذي عين بانه اقليم بارثوا السالف الذكر .

وبرز في حدود ٢٥٠ - ٢٤٧ ق . م من تلك القبائل التي استوطنت « بارتوا » قائدان اخوان هما « تيريداتس » Tiridates وارشاق الذي نسبت اليه السلالة الارشاقية الحاكمة كما ذكرنا. وقد استطاع هذان القائدان ان يتغلبا على القائد السلوقي الذي كان حاكما على ذلك الاقليم في معارك حربية قتل في احداها ارشاق ولكن اخاه تيريداتس استمر في قيادة قومه واستطاع ان ينتزع الاقليم من ايدي السلوقيين وقد توطد مركز هذا الملك فشيد عاصمة له سماها باسم « اشاك » أو « ارشاق » باسم مؤسس السلالة وفيها توج ملكا ، وقد حاول سلوقس الثاني (٢٤٥ - ٢٢٦ ق.م) ان يقمع الثورة فارسل حملة لهذا الغرض ، ولكن تيريداتس انسحب الى السهوب البعيدة فلم يستطع سلوقس ان يقضي عليه فانسحب الى بلاد الشام على اثر القلاقل التي نشبت هناك في العاصمة « انطاكية » فانتهز الملك الفرثي هذه الاحداث واعاد الاستيلاء على اقليم خراسان ولم يكتف بذلك بل انه ضم اليه اقاليم اخرى الى الجنوب الشرقي من بحر قزوين ، مكونا بذلك الجزء الرئيسي من المملكة الفرثية.وقد ساعد تيريداتس حكمه الطويل الذي دام ٣٧ عاما على توطيد مملكته وتوسيعها الى الجهات الغربية ونقل عاصمته الى المدينة المسماة « هيكاتومبيلوس Hecatompylos وهي مدينة اغريقية تقع على ملتقى الطرق التجارية المهمة ما بين الشرق والغرب . واتخذ الملوك الفرثيون بالاضافة الى هذه المدينة عاصمتين اخريين من بعد ذلك هما « اكبتانا » (عاصمة الماذيين القديمة) ثم مدينة طيسفون التي اسسها الفرثيون على الضفة الشرقية من دجلة مقابل العاصمة السلوقية سلوقية . وتمثل هذه المدن الاربع المراحل التوسعية التي مرت بها الدولة الفرثية الى أن اصبحت امبراطورية ضمت اليها جهات كثيرة بالاضافة الى العراق .

خلف تيريداتس في حكم المملكة الفرثية الملك المسمى « ارطبان » الاول وقد جرت بينه وبين الملك السلوقي انطيوخس الثالث الثالث (٢٢٥ - ١٨٧ ق.م) معركة دحر فيها الملك الفرثي فاضطر الى الاعتراف بالسيادة السلوقية مؤقتا اذ لم يدم ذلك الوضع زمنا طويلا حيث انتهز الملك الفرثي الذي خلف ارطبان والمسمى « فريفاطس » Phripatus هزيمة الملك السلوقي في حربه مع الرومان واعاد الاستيلاء في عام ١٩٥ ق.م على الاقاليم الكائنة الى جنوبي بحر قزوين بالاضافة الى دحر الجيوش السلوقية .

توطدت الدولة الفرثية واتسعت مراحل ابعد ما بين عام ١٦٠ و ١٤٠ ق.م) ولا سيما في عهد الملك « مثريداتس الاول **Mithridates** الذي استطاع ان يستولي على بلاد ميدية وبلاد فارس وبلاد بابل وبضمن ذلك المناطق الجنوبية في منطقة البصرة التي قامت فيها الدويلة الآرامية المسماة « كراكينة **Characene** » وعلى بلاد آشور اي جميع القطر العراقي تقريبا باستثناء العاصمة السلوقية « سلوقية على دجلة التي عقد سكانها معاهدة مع الملك الفرثي قبل بموجبها ان تمنح المدينة استقلالا ذاتيا وبدلا من اتخاذها عاصمة للدولة الفرثية في العراق شيد الفرثيون لهم عاصمة جديدة هي المدينة المعروفة (طيسفون) التي قلنا انها تقع على الضفة الشرقية من دجلة مقابل سلوقية (التي تعرف بقاياها الآن باسم تل عمر وقد تحرت فيها في السنوات القليلة الماضية بعثة تنقيبات ايطالية من جامعة تورينو) . واتخذ مثريداتس الاول الذي يعد المؤسس الحقيقي للامبراطورية الفرثية لقب « الملك العظيم » بصفته وريثا للامبراطورية الفارسية الاخمينية ولقب نفسه بالاضافة الى ذلك بلقب محب الهيلينين **Philhellenes** لمداراة السكان الذين كانوا من اصل يوناني مقدوني ، وقد ظهر هذا اللقب على النقود الجديدة التي سكها ذلك الملك .

ومع استتباب احوال الدولة الفرثية وتوطيدها فان الملوك السلوقيين لم يتخلوا عن اطماعهم وطموحهم في اعادة اقاليمها الى سلطتهم وكانت آخر محاولة لهم ما قام به الملك السلوقي « انطيوخس » السابع الملقب سيديتس **Antiochus Sidetes** الذي شن حملة على الاقاليم الشرقية لاسترجاعها ولتخليص اخيه ديمتريوس **Demetrius** من الاسر ، وقد زحف على رأس جيش كبير الى العراق وانتصر على الفرثيين في ثلاث معارك واستطاع ان يصل في زحفه الى اكبتانا « ولكن احوال الجو وبعد المسافة منعته من التوغل مسافات ابعد فعسكر في تلك المدينة القديمة ، واسكن جنوده في مدن الاقاليم المجاورة وحاول الملك الفرثي « فراهاطس » **Phraates** الدخول في المفاوضات والصلح مع الملك السلوقي بيد أن شروط هذا الملك كانت مجحفة مثل اخلاء جميع الاقاليم التي احتلها الفرثيون باستثناء بلاد الفرثيين نفسها وان يدفعوا الجزية وتسليم الملك السلوقي الاسير « ديمتريوس » فلم يرضخ الملك الفرثي لتلك المطالب المهينة وبدلا من ذلك عمل على اذكاء الثورة في المدن التي حل فيها الجنود السلوقيون وكانوا عبئا عليها لا يطاق ، وحالما ثارت تلك المدن شن الملك الفرثي « فراهاطس » هجوما مباغتا على مركز الملك السلوقي انطيوخس فهزم هزيمة شاملة وقتل نفسه في المعركة واسر الكثير من جنوده . وتفاقمت الكارثة التي حلت بالدولة السلوقية في عام ١٢٩ ق.م حتى ان

سلطتهم في بلاد الشام اصبحت مهددة بالزوال ، ولم يسلموا منها لان الدولة السلوقية لازمها الضعف وصارت تحت رحمة الفرثيين في الشرق والرومان الى الغرب منهم . وجعل نهر الفرات الحد الفاصل ما بين الفرثيين والسلوقيين من جهة والرومان من الجهة الاخرى .

ولعل اهم سبب منع الفرثيين من التغلغل الى بلاد الشام . مركز الحكم السلوقي ما حدث في اثناء ذلك في الحدود الشرقية من مملكتهم من اندفاع القبائل البدوية من الجهات الشرقية من اقاليم تركستان وهم الاسكيثيون واندفعت الى بلاد ايران نفسها فاضطر الملك الفرثي فراهاطس على حشد قواه لضد اندفاع تلك الجموع الغازية التي هددت كيان المملكة وبلغ الخطر ذروته حتى قتل الملك الفرثي وخلفه في الحكم عمه او خاله المسمى « ارطبان » الثاني (١٢٨ - ١٢٤ ق.م) الذي قتل بدوره في المعارك الطاحنة فعم الاضطراب وانحلت المملكة وانفصلت عنها جملة ولايات كانت تابعة لها . ولم ينقذ الموقف العصيب الا تولى ملك فرثي قوي هو « متريداتس » الثاني (١٢٣ - ٨٨ ق.م) الذي برهن على انه كان من اعاظم قواد الحرب الفرثيين حيث تمكن من ازالة الاخطار الداهمة بصده اندفاع الاقوام البدوية الشرقية واعاد الاقاليم التي انفصلت عن المملكة ، وتفرغ من بعد ذلك لاعمال السلم فاقام علاقات تجارية وصداقة بين الفرثيين والصين .

وفي العراق توطد الحكم الفرثي ولا سيما منذ عام ١٣٥ ق.م وظلوا يحكمون العراق الى ان حل محلهم الفرس الساسانيون في عام ٢٢٦/٧م ودخول العراق في حكمهم ولكي يقضي الملوك الفرثيون على نفوذ العاصمة القديمة في العراق وهي سلوقية التي رأيناها تنشأ في اوائل العهد السلوقي انشأوا مدينة عاصمة منافسة هي طيسفون (الواقعة على الضفة الشرقية من دجلة مقابل سلوقية) وكانت طيسفون في مبدأ أمرها معسكرا للجند واستمرت في ازدهارها واتساعها في العهد الفارسي (٢٢٦ - ٦٢٧ م) وشيدوا في العراق مدنا اخرى مثل مدينة « اولغاشية » نسبة الى الملك الفرثي « اولغاش » الاول Volgases (٥١ - ٧٨ م) وموقعها في منطقة بابل ما بين الكوفة والحلة ، كما شيدت في الزمن الفرثي مدينة الحضر العربية المشهورة لتكون ثغرا على الطريق المهم الآتي من بلاد بابل الى نصيبين . واعاد الفرثيون ايضا بناء جملة مدن قديمة مشهورة مثل العاصمة الآشورية القديمة « آشور » (قلعة الشرقاط الآن) وقد اظهرت التنقيبات التي اجراها المنقبون الألمان فيها (١٩٠٤ - ١٩١٤) ابنية ضخمة من بينها القصور والحصون ، واعيد الاستيطان والتعمير في مدن عراقية أخرى مثل نفر والوركاء وقد تميزت ابنية العهد الفرثي بوجه عام بضخامة الابنية وثخن الجدران وحجم اللبن الكبير .

المبحث الثاني

النزاع مابين الفرثيين والرومان

لم يسلم الفرثيون من الحروب الخارجية من بعد حلول الضعف في المملكة السلوقية بوجه عام ولا سيما في مركزها في بلاد الشام ، فقد ظهرت دولة كبرى في الغرب هي الدولة الرومانية القوية التي خلفت السلوقيين في النزاع من جراء اطماعها ومصالحها في الاقاليم الشرقية ولا سيما بلاد الشام والعراق . وبرز النزاع على اشده بوجه خاص منذ ان استتب الحكم الفرثي في بلاد ما بين النهرين وتفردهم في حكم الاقاليم الشرقية وجعل الفرات الحد الفاصل ما بين الدولة الفرثية والغرب وكانت السيطرة على الطرق التجارية المهمة المارة في الاقاليم الشرقية والعراق وبضمن ذلك موارد التجارة الخارجية في مقدمة عوامل ذلك النزاع ، وقد سبق ان نوهنا بان مدينة الحضر العربية الكائنة في بادية ما بين النهرين قد شيدت لتكون مدينة ثغور لدرء التقدم الروماني عبر البادية .

نشبت ما بين الفرثيين والرومان حروب مستمرة ولعل ابرز ما يتميز به الحكم الفرثي في العراق بوجه خاص اخبار تلك الحروب التي استمرت الى العهد الساساني الذي اعقب العهد العهد الفرثي كما قلنا . واحتلت اخبار تلك الحروب مكانا مهما في مدونات الكتاب الروماني بحيث اصبحت مدوناتهم في مقدمة مصادرنا عن تاريخ الدولة الفرثية وتاريخ الاقاليم التابعة لها وفي مقدمتها ايران والعراق . ومما يجدر ذكره عن تاريخ الحروب الرومانية - الفرثية والرومانية الساسانية ان عدة مدن من بلاد ما بين النهرين العليا (اقليم الجزيرة في الاخبار العربية) برزت في تلك المنازعات بصفتها مدن ثغور وحصون على التخوم الفاصلة ما بين الامبراطوريتين ، وقد عانت الدمار والويلات من الهجمات المتبادلة المتكررة من جانب الطرفين وتبادلتها ايدي الفاتحين من كلا الطرفين نذكر اشهرها مثل انطاكية ونصيبين وحران والرها وآمد والبتراء وتدمر والحضر وسنجار وغيرها. ويبدو من اخبار الكتاب الروماني ان اقدم علاقات مباشرة ما بين الفرثيين والرومان ترجع في عهدها الى محاولة الملك الفرثي « متريداتس » الثاني (١٢٣ - ٨٨ ق.م) عقد معاهدة صلح وصداقة مع الدولة الرومانية لما جاء الجيش الروماني بقيادة القائد « سلا » Sulla (٩٢ ق.م) لمحاربة مملكة الأرمن في عهد ملكها المسمى « تغرانيس » فارسل الملك الفرثي الى ذلك القائد وفدا يعرض عليه معاهدة الصداقة ولكن القائد الروماني احتقر الوفد وطرده ، وعندما اسرع الملك الفرثي في الهجوم على الرومان واوقع

فيهم خسائر فادحة علمت الرومان درسا قاسيا عن قوة الفرثيين وشدة بأسهم في الحرب ، ولهذا السبب اضطر الرومان من بعد ذلك الى عقد معاهدة حياد مع الملك الفرثي « فراهاط » الثالث (٧٦ - ٧٠ ق . م) ومثل روما القائد الروماني لوكوس Lucullus وجددت المعاهدة في عهد « بومبي » ولكن نقض هذا القنصل الروماني المعاهدة من بعد ذلك واستولى على الاقاليم التابعة للدولة الفرثية في الجهات الغربية . وحدث في تلك الفترة نشوب فتن وقلاقل في الدولة الفرثية على اثر اغتيال الملك « فراهاط » وبعد نزاع بين افراد الاسرة المالكة تولى عرش المملكة الفرثية الملك « ارود » الثاني (٥٧ - ٥٤ ق.م) . وعين الرومان في عهد هذا الملك حاكما على سوريا هو القائد « كراسوس » الذي انخدع باضطراب الاحوال في بلاد ايران وظن ان الهجوم على المملكة الفرثية والاستيلاء عليها امرا سهلا فنشبت بين الفرثيين والرومان معركة طاحنة في حران (عام ٥٣ ق . م) نكب فيها الرومان نكبة مروعة حيث ابيد معظم الجيش وقتل القائد كراسوس نفسه . وتميزت تلك المعركة بطابع درامي اشبه ما يكون باساليب القتال عند الهنود الحمر في امريكا فيكون من المفيد لو نحن اوجزنا بعض الملاحظات عن تلك الموقعة ، فنقول ان ابرز ما تميزت به الحروب الفرثية السرعة والمباغتة اي سرعة الكر والفر . فان القائد الروماني « كراسوس » اضطربت خطته لما اراد الالتحام بالجيش الفرتي حين لم يجد وحدة ثابتة منه يوجه عليها الهجوم وبدلا من ذلك باغتته خيالة الفرثيين المسلحين بالاسلحة الخفيفة وامطرته بوابل من السهام القاتلة وهم في مأمن من القذائف الرومانية ، وكان الجيش الفرتي يضم بالاضافة الى ذلك الصنف من الخيالة كتائب من الفرسان المسلحين تسليحا ثقيلا . ولقد صبر القائد الروماني « كراسوس » وهو يشاهد على مضض فتك السهام الفرثية بجيشه ظانا ان الفرسان الفرتيين ستنفد ذخيرتهم من السهام ولكن حل به الفزع حين رأى ان كل فارس فرتي كان بعد ان يقذف آخر سهم يتقهقر الى الوراء مسافة قصيرة فيتزود بذخيرة جديدة من كنائن السهام التي كانت محملة على الجمال خلف صف المقاتلين . وعندئذ صمم كراسوس على ان يهجم في الحال فاوعز الى قوة مختارة من جيشه قوامها زهاء (٦٠٠٠) مقاتل من المقاتلين الغالبين الاشداء كان يوليوس قيصر قد جندهم من فرنسة والحقهم بالجيش الروماني ، وحين شرع هؤلاء بالهجوم ظهر فجأة جنود فرثيون مدججون بالسلاح وكانوا مختبئين في غابة مجاورة فتظاهر الجنود الفرثيون بالاضطراب الظاهري وتقهقروا مغرين الجند الرومان بمطاردتهم ، ثم كروا على حين غرة وزحفوا على مهاجميهم بصفوف متراصة . ومع استبسال الغالبين في القتال الا ان الفرتيين كثروهم واربكوهم ف المباغتة واباودهم كلهم تقريبا وكان يقودهم ابن القائد كراسوس ، ولما رأى هذا ما حل بج امر حامل ترسه ان يساعده في الانتحار فانتحر تخلصا من عار الهزيمة . ولما تراجع من بقي

جيش كراسوس في اليوم التالي هاجمه الفرثيون وقد افنى ثلاثة ارباعه تقريبا ومن بينهم القائد كراسوس وهو بسن ستين عاما . وقد روى المؤرخ الروماني « فلوطرخ » **Plutarch** قد صادف وصول الفرثيين قطعوا رأسه وأرسلوه الى أرمينية حيث كان الملك الفرثي « اورود » الرأس الى هناك لتمثيل رواية مسرحية للروائي اليوناني الشهير « يوربيدس » **Eurouides** وعنوانها « باخي » **Bachae** والتي كانت من بين مشاهدها رأس مقطوع فأستعمل رأس كراسوس لتمثيل ذلك المشهد . لقد احدثت تلك الكارثة في روما رجة وفزعا فاعد يوليوس قيصر حملة كبرى لتأثر من الفرثيين ، ولكنه اغتيل (٤٥ ق.م)قبل ان يحقق ذلك المشروع . وبدلا من ذلك انتهز الملك الفرثي فترة الاضطرابات والقلاقل التي حلت بين الرومان على اثر اغتيال يوليوس قيصر فوسع فتوحه في الجهات الغربية واستولى على بلاد الشام وبضمنها سورية وفينيقية . بيد ان تلك الانتصارات لم تدم امدا طويلا بل انعكست الآية بالنسبة الى الفرثيين ، فقد صادف ان القائد الروماني الشهير « انطونيوس » (مارك انطوني) في مصر فارسل حملة منها لايقاف الزحف الفرثي وانتصر الجيش الروماني على الملك الفرثي « فراهاط » الرابع (٣٧ - ٢ ق.م) الذي خلف اباه « اورود » وقد قتل في تلك المعركة الملك الفرثي مما شجع انطيونيوس) فصمم على غزو المملكة الفرثية في عقر دارها ، ولكن حلفاه الارمن لم يوافقوا على تلك الخطة وبدلا من ذلك وجهت الحملة الى بلاد مادى وكانت نتيجة الحملة اندحار الجيش الروماني ، وكاد القائد انطونيوس ان يفقد حياته وجيشه فانسحب وعاد مسرعا الى الاسكندرية وحاول ان يتناسى النكبة في احضان عشيقته كليوبطرة آخر الملكات من اسرة البطالسة الحاكمة في مصر

اعقب تلك الحروب والمنازعات ما بين الفرثيين والرومان أن عقدت ما بين الامبراطوريتين المتنازعتين معاهدة سلم ابرمت في اول العام الميلادي في عهد الملك الفرثي « فراهاط » الرابع والامبراطور الروماني اغسطس (٣٠ ق.م - ١٤م) . وكان من ابرز الدوافع على قبول الرومان بابرام تلك المعاهدة من التعايش السلمي ادراكهم لقوة الفرثيين من ناحية ومن الناحية الاخرى لم يكن الفرثيون خطرا مباشرا يهدد كيان الامبراطورية الرومانية لو تركوا وشانهم وجعلت ما بين الامبراطوريتين حدود واضحة مثل نهر الفرات الذي كان فيما مضى الحد الطبيعي ما بين الشرق والغرب . واتبع الرومان بالاضافة الى ذلك خطة اقامة ثغور ودويلات حاجزة **Buffer States** كان من بينها دولة تدمر العربية والدولة الارمينية ، بالاضافة الى مدن الثغور المحصنة التي سبق ان نوهنا بها مثل نصيبين والرها وحران وآمد والحضر وغيرها . والى هذا كله بدأت بوادر الضعف والتفكك في الامبراطورية الفرثية من جراء الانقسامات والنزاعات الداخلية بين الطبقات الحاكمة

وتذمر معظمها من سياسة الرضوخ والمصالحة التي سار عليها الملوك الفرثيون تجاه الرومان وتجلت بوادر الضعف تلك في ان الرومان اخذوا يتدخلون في المملكة الفرثية وحتى في شؤون العرش الفرثي ، حتى انهم ساندوا الملك فراهاط الخامس الذي دس السم لابيه ، وفرض عليه مقابل ذلك تنازله عن اطماع الفرثيين ببلاد ارمينية ولم يمكث هذا الملك في الحكم زمنا طويلا اذ خلع ، وطلب الامراء الفرثيون من الامبراطور الرومان اغسطس ان يرسل اليهم احد ابناء الملك الفرثي « فراهاط » الرابع الذي كان موجودا في روما وقد سبق ان ارسله ابوه مع اخويه الى البلاط الروماني ليتثقف هناك من بعد معاهدة الصلح التي ابرمت بين ذلك الملك وبين الامبراطور اغسطس فارسل اليهم هذا الامبراطور الابن المسمى « اونون » الاول **Vonones** ونوج ملكا على الفرثيين ، ولكنه لم يتمتع بالحكم زمنا طويلا لأن نبلاء المملكة تذمروا منه واشمأزوا من ثقافته الغربيه الرومانية فخلعوه ولاحقوه الى سورية وقتلوه هناك ، ونصب على العرش الفرثي من بعده ارطبان الثاني (١١ – ٣٨ م) المنحدر عن طريق النساء من الاسرة الارشاقية المالكة . وكان هذا الملك على شيئ من الحزم فحصل انتعاش في الحياة السياسية الامر الذى جعل الرومان يتخوفون منه ، فأخذوا يتدخلون في شؤون المملكة الفرثية ويرجح ان الثورة التي نشبت ضد ارطبان الثاني في منطقة سلوقية في العراق كانت بتحريض من الرومان ، وقد دامت تلك الثورة زهاء سبع سنوات .

وكانت هذه الاحداث وغيرها بوادر النزاع مجددا مابين الرومان والفرثيين ، وانتهى عهد السلم والتعايش مابين الطرفين في زمن الامبراطور الروماني تراجان (٩٨ – ١١٧ م) وبدأت الحروب مابين الطرفين . وكانت الجيوش الرومانية تتوغل في بعض الاحايين الى داخل المملكة الفرثية ، الى وسط العراق والى العاصمة طيسفون نفسها التي نهبت ودمرت مرارا. ومما يقال عن الامبراطور ترجان انه كان مولعا بتقليد سيرة الاسكندر الكبير واتباع اساليب حربه . فسار على رأس حملة على المملكة الفرثية من انطاكية في عام ١١٥ م ، وكان يرافق الحملة سفن وقوارب صنعت في مدينة نصيبين وحملت على عربات ونقلت الى جزيرة ابن عمر ، ونجح الجيش الروماني في عبور نهر دجلة ووصل الى قرب الموصل ومما يلفت النظر في زحف تراجان انه لم يهاجم العاصمة الفرثية طيسفون رأسا بل عبر دجلة واتجه غربا قاطعا البادية التي تفصل مابين نهر الفرات ودجلة وقد مر بمدينة الحضر (١١٦ م) وحاول فتحها ولكنها صمدت فعز عليها فتحها فسار نحو الفرات واتصل باسطول روماني ثان كان قد انحدر عبر الفرات فسار به الى مدينة بابل . اما الملك الفرثي خسرو (١٠٩ – ١٢٨ م)

فانه كان يراقب زحف تراجان ولم يشتبك معه في اية معركة حتى ان تراجان استولى على طيسفون بدون مقاومة وغنم منها غنائم كثيرة ٠ واتجه من بعده ذلك الى اسفل دجلة حتى خليج العرب وكأنه في نزهة نهريه . وحينما كان في هذه النزهة وهو يحلم في غزو الهند متذيا مثال الاسكندر الكبير بلغته الانباء المروعة من الشمال ذلك ان الملك الفرثي استعاد جميع المدن التي اخذها الجيش الروماني ، فاضطر تراجان الى العودة في حر الصيف الشديد ، وسرعان ما احاط به الاعداء من كل جانب وقتل في المعركة وخلفة هادريان الذى كان في الحملة فاصبح امبراطور الرومان (١١٧ – ١٣٨ م) وتنازل عن جميع الاقاليم المفتوحة الى المملكة الفرثية وتقهقر الى ما وراء الفرات .

وبعد خمسين عاما من هذه الاحداث غزا العاصمة الفرثية طيسفون قائد روماني اسمه كاسيوس ارسله الامبراطور الروماني مرقس اوريليوس (١٦١ – ١٨٠ م) ولكنه لم يفلح في فتح العراق ٠ وتكررت الهجمات الرومانية من بعد ذلك على المملكة الفرثية نذكر من بينها حملة الامبراطور سبتموس سويورس في عام ١٩٨ / ١٩٩ م وحصاره لمدينة الحضر التي صمدت بوجهه وعانى في حصارها الامرين من شدة نيران المدافعين حيث كانوا يقذفون بنوع مخيف من القذائف النارية ولعل هذه من اقدم الاشارات الى نيران النفط والقير السائل الذى اشتهر به اهل الحضر ٠ واعقب ذلك حملة الامبراطور كراكلا (Caracalla) ابن الامبراطور سبتموس سوبرس وكان كراكلا غادرا اقاسيا فبعد ان دحر الجيش الفرثي حاصر طيسفون وتظاهر بانه يريد الصلح حتى انه طلب يد ابنه الملك الفرثي يتزوجها ، فأمن اهل المدينة وخرجوا من اسوارها ، فاعمل السيف فيهم الجند الرومان وقتلوا منهم خلقا كثيرا ، وكان مصير هذا الامبراطور السفاح الموت اغتيالا وكانت آخر حرب ما بين الفرثيين والرومان في عهد آخر الملوك الفرثيين المسمى ارطبان الخامس (٢٠٨ – ٢٢٦ م) والامبراطور الروماني (مكرنيوس) حيث نشبت معركة كبرى في نصيبين وانتهت بابرام معاهدة صلح بين الطرفين ارجع الرومان بموجبها جميع الغنائم والاسرى من عهد كراكلا ودفع الرومان تعويضات مالية الى الفرثيين . وهكذا اخفق الرومان في فتح العراق رغم تكرر الحملات الحربية التي دامت زهاء القرنيين ونصف القرن من الزمان ٠

نهاية الحكم الفرثي :

وكما كانت الحرب مابين الملك الفرثي أرطبان الخامس وبين الرومان آخر حرب ما بين الدولتين فأنها كانت كذلك نهاية حياة المملكة الفرثية وحكمها في ايران

وخلفتهم في حكم ايران والعراق سلالة فارسية جديدة عرفت باسم الساسانيين (٢٢٦- ٦٥٠ م) الذين دام حكمهم الى الفتح العربي الاسلامي واستمرت المنازعات والحروب مابين الشرق والغرب اى مع الرومان ثم الرومان البيزنطيين ومع الفرس الساسانيين ودامت الى آخر حياة الدولة الساسانية ومما لا شك فيه ان الحروب ما بين الفرثيين والرومان التي قلنا انها دامت زهاء القرنيين ونصف القرن قد كانت في مقدمة العواعل التي قوضت كيان الدولة الفرثية حيث استنزفت قواها وفككت من تماسك الحكم وشجعت الامراء الفرثيين على الثورات لتولى الحكم ، وكانت آخر تلك الثورات الثورة التي قام بها امراء اقليم فارس بزعامة احد الامراء وهو « اردشير » بن بابك بن ساسان ونجح في الاستقلال والقضاء على الملك الفرثي واليه نسبت السلالة الجديدة الحاكمة (٧ / ٢٢٦) وسيمر بكم موجز تاريخ بلاد أيران في العهد الساساني الجديد في الفصول الاتية ..

الفصل الثاني

موجز عن النظم الاجتماعية والادارية في الامبراطورية الفرثية

١ -(قامت السلطة في المملكة الفرثية الارشاقية على اسناد الاسر النبيلة من القبيلة الفرثية الرئيسية اى قبيلة (الفارثي) Parni) يمكننا اعتبار انتقال السلطة الى هذه القبائل على انه يمثل انتصار القبائل الايرانية الشمالية على الايرانيين من اهل الجبوب وبعبارة اخرى الايرانيين البدو الى الايرانيين المستقرين المتحضرين الذين ورثوا تراثهم الحضارى من الحضارات القديمة مع اضافة الصبغة الهلينية الجديدة التي دخلت بلاد ايران على اثر فتوح الاسكندر كما مر بنا . وكانت الفروق الحضارية بين الايرانيين الشماليين والايرانيين الجنوبيين فروقا كبيرة لم يسهل تسويتها الا من بعد مرور فترة طويلة على الحكم الفرثي ، ولم تنجح نهائيا اذ يمكننا اعتبار انتصار الثو ة الساسانية واخذها الحكم انتصارا للفرس المتحضرين .

٢ -(وكانت المملكة الفرثية الكبيرة مقسمة الى دويلات واقاليم واسعة ولكن بعضها كانت ولايات واسعة مهمة) بلغت نحو احد عشر اقليما اهمها بلاد ماذى وفارس وبلاد ارمينية وبلاد عيلام وولاية الكرخ Characene التي ظهرت كدويلة شبه مستقلة في الاجـــزاء الجنوبية من العراق أي في منطقة البصرة والعمارة واستقلت عن السلوقيين على اثر اندحار الملك انطيوخس الثالث (٢٢٣ - ١٨٧ ق . م) على ايدى الرومان ، وصارت في العهد الفرثي من الدول المهمة التابعة للتاج الفرثي ، اما بقية الاقاليم والولايات فكان يحكمها حاكم اووال يعين من قبل الملك الفرثي .

٣ -(كان اساس النظام السياسي في الحكم الفرثي النظام الاقطاعي Feudal الذى كان يشبه الى حد بعيد النظام الاقطاعي في اوربة في عصورها الوسطى) واشتهر من امراء الاقطاع الفرثيين عدة اسر نبيلة اشهرها سبع اسر كان على رأسها السلالة الحاكمة الارشاقية حيث كانت في قمة الهرم الاقطاعي الذى يكون قاعدته في الاسفل الطبقات الدنيا وجموع الفلاحين والمحاربين التابعين لامراء الاقطاع . وكانت الروابط التي تربط ما بين النبلاء وبين تابعيهم من المحاربين اقوى من الصلات التي تربط هؤلاء برأس المجتمع وهو الملك وبمناسبة ذكرنا للملك لم يكن هناك نظام خاص لتولى العرش ، كما لم يكن من الضرورى ان يخلف الابن اباه الملك اذ كانت الطبقات النبيلة الارستقراطية العامل الحاسم في تولى

العرش حيث تتم بيعة الملك الجديد او انتخابه في مجلس خاص بالنبلاء وكان هذا شبيها بمجلس العموم (السنات) الروماني الذى كان بيده ايضا السلطات والامتيازات الملكية وحقوق الملك وكان عند الفرثيين مجلس آخر للدولة مهمته استشارية ويتألف من طبقة المجوس (**Magi**) والحكماء وكان هذا المجلس قريب الصلة بالعرش . وخلاصة ما يقال ان طائفة النبلاء كانت الاساس التي تقوم عليها قوة العرش كما كانت اهم عامل في سقوط الملك ، وقد ورث الساسانيون شيئا من هذا النظام الاقطاعي .

٤ -- ومما يقال عن المجتمع الايراني في العهد الفرثي انه استمر بوجه اساسي على ماثره وتقاليده فمثلا كان الشغل الشاغل لطبقة النبلاء الصيد والحرب . ولم يكن هناك نظام ثابت للجيش القائم بل انه كان لكل امير اقطاعي جيشه الخاص من اتباعه ويقدم الى الملك في حالة نشوب الحروب الخارجية خدماته الحربية مع اتباعه المحاربين من الاحرار والعبيد وكان امراء الاقطاع مسؤولين عن تجهيز الجيش بالاسلحة . واشتهر المحاربون الفرثيون بالمهارة والكفاءة ولاسيما في سرعة المناورة ، كما أشتهر الصنف المسلح بالسهام والقذائف بالاضافة الى الفرسان المسلحين تسلحين ثقيلا (**Cataphract**) والمسلحين بالاسلحة الخفيفة وهناك صنف المشاة الذين كان قوامهم من الفلاحين والجبليين ومن العبيد .

المبحث الثاني : المجتمع ومعتقداته الدينية : --

مما يقال عن الاحوال الدينية في بلاد ايران في العهد الفرثي ان مصادرنا عنها قليلة غير كافية ، فلا نعرف مثلا العناصر التي ادخلها البدو الفرثيون سوى ان ديانتهم كانت تدور على عبادة القوى الطبيعية كالشمس والقمر ، واظهرت الدراسات الحديثة -- ان الزرداشتية وهي ديانة الفرس القدماء لم تنتشر بين الفرثيين ، بيد ان عبادة الآلهة القديمة في العهد الاخميني استمرت في الممارسة وبوجه خاص عبادة الالهُ مثرا والالهةُ اناهيناُ والاله اهرامزدا ، وشاعت عبادة اناهينا (المضاهية لعشتار -- البابلية) في العهد الفرثي وشيدت لها عدة معابد وعبدت في ولاية سوسة باسمُ نانيا (وهو الاسم البابلي -- السومرى لاناهينا) ، واستمرت عبادتها في العهو الساساني حتى ان اجداد السلالة الساسانية كانوا قواما في معبد النار الخاص بها في اصطخر (برسيبوليس القديمة) وفي ممارسات دفن الموتى لم يتبع الفرثيون العادة المجوسية في تعريض الجثة فوق المرتفعات تنهشها الجوارح وانما اتبعوا اسلوب الدفن الاعتيادى كماتشير الى ذلك القبور التي التي يرجع زمنها الى ذلك العهد الفرثي ومنها قبور التوابيت**Sarcaphagos** المزججة الشبيهة

بالاحذية وكان الكثير من هذه التوابيت يزخرف في الخارج ببعض الصور الناشئة من بينها صورة الهة عارية يرجح انها تمثل الآلهة اناهينا .

وتروى احدى الاساطير الكلاسيكية ان الاسكندر الكبير احرق الكتاب الذى وجده مدونا على الرق من الجلد بحروف الذهب ولعل هذا يشير الى الافستا كما تشير الروايات المتأخرة الى ان الافستا جمعت ودونت في عهد الملك الفرثي ولغاش الاول (٥١ - ٧٧ م) ولكن الكتابة العائدة الى الملك الساساني شابور الاول (٢٤١ - ٢٧٢ م) المنقوشة في معبد النار في نقش رستم لا تشير الى ان الاغستا قد دونت في عهده بل يرجح الباحثون ان الخط المدونة به يرجع الى القرن الرابع او لعله السادس الميلادى .

واشتهر الفرثيون بتساهلهم الديني وترك الاقاليم التابعة على ما ثرها الدينية ، حتى انهم في العراق اتخذوا عبادة بعض الآلهة المحلية وشيدت معابد مهمة في الوركاء ونفر وكيش وغيرها لعبادة الالهة القديمة .

٥ - ازدهار المدن والمراكز العمرانية القديمة : -

لم يشتهر الملوك الفرثيون بتأسيس المدن الجديدة الكثيرة بل ان مما يمكن عزو بنائه اليهم عدد قليل جدا . فمن المدن المهمة التي تنسب الى العهد الفرثي خارج بلاد ايران العاصمة **طيسفون (طاق كسرى) والحضر التي استها سلالة عربية من الحكام في العهد الفرثي وكذلك** اولفاشيته في بلاد بابل وفي ايران درب جرد (**Darbagard**) وجور فيروز أباد الى الجنوب من شيرا وقد شيدها اول الملوك الساسانيين حين كان حاكما تابعا للملك الفرثي ولكنه كان يخطط للثورة والاستقلال عن الفرثيين وامتازت تلك المدن بخصائص عامة في تخطيطها فكانت في الغالب مدورة الاشكال تقريبا ، وهذا نوع من خطط المدن كان معروفا في الشرق الادنى وبوجه خاص في العراق القديم بما قبل العهد الفارسي ، فان الوركاء واوركانتا مثلا مدينيتين شبه مدورتين ، كما بنى الاشوريون معسكراتها بهيئة دائرية وكانت المدن الفرثية في الواقع معسكرات للجند في اصلها ووظيفتها فمثلا بنيت طيسفون لتكون معسكرا فرثيا مقابل سلوقية (في الضفة الغربية من دجلة) واتسعت في العهد الساساني حتى اضحت حاضرة كبيرة ، وكانت مدينة الحضر كذلك ثغرا او حصنا بالقرب من الحدود ما بين الامبراطوريتين الفرثية والرومانية وكثير ما استعملت قاعدة للدفاع عن العراق وايران ازاء الجيوش الرومانية الاتية من سورية .

والى جانب هذه المدن التي اسسها الفرثيون انفسهم فان الملوك الفرثيين عمروا وجددوا بناء عدة مدن قديمة لتكون مراكز لحكمهم وجيوشهم ، ففي العراق مثلا جددت العاصمة الآشورية القديمة آشور (قلعة الشرقاط) وقد اظهرت التنقيبات التي اجراها الاثاريون الالمان (١٩٠٤

-- ١٩١٤) بقايا قصور معظمة بحيث يصح القول ان مدينة جديدة انشئت عند موقع العاصمة القديمة ، ووجد المنقبون في امهات المدن القديمة في العراق مباني وقصورا كبيرة من العهد الفرثي مثل مدينة كيش والوركاء ونفر وبابل كما تكثر بقايا المستوطنات الفرثية في العراق التي يدل على عهدها الفرثي الملتقطات السطحية المميزة ، وحديثا اجرى قسم الاثار في كلية الآداب (١٩٧١ -- ١٩٧٦) تحريات مهمة في موقع تل اسود وهو مستوطن فرثي بالقرب من مدينة البياع . وجددت المدينة الكبرى السلوقية المسماة دور يوربس (الصالحية الآن بالقرب من الفرات في سورية) وقد اسسها في حدود ٣٠٠ ق . م اولى الملوك السلوقيين سلوقس الاول واشتق اسمها من الكلمتين دورا (من كلمة دور البابلية الآشورية التي تعني القلعة والحصن ومن كلمة يوروبس وهو اسم البلدة التي ولد فيها الملك السلوقي في سلوقس في بلاد مكدونية .

واشتهرت المدن الفرثية بان واجهات قصورها كانت تزين بالنحوتات البارزة وخير مثال على ذلك مدينة الحضر . ومع ان المنقبين لم يعثروا على نماذج من بناء المعابد في العهد الفرثي في بلاد ايران نفسها ، ولكن وجدت عدة نماذج من المعابد من هذا العهد خارج بلاد ايران وفي مقدمتها مدينة الحضر.وكان قوام مثل هذه المعابد حجرة مركزية مربعة يفصلها عن الخارج ممش اوممر (Ambulatory) وهذايرجع في اصله الى العهد الفارسي الاجنبي ، حيث تميزت المعابد ايضا بسلم خارجي يدخل في اصل ثخن الجدار ويؤدي الى السطح الموجود فيه الحجرة المخصصة للنار المقدسة . اما تقديم القرابين فكان يتم في خارج المعبد في مقدمة مدخله . ومما يقال بوجه الايجاز عن الفن الفرثي انه ورث العناصر القديمة من الفرس الاخمينيين ثم الطرز التي دخلت في العهد السلوقي المتأثرة بالفن اليوناني ولكن مع ذلك تميز الفن الفرثي بشخصيته المستقلة ومحاولة للانطلاق من قيود الفن الهلنستي وكان بداية فن ايراني توضحت معالمه في العهد الساساني التـــالـــي .

٥ -- موجزعن التجارة والحياة الاقتصادية : --

كانت الدولة الفرثية وبوجه خاص ايران والعراق واسطة مهمة للتجارة الدولية ما بين الشرق والغرب ، وخاصة تجارة الهند والصين واواسط آسية وبضائعها المهمة مثل الحرير والبهار والعاج والعطور وقد ازدهرت الحياة الاقتصادية في معظم العالم المتمدن ولا سيما منذ القرن الاول بالمقارنة مع القرن السابق الذي عمت فيه الاضطرابات والثورات والقرصنة وفقدان الامان . وساعد السلم الذي عممه اول امبراطور روماني وهو اغسطس على ازدهار التجارة الدولية ومما

ساعد على ازدهار تلك التجارة التحسن الذي حصل في وسائل النقل والاعتناء بالطرق العالمية والمحافظة عليها ، فقد اعتنى الفرثيون بوجه خاص في تأمين سلامة تلك الطرق وافادوا منها فوائد كبيرة من تجارة المرور (الترانسيت) فكانت طرق البادية تجهز بالمنازل (الخانات) وبمياه الابار ، وشيدت في المدن التجارية المهمة مثل تدمر ودور يوريس والبتراء البيوت والخانات لايواء التجار والقوافل التجارية . وتشير الوثائق المدونة التي وجدت في دور يوريس الى تأسيس نظام لما يمكن تسميته بشرطة البادية للمحافظة على الطرق التجارية . كما استفاد الفرثيون من النظام البارع الذي اسسه الفرس الاخمينيون واشتهر بسرعته (حتى ان كلمة بريد تعني في الفارسية القديمة السرعة) وانشاء المحطات العديدة والمنازل لتبديل العربات والخيل لضمان السرعة ويروي ان الملك ورد ان (**Vardanes**) لما ذهب لخلع اخيه جوتارز (**Gotarzes**) قطع ٣٥٠ ميلا في يومين واستعملت طريقة الباس حوافر الخيل بالنعال الحديدية لضمان سرعة جربها . ومن ناحية الاساليب الناجحة يجدر التنويه بما حصل في العهد الهلنستي (منذ فتح الاسكندر للشرق) من الطرق الناجحة في الزراعة المكثفة ، وتقدم فن تدجين الحيوانات كالطيور والدجاج وادخلت زراعة نباتات واشجار مهمة جديدة ، وحصل في ذلك تبادل مابين ايران والبلاد الشرقية البعيدة مثل الهند والصين واستعارت الصين مثلا زراعة البرسيم والكروم والبصل والزعفران والياسمين ، واخذت ايران فن تربية دودة القز وبعض الاشجار المثمرة التي يرجع ان من بينها اشجار بعض الحمضيات كما يتمل ان بداية زراعة قصب السكر قد دخلت من الصين في هذا العهد .

الباب الرابع

ايران في عهد الساسانيين

الفصل الاول

قيام الدولة الساسانية

المبحث الاول :

ساسان : جد الاسرة الساسانية الحاكمة

تجمع المصادر على ان ساسان كان الكاهن الاعلى لبيت النار الخاص بالالهة (اناهيتا) في مدينة اصطخر باقليم فارس من بلاد ايران (١) ، وكانت زوجته من افراد البيت الحاكم في اصطخر المعروف بعائلة البازرنجيين (Basrangi) وان معلوماتنا عن اقليم فارس ومركزه مدينة اصطخر قليلة من بعد زوال دور الاخمينين السياسي ، وبعد ان كانت ولاية فارس المركز الرئيسي للامبراطورية الاخمينية ولكن مجموعة من الاثار التي عثر عليها في هذا الاقليم ، وبشكل خاص مجموعة من النقود تلقي بعض الضوء على تاريخ هذه الولاية خلال حكم السلوقيين والفرثيين حيث يلاحظ على اسماء الامراء التي ضربت على هذه المسكوكات محافظة قوية على التراث الاخميني القديم ، ويشبه ذلك ايضا الاحتفاظ باسماء ملوك الاخمينين حية في الاذهان يحملها امراء هذا الاقليم منها أرتحششتا ودارا .

في حدود القرن الثاني ق . م ، اخذ امراء هذا الاقليم يتلقبون بلقب (شاه) اي ملك بدلا من لقب الحاكم وهذا ما يشير الى تطور سياسي واضح لصالح هذا الاقليم على حساب الدولة السلوقية والفرثية الحاكمة في ايران وعلى الرغم من وجود امارات صغيرة تتوزع في اقليم فارس ، لكن امارة مدينة اصطخر كانت اكبرها واهمها ، ومثلما كانت هذه المدينة عاصمة ملوك ايران القدماء من الاخمينين ، قدر لها ثانية ان تلعب دورا خطيرا في احداث التأريخ الايراني والشرق القديم في عهد الساسانين .

ورث بابك سلطانه الدينية العالية عن ابيه ساسان بعد وفاته واستفاد ايضا من صلة القربى التي تربطه بالعائلة المالكة عن طريق

(١) تطلق لفضة فارس على اقليم واسع من بلاد ايران يقع في الاقسام الجنوبية الغربية المجاورة للخليج العربي ومن مدن هذا الاقليم الرئيسية مدينة اصطخر القريبة من برسيبوليس عاصمة الاخمينين . ولا يعرف بشكل دقيق، متى بنيت هذه المدينة ولكنها على اية حال كانت مركزا رئيسيا للاقليم في العهد السلوقي وبسبب التبدل السياسي ومواقع مراكز القوى العظيمة على عهد الدولة الساسانية ونخص بالذكر منها الدولة الرومانية ، فلم تعد أصطخر بموقعها المنزوى تلائم هذه التطورات . فانتقل الملوك الساسانيون الى المدائن (طيسفون)

امه ، وهي اسرة البازرجيين حاكمة الامارة . فعين احد اولاده وهو اردشير قائدا عسكريا على مدينة دارا بجرد احدى مدن اقليم فارس . فاظهر اردشير ذكاء وهمة عالية ومقدرة كبيرة في احتواء الظروف المناسبة . فعمل على توسيع دائرة سلطانه بضم المدن المجاورة . ويذكر ان فاتح اباه بابك للانتفاض على حكم العائلة البازرنجية في اصطخر .

وفي حدود عام (٢٠٨ م — او ٢١٢ م) نجح اردشير في فرض سيطرته على معظم مدن اقليم فارس ، في نفس الوقت الذي شهدت فيه مدينة اصطخر ثورة نفذها بابك قتل على اثرها حاكم الولاية وحل محله .

وعلى الرغم من ان مدبر ومنفذ هذا التغيير السياسي في فارس هو اردشير ، لكن والده بابك خشي من تنامي طموح اردشير وتحذر منها كثيرا ، فكتب الى ارد وان (ارطبان) الخامس آخر ملوك الفرثيين يستسمحه في تتويج ابنه سابور على عرش ولاية اصطخر فرفض ارطبان ذلك معتبرا عمل بابك وابنه اردشير عصيانا على حكم الدولة الفرثية .

توفي بابك من بعد ذلك بقليل فتوج سابور بن بابك مكان ابيه ، ولكن خلافا شديدا نشب بين شابور واخيه اردشير بلغ درجة اعلان الحرب بينهما ، وسببه عدم رضى اردشير على تتويج اخيه وعدم اطاعته لاوامره . وقد خدمت الصدفة في تمهيد الطريق امام اردشير لتحقيق احلامه وطموحه فيروي ان جدارا قديما كان سابور قد اتخذه — مقرا لقيادته ، سقط عليه وقتله .

البحث الثاني : عهد اردشير : —

ولكي يتخلص اردشير من كل معارضه محتملة لعرشه او طامع فيه عمد الى قتل جميع اخوته . فكانت بادرة سيئة سار عليها كثير من الملوك الساسانيين .

كان الاصطدام بين الفرثيين وبين اردشير متوقعا ، لذلك عمل اردشير وبسرعة تامة لتوسيع رقعة سلطانه السياسي ولدعم قواه العسكرية والمادية للمعركة الفاصلة مع الفرثيين وفعلا تحرك ملك الاهواز بامر تلقاه من ارطبان للقضاء على عصيان اردشير ولنقله مكبلا الى المدائن وبدأت استعدادات اردشير العسكرية بفتح كرمان (١) ثم اصفهان في طريق زحفه الى الاهواز (٢) . ولم يكتفي اردشير بقتل ملك الاهواز واحتلال مدينته بل واصل الزحف صوب ميسان عند مصب نهر دجلة في الخليج العربي وكانت آنذاك بأمرة العرب الموالين

---

١) كرمان : ولاية مشهورة وناحية كبيرة معمورة ذات بلاد وقرى ومدن واسعة بين فارس وسجستان وخراسان

٢) الاهواز : (خوزستان) لقد مر بكم ان بلاد عيلام القديمة وموقعها شمال وشمال غرب اقليم فارس . الى الشرق من محافظتي البصرة وميسان في عراق اليوم ، يجرى فيها نهر الكارون ، ومن مدنها الشهيرة السوس (سوسة العيلامية) وششتر وعبادان وغيرها .

للفرثيين . وامام هذه الانتصارات العسكرية التي وسعت من دائرة سلطان اردشير وجد الملك الفرثي نفسه مضطرا لمحاربة اردشير ، ولكنه خسر المعركة امام اردشير وقتل فيها . فدخل اردشير المدائن ظافرا عام (٢٢٤ م او ٢٢٦ م) واعتبر نفسه بعد مقتل الملك الفرثي ، الوارث الشرعي للفرثيين وتلقب ابتداءا من هذا التاريخ بلقب (شاهنشاه) ملك المملوك . ويروى ان اردشير تزوج بعد ذلك من عائلة الاشكانيين (العائلة الحاكمة في الدولة الفرثية) فانجبت له ابنه شابور ، بينما يروي باحثون آخرون ان سابور كان فتى يافعا عندما حارب اردشير ملك الفرثيين .

ومهما يكن من امر ولادة سابور ، فالواضح ان اردشير قصد بزواجه من البيت - الاشكاني ، اكساب حكمه الشرعية اللازمة في وراثة الفرثيين يبدو ان الانتصارات الباهرة التي تحققت لاردشير لم تكن كافية لخلق دولة كبيرة متماسكة كان يطمح - لاقامتها ، بخاصة وان النظام اللامركزي التي كانت عليه الدولة الفرثية ، لايفترض بخضوع الاقاليم والولايات العديدة التابعة للدولة الفرثية لاردشير اثر انتصاره على المدائن العاصمة لذلك سار نحو اقاليم بلاد ايران المتعددة ليفرض سيطرته المباشرة ولينتزع ولائها للعهد الجديد .

فتحرك صوب همدان (١) ففتحها وواصل زحفه شمالا صوب اذربيجان وارمينية ثم تحرك صوب الموصل ومنها الى السواد (٢) ومنها الى اصطخر ، ثم بدأ بحملة واسعة صوب الاقسام الجنوبية والشرقية لأيران ، ففتح سجستان (٣) ، وخراسان ومرو (٤) وبلخ (٥) وخوارزم (٦) بعدها قفل راجعا الى مسقط رأسه اقليم فارس واثر الانتصارات العسكرية الواسعة التي حققها اردشير وردته رسل ملك كوشان (كابل والبنجاب) وملك مكران تعترف بسلطانه وتذعن لطاعته فبلغت دولة اردشير حدودا شاسعة وضمت الى نفوذها افغانستان وبلوخستان وأقليم

---

(١) همدان : مدينة كبيرة في اواسط سلسلة جبال زاكروس تقع على الطريق الرئيسي الذى يربط هضبة بلاد أيران ببلاد وادى الرافدين عبر جبال زاكورس وقد سبق أن رأينا كيف اتخذها الميديون عاصمة لحكمهم لتميز موقعها وكانت تعرف باكبتانا ومعناه ملتقى الطرق .

(٢) السواد : هي الاقسام الجنوبية من بلاد وادي الرافدين والذي عرف ايضا باسم العراق .قبل ان تصبح تسمية العراق عامة بجميع انحاء بلاد وادى الرافدين .

(٣) سجستان : ولاية واسعة ، مدينتها ذرنج ، وبينها وبين هراة ثمانون فرسخا الى الجنوب وتقع الآن بين أيران وافغانستان وعاصمتها اباد .

(٤) مرو : من اشهر مدن اقليم خراسان (ابهر شهر قديما) .

(٥) بلخ : من مدن خراسان المشهورة تقع على نهر بلخ شمالي افغانستان وكانت عاصمة لدولة سبكتكين ودمرت على يد جنكيزخان .

(٦) خوارزم : اسم ناحية كبيرة فيما وراء النهر قصبتها جرجان ، تحاذى نهر جيحون وتسقى منه .

واحات مرو والي حدود نهر جيحون (٧) شمالا ، وبابـــــل والعراق غربـــــا

كان اردشير في اعماله جميعا يقتفي اثار عظماء الملوك الأخمينين فهو يعد نفسه وارثـا

شرعيا لحكمهم ، وفي خطواته بعيد الحكم الى اهله الشرعيين .

توج اردشير ملكا للملوك على ايران بعد انتصاره على الفرثيين في المدائن ، ويعتقد ان حفلة

التتويج تمت في مسقط رأسه مدينة اصطخر حيث كان جده ساسان (الموبذان موبذ) رئيس

كهنة معبد النار فيها .

وتروي المصادر العربية أن اردشير لم يكتف باقامة دولة مترامية الاطراف وانما اكمل دستـور

الملوك ورتب المراتب واحكم السير وتفقد الامور بنفسه وبنى من المدن ست مدائن منها بارض

فارس مدينة اردشير خسرو ومدينة رام اردشير ومدينة استاذ اردشير وهي كرخ ميسان ومدينة

بالبحرين واخرى بالموصل .

وكان للملوك الساسانيين الاوائل ومنهم اردشير اهتمام طبيعي باقليم فارس لأنه مسقـط

رأسهم وموطن اجدادهم الاخمينين . لذلك اتخذوا من الاقسام الصخرية في ضواحي

مدينة اصطخر لتخليد ذكراهم في كتابات ورسوم تذكارية ويعرف هذا المكان بنقش رجب

والآخر نقش رستم القريب من مقابر الاخمينين في المنطقة ذاتها .

اخلد اردشير الى الراحة في اواخر ايامه ونقل العرش الى ابنه سابور على عهده بعد ان اعاد للفرس

سلطانهم الغابر من ايام الامبراطورية الاخمينية فقد قامت في الشرق بعد مضي خمسة قرون

تقريبا على سقوط الدولة الاخمينية ، دولة معظمة قوية الاركان . سادت — على قدم المساواة

مع الامبراطورية الرومانية .

ولم يرتد الساسانيون عن التراث الفرثي وانما سايروه وطوره نحو الكمال ، فقد استخدم الملوك

الساسانيون اللغة البهلوية الاشكانية بجانب البهلوية الساسانية في الساسانية في تسجيل نصوصهم

التذكارية ولكـــــن الدولة الساسانيـــــة الجديدة لـــــم

تكـــــن صورة مستمرة للدولـــــة الفرثية السابقة كما لم يكـــــن

حدث قيامها سياسيا فحسب ، انما يتميز بظهور روح جديدة في ايران ابرزها يميزها تنظيمها

---

(٧) جيحون : نهر من اكبر انهار آسيا ينبع من جبال بامير ويسير نحو الغرب حتى يصب في بحيرة اورال . ويتردد اسمه مع نهر سيحون الذى يشبه جيحون في مسيرة ومنبعه ومصبه ، ويقع سيحون الى الغرب من جيحون ويعرف باليونانية باسم (**Oxus**) بينما اسم جيحون باليونانية **Jaxartes** ومن المدن المهمة الواقعة بين هذين النهرين سمرقند وبخارى وقد عرف العرب هذه المنطقة باسم بلاد ما وراء النهر ويقصدون بذلك البلدان ما وراء نهر سيحون (انظر خارطة الاماكن والمدن والاقسام الجغرافية على العهد الساساني في في نهاية الكتاب التالي :

R. Chirshman: IRAN (Thames and Hudson. USA 1962)

الاداري ووحدة الاقليم السياسية وثانيهما توحيد البلاد تحت لواء دين رسمي للدولة وقد انعكس اثر هذين العاملين بوضوح في الحياة العامة للمجتمع الايراني واستمر تأثيره ساريا حتى نهاية عهد الدولة الساسانية . وكانت لشخصية اردشير والظروف المواتية سببا في قوة هذه الدولة الفتية التي ارسيت لها قواعد من الادارة والنظام مكنتها من الشموخ لأكثر من اربعة قرون من الزمن .

فبعد ان فرغ من توطيد دعائم الدولة توجه الى تدبير شؤونها الداخلية متخذا الخطوات التي تكفل وحدتها وقدرتها على النمو والازدهار فأعاد السزرادشتية دينا رسميا ، وامر بجمع تعاليم زرادشت في مجلد واحد ، كما جمعت تفاسيره المعروفة باسم (الزند) وجعل له تفسيرا عرف باسم (بازند) ومنح رجال الدين صلاحيات واسعة معززا من دورهم ومكانتهم في الحياة الجديدة للدولة . حيث كان اردشير يعتقد ان الملك والدين اخوان توأمان لاقوام لاحدهما الابصاحبه ، لان الدين أس الملك وعماده ، ثم صار الملك بعد حارس الدين فلا بد للملك من أسه ولا بد للدين من حارسه ، لان ما لا حارس له ضائع وما لا اس له فمهدوم (١)

كذلك اولى اردشير العلوم والمعارف اهتمامه الزائد ، وامر بالحصول على نسخ الكتب الطبية والفلكية وانفق كثيرا لاجلها . كما اهتم بالجيش وتنظيمه وامر للجند بالارزاق والمراتب الشهرية . وتابع اردشير التنظيمات الادارية بشكل مباشر . وكانت له عيون على سائر موظفيه وقسم الناس الى اربع طبقات : ١ - الاساورة (رجال الحرب) ٢ - رجال الدين ٣ - الكتاب والاطباء ٤ - الزراع واصحاب المهن . ورسم حدودا صارمة لكل من هذه الطبقات ، وعبر عن مخاوفه من انتقال الناس من طبقة لأخرى ، لأنه رأى في ذلك فساد الملك .

وبسبب هذه التنظيمات الاجتماعية التي طبقها اردشير ، ورسم بموجبها حدود طبقات المجتمع واستخدم الحزم والشدة في تنفيذها ، ابتدع ايضا مراسم للحياة الملكية لا يحق لأي شخص بتقليدها ، فلا يلبس احد من الامراء تاجا مثل تاجه ولا يركب مثل مركبه . ومن الرجال البارزين على عهد اردشير تنسر (الموبذان موبذ) كبير رجال الدين الزرادشتي ، الذي آزر الملك وبث له الدعاية في ارجاء البلاد وكتب رسائل كثيرا ما يشر بافكار اردشير بثها له الدعاة بين الناس ويعد كتاب تنسر مصدرا رئيسيا لدراسة احوال الدولة والمجتمع الساساني (٢) وفي حدود عهد اردشير قامت امارة عربية جديدة في غرب الفرات حدود الكوفة هي الحيرة وكانت تابعة للنفوذ الساساني ، واعتمدها الساسانيون حصنا مكينا بوجه القبائل العربية من سكان البوادي وفي وقت مقارب ظهرت مملكة عربية في شمال البادية الشامية عرفت بدولة الغساسنة كانت موالية للرومان .

---

(١) د . احسان عباس : عهد اردشير دار صادر بيروت ١٩٦٧

(٢) كتاب كريستنسن ترجمة د . يحيى الخشاب القاهرة ١٩٥٦

من ابرز المعالم السياسية للوحدة القوية للدولة الساسانية ظهور لقب ملك الملوك (شاهنشاه)
ث كان امراء فارس الساسانيين يحملون لقب ملك ، لذلك اصبح حريا بملك ايران جميعها
يحمل لقب ملك الملوك ، بينما بقى لقب ملك يمنح لبعض الامراء الذين يحكمون
ف الدولة مثل ملوك الحيرة . فالملك فيهم و في ولدهم مع كثير من امتيازات الحكم المحلي
ي كان سائدا منذ ايام الاشغانيين (الفرثيين) ولكن الملوك المحليين على عهد الدولة الساسانية
نون ملزمين بوضع قواتهم العسكرية في خدمة الدولة المركزية ويدفعون ضريبة سنوية للخزينة
كزية .

حث الثالث : عهد شابور الاول :

ث شابور دولة مترامية الاطراف قوية البنيان قامت على انقاض دولة الفرثيين واماراتهم ويبدو
ظهور الدولة الساسانية ونجاحها السريع في تركيز قدرتها واتساعها لم يفسح المجال امام
دائها وبخاصة من امراء البيت الاشكاني بتجميع قواهم الاعلى عهد شابور ، لذلك فمثلما
ث شابور دولة كبيرة ورث ايضا جانبا من المشاكل التي ظهرت بقيامها .
ن وفاة اردشير سنة ٢٤١ م ، واحتفل بتتويج سابور في سنة ٢٤٢ م ، ويذكر ان اول خطبة
اني كانت يوم تتويج شابور الاول . حذا شابور حذو والده من حيث طموحه الذي لا حدود له
تأسيس امبراطورية تضاهي امبراطورية الاخمينين القديمة ، فأفاد من التنظيمات العسكرية
جديدة التي اقرها والده بحيث اصبح الجيش بموجبها اداة قوية بيد الحكام الساسانيين .
صرف اهتمامه باديء الامر لتقوية حدود مملكته فمن الناحية الجنوبية الشرقية تقوم مملكة
شان التي تحتل مركزا رئيسيا في تجارة ايران مع الشرق والهند . وفي الشمال تمثل أرمينية
حد الفاصل بين الامبراطورية الساسانية والرومانية . وفي الغرب تشكل الأمارات العربية
من اهمها الحضر خطرا محدقا بالحدود الغربية للدولة واذا كان الاصطدام بأرمينية او الحضر
ير فزع الرومان لأنهما على حدودهم ، وذلك امر لم يرغب شابور التروط فيه ، او على الاقل
اعتقد في ان تقوية حدوده الجنوبية والشرقية تسهل امامه مهمة التصدي للرومان في حالة
حركهم . لذلك كشفت لنا كتابة تذكارية على جدران معبد نار نقش رستم النجاح الاول في
حطط شابور العسكرية باجتياحه لمدينة يشاور العاصمة الشتوية للملوك الكوشانيين (١) وسيطرة

---

١) مملكة كوشان : مملكة هندية ظهرت في القرن الميلادي الاول ومركزها الاقسام الشمالية لشبه القارة الهندية في حدود حوض نهر السند ، وديانتها البوذية . وكانت لها صلات تجارية واسعة مع الصين والرومان . وكانت من اقوى المراكز على الحدود الجنوبية لدولة الساسانيين ووقفت مملكة كوشان بجانب الارمن ضد اردشير ، وكانت نهايتها على يد شابور .

على وادي الاندوس . بعدها واصل زحفه شمالا فعبر جبال هندكوش (الفاصل الجنوبي بين أيران وشبه القارة الهندية) وسيطر على اقليم بكتريا ثم عبر نهر سيحون (Oxus) وسيطر على مدينتي سمرقند وطاشقند .

كان احتلال شابور لدولة الكوشانيين سببا في انتقال الحكم من الاسرة الكوشانية القديمة الى اسرة جديدة اعترفت بسيادة الفرس واقتصر نفوذها على مساحات صغيرة من الارض بالقياس الى اراضي الدولة الكوشانية القديمة .

وبعد ان استتبت الاوضاع السياسية في الاقسام الشرقية لصالح الدولة الساسانية توجه سابوربعدها لتوطيد حكمه وحسم المشاكل الحدودية في ناحية الغرب فاجتاح سوريا حتى بلغ انطاكية ولكنه اضطر للتراجع امام الامبراطور الروماني فيليب العربي واضطر لقبول عقد اتفاقية سلم بين الطرفين كانت في شروطها لصالح الساسانيين ، حيث دفعت روما بموجبها جزية سنوية وتنازلت للساسانيين عن حقوقها في أرمينية وما بين النهرين (بلاد ما بين النهرين Mesopotamia تسمية شاعت في العصر الروماني لمساحات من الارض تقع بين الفرات ودجلة في اقسامهما الشمالية والى حدود جبال بلاد الاناضول وتسمى في المصادر العربية بارض الجزيرة ومن مدنها الحضر ونصيبين واورفة والصالحية وديار بكر وماردين والموصل وغيرها) . ومقابل هذه الانتصارات الباهرة التي احرزها شابور اتخذ لنفسه لقبا ملكيا جديدا في نقوشه"شاهنشاه ايران وانير ان"اي ملك ملوك ايران وغير ايران ويعكس هذا اللقب الغرور الملكي الذي تميز به شابور والذي ادى نه لتجاوز ما حققه والده من اعمال .

وبعد مرور خمسة عشرة سنة على اتفاقية السلم بين روما والساسانيين ، تجددت الحرب ثانية بينهما . فنجح سابور من اجتياح العديد من المدن السورية بما فيها انطاكية التي كانت من امهات المدن السورية على ذلك العهد وفي معركة طا لمنة بالقرب من أديسا(الرها) (اورفة الحالية) سقط فاليريان الامبراطور الروماني ومعه حوالي (٧٠ / ٠٠٠) من ضباطه وجنده اسرى بيد شابور . فاسكنهم مدينة جند يسابور وفرض عليهم بناء سد عظيم على نهر كارون ولا يزال قائما الى يومنا هذا ويعرف بسد الامبراطور وقد خلد شابور انتصاره هذا على فاليريان في نقش كبير هو نقش رستم الذى يعد من اروع المنحوتات التي بقيت من ايام الساسانيين ولم يقتصر نفع الاسرى من الرومان على بناء السد فحسب ، بل أفاد الفرس منهم كثيرا في الجوانب الفنية والمعمارية والعلمية ، فقد كان من بين الاسرى العديد من المعماريين والمهندسين والصناع والمهرة حيث استخدموا على نطاق واسع في انشاء الطرق والجسور التي انعكس اثرها في ثراء مقاطعة خوزستان ولا تزال بعض منشآتهم صالحة للعمل الى يومنا الحاضر .

المبحث الرابع : تدمر والحضر وعلاقتهما بالساسانيين

تدمر والساسانيون :-

كانت في الاطراف الشمالية لبادية الشام واحة كثيرة الماء والزرع تعرف باسم تدمر ، وتسميها المصادر اليونانية والرومانية باسم (Palmyra) يسكنها العرب الذين كانت لهم مساهماتهم الكبيرة في تجارة المرور (الترانزيت) البرية عبر الخطوط الصحراوية • فكان التدمريون وسطاء لتجارة الشرق في بلاد الشام وسواحل البحر المتوسط وكانتا آنذاك تحت النفوذ الروماني • لذلك كانت علاقة - التدمريون بالرومان طيبة ووثيقة ، لان الطرفين انتفع احدهما من الآخر • ولم يفكر الرومان باحتلالها لصعوبة مسالكها وتعذر تسيير طرق القوافل البرية دون اهلها وازدادت تدمر ثراء وعظمة وقوة بمرور الزمن •

حتى انها كانت تطمح لان تلعب دورا اكبر من واقعها كوسيط للتجارة ، كأن تصل سيطرتها مثلا الى مراكز الاسواق التجارية في بلاد الشام •

يقابل ذلك ، ان الساسانيين وهم سادة جدد للمنطقة لم يدركوا تفاصيل الحياة فيها ، وبخاصة شروط المنطقة الاقتصادية ، كما اضرت تحركاتهم العسكرية في اقسام ارض الجزيرة وسوريا ابلغ الضرر بالتجاوة والمصالح التدمرية •

وسنحت الفرصة امام التدمريين بعد غياب الحاكم الروماني عن سوريا بسبب سقوط فاليريان (٢٥٣ - ٢٦٠ م) اسيرا بيد الفرس ، وبعد ان خضعت معظم المدن السورية الرئيسية لحكم شابور •

كما ان شابور بعد ان غلب الروم واسر فاليريان ، لم يمهل نفسه و جنوده بل واصل السير لاستثمار اقصى مايمكنه من انتصارات ، فسار الى كبد وكبة وهي مناطق سهلية بين سلسلتي جبال طوروس والاناضول وفي طريق عودته الى المدائن ، تعرض هو وجيشه الى هجوم خاطف قام به التدمريون بقيادة اميرهم اذينة فاصابوا جانبا من الجيش واستولوا على بعض الثروات التي غنمها الفرس من حروبهم في سوريا وطاردوا الجيش الفارسي الى حدود نهر الفرات • ومن الامور التي تلفت الانتباه كان عدم اهتمام سابور لهذا الامر ، على الرغم من ان اذينة ازداد قناعة بقدرته العسكرية • فاغتنم الفرصة وواصل زحفه على دمشق وحمص وغيرها من المدن السورية ، وكان التدمريون في خطواتهم هذه ينالون رضا ودعم الرومان الذين منحوا اذينه لقب قيصر وهو لقب سياسي رفيع . لقد تطورت تدمر تطورا سريعا ، وبخاصة بعد مقتل اذينة وتولى زوجته الزباء

الحكم وصية على ابنها الصغير وهب اللات ، فبلغ نفوذ التدمريون الى مصر وضربت مسكوكات خاصة بهم ٠ ويبدو ان هذا التطور السياسي السريع للنفوذ التدمرى لم يرضى روما لانها قصدت عندما دعمت التدمريين ان يقفوا بوجه الفرس لا ان يتطاولوا على الممتلكات الرومانية كما حدث في مصر ٠ وكان للزباء دور بارز في مجمل احداث التاريخ السياسي للتدمريين في هذه الفترة ٠

وبعد ان استرجعت روما انفاسها اثر الضربة العنيفة التي وجهت اليها من قبل الساسانيين ، عملوا على وضع نهاية الزباء ومدينة تدمر ، ولكنهم خسروا بالقضاء على تدمر حليفا قويا ودولة حدودية مهمة كانت تقف بوجه اعدائهم الساسانيين (١) ٠

الحضر والساسانيون :

ومثلما كانت نهاية تدمر على ايدى الرومان ، شهدت امارة عربية اخرى نفس المصير على ايدى الفرس على عهد شابور الاول وهي امارة الحضر ٠

تقع الحضر في ارض الجزيرة بين دجلة والفرات الى الغرب من نهر دجلة مسافة ٧٠ كم على الاطراف الشمالية لوادى الثرثار وتبعد عن جنوب غرب مركز مدينة الموصل مسافة حوالي ١٢٠ كم ٠ وتشهد آثار الحضر التي بقيت صامدة بوجه الزمن بالمكانة العظيمة التي تبوئتها هذه المدينة في تاريخ الشرق القديم وبخاصة في جمال ابنيتها ومناعة اسوارها التي اصبحت مضرب الامثال لقوتها وارتفاعها واتقان بنائها وقد امتنعت الحضر امام الفاتحين الرومان ومنهم القائد سبتيموس سفيروس الذى حاصرها عام ١٩٨ م ولم يوفق حتى في احداث ثغرة في جسم اسوارها المنيعة ٠ واذا كان اصرار الروم على اسقاط الحضر غير شديد ، لأنها بحكم موقعها بعيدة نسبيا عن مراكز نفوذهم ، فان موقف الحضر تغير بظهور الاسرة الساسانية ، لأنها اصبحت بحكم موقعها ايضا منطقة رئيسية امام عبور الساسانيين الى أقليم الجزيرة ومراكز النفوذ الروماني ٠ لذلك بادراردشير لحربها وفشل فانبرى لها شابور الاول الذى حقق ايضا انتصارات كبيرة في منطقة الجزيرة ٠ ومراكز النفوذ الروماني في سورية ٠ فليس مقبولا من الناحية العسكرية ان تقوم دولة كالحضر مستقلة عن نفوذ الساسانيين خلف

(١) نحيل القاريء الى احدث دراسة عن تدمر واثرها الاقتصادي في منطقة الشرق الادنى للمرجع التالي عدنان البني نظرات حول الحياة في تدمر
مجلة الموسم الثقافي ١٩٦٧ - ١٩٧٠ وزارة الثقافة والاعلام ص ٢٧٧ - ٣٠٤

خطوط تحركاتهم العسكرية . فكان حصار شابور شديد ودام سنة كاملة اضطرت المدينة على اثره للاستلام فدخلها ضافرا ونقل ابنائها اسرى واستولى على ثرواتها . وتؤكد اعمال التنقيبات التي اجرتها مديرية الاثار (١٩٥١ الى الان) في مدينة الحضر ، انها تركت سالمة دون ان يصيبها تخريب او تشويه متعمد .

وتشير المصادر العربية الى هذه الحادثة مع ذكر اسماء امراء لم تكشف اعمال التنقيبات عن اى وجود لهم بين المخلفات الكتابية على آثار الحضر . كما تروى المصادر نفسها قصة اقرب ماتكون الى الاسطورة عن كيفية تمكن شابور من اسوار الحضر . ومفادها انه كان للضيزن آخر امراء الحضر ابنة جميلة تدعى النضيرة وقيل انها افتتنت بشابور فارسلت اليه تخبره باستعدادها لتسهيل عملية فتح المدينة امامه شريطة ان يتزوجها ، فقبل ويروى انها عينت اشارة على باب من ابواب الحضر ، وذهبت اليه ليلا واثقلت على حراسة بالسكر ، فنجح شابور اثر ذلك من اختراق المدينة . وتكمل المصادر العربية روايتها بان شابور وفي بوعده وتزوج بالنضيرة . وكانا في طريق عودتهما وكان الوقت ليلا عندما شعر شابور انها غير نائمة فسألها عن السبب فقالت ان شيئا في فراشي يعكر على صفو نومي فبحث عنه فاذا به ورقة آس فاستغرب الملك لذلك كثيرا وتصور الحياة الرغيدة التي وفرها لها ابوها ، فامر بحصانين جموحين فشدت اليهما من جانبيها ، فأمر فركل الحصانان فشطرت الى شطرين . وربما قصد الرواة العرب بروايتهم هذه تأكيد بسالة وقوة اهل الحضر ومدينتهم بحيث كانت الخيانة فقط السبيل الوحيد لدك حصون هذه المدينة .

اما الضيزن الذى ذكر انه امير الحضر ، والذى لم تكشف اعمال التنقيبات في الحضر عن اى اثر له ، فالمعتقد انه زعيم التنوخيين ، وكان قد هرب من وجه شابور أثناء محاربته العرب ولجأ الى الحضر ، وكان ذلك قبيل هجوم الملك الفارسي على الحضر وعليه فمن المرجح ان شارك الضيزن ملك الحضر في الدفاع عن المدينة ، فاختلط الامر على المؤرخين العرب حيث ذكروا الضيزن واعطوه اسما آخر وهو الساطرون الذي يرجح ان يكورن تحريفا لأسم سنطرق ملك الحضر ، وعند ذلك تستقيم الرواية العربية (١) ومثلما أصابت الدولة الساسانية على عهد شابور نجاحا كبيرا في الجوانب العسكرية والسياسية شهدت ايضا اهتماماً واسعا بالثقافات والعلوم الاجنبية . ونالت حركة الترجمة عن المصادر الاغريقية

---

(١) للوقوف على تفصيلات تاريخ هذه المدينة العربية نحيل القاريء الى المرجع التالي :-
فؤاد سفر ومحمد علي مصطفى : الحضر مدينة الشمس . وزارة الاعلام بغداد ١٩٧٤

واللاتينية والهندية حظوة وتشجيعا من لدن الملك نفسه وربما يفسر ذلك انفتاح ذهنية هذا الملك الذى سنجده مؤازرا لماني ومشجعا لنشر تعاليمه . وقد تحولت مدينة جند يسابور تدريجيا الى مركز علمي مرموق واصبحت لمدرستها في الطب فيما بعد شهرة واسعة . وقد كان للاسرى الروم الذين جمعهم شابور في هذه المدينة اثر كبيرا على مستقبلها العلمي ..

اشرنا قبل قليل الى احتضان شابور لماني ودعوته الدينية الجديدة ونظرا لأهمية هذه الدعوة في مجريات الاحداث للدولة الساسانية ، وعلاقتها بشابور ، نفضل ان نفرد لها جانبا من الحديث .

الفصل الثاني

ظهور المانوبــة وأثرها في المجتمع الايراني

المبحث الاول : ماني والمانوية

يقتضينا الحديث عن الديانة المانوية ان نذكر شيئا موجزا عن الديانة الايرانيـــــــــــة القديمة – الزراديشتية – التي شاعت في بلاد ايران منذ عصر الدولة الاخمينية منذ القـــــرن السادس قبل الميلاد وتعتبر الزرادشتية تطورا للمعتقدات الدينية الآرية القديمة المعروفة باسم المزدية كانت الديانة الرسمية للدولة الساسانية هي الزرادشتية (نسبة الى مؤسسها زرادشت) التي اصبحت دينا رسميا للدولة الاخمينية القديمة منذ عهد دارا الاول وتستند هذه الديانة في فلسفتها علـــى مبدأ الصراع بين فكرتين يمثلها الهين هما اهورمزدا ، اله النور والخير والافعال الحسنـــة واهريمن اله الظلمة والشر والاعمال السيئة ، وترى الزرادشتية ان هذين الالهين او المبدأين أزليين لا يمكن لارداتهما التغيير • والكتاب المقدس للديانـة الزرادشتية هو الآفستا • الذي وضعت له شروح في كتاب يسمى بالزندا فستا او الزند . لذلك عمل الزرادشتيون علـــى جعل النيران في معابدهم دائمة الاشتغال لتأكيد وجود اله الخير دائما وعلو كلمتـــه وكـما اشرنا فيما سبق • فان الساسانيين اعتبروا انفسهم الورثاء الشرعيين لدوله الاخمينين ، وسار كثيرا من ملوكهم يقتفي اثار الملوك الاخمينين • فلذلك تبنت الدولة الساسانية الذين الزراديشتي واعتمدته دينا رسميا للدولـة الساسانية منذ اول ايامها كما علينا ان لا ننسى في هذا الخصوص ان جد الاسرة الساسانية وهو ساسان كان الكاهن الاعلى لمعبد النـار الخاص بالالهة اناهيتا في مدينة اصطخر ، وهذا يحدد بالضرورة اقتران الدين بالملـــــك ، وقد بذل ارشير جهودا كبيرة ، كما اسلفنا في تثبيت دعائم الدولة وأركان الدين . وامر بجمـع نصوص الآفستا في كتاب موحد الحقه بشروح تفصيلية عرفت باسم بازنــــــــد ولكون الزرادشتية دين الدولة الرسمي ، فقد سايرت تعاليمها رغبات الطبقة الحاكمـــة على حساب الغالبية العظمى من ابناء الشعب • افلم يقل اردشيربان الدين والملك توامان • ولكن اذا كانت الزردشتية فكرا مسايرا لروح العصر الاخميني في القرنين الخامس والرابع ق • م بسبب ملازمتها للتقاليد القديمة وروحية المحافظة الشديدة التي عرفت بها تعاليمها وافكارها ، يبدو انها تعارضت وتطلعات الناس في ايران على العهـــــد الساسانــــــي . ولم تستطع التوفيق بين شعوب الامبراطورية الساسانية التي ضمت بين صفوفها امما وشعوبا مختلفة ، لها افكارها الدينية وتقاليدها الخاصة المتطورة بفعل تاريخها الحضارى الطويـل •

كما ان انتشار الافكار المسيحية السريع في اجزاء من العالم القديم شرق البحر المتوسط .
زعزع الى حد كبير من مكانة الفكر الزرداشتي بين شعوب الامبراطورية الساسانية بما فيهم الايرانيون .
ولما كان الدين والملك توامين كما يروى على لسان اردشير فكان لزاما على شابور الاول ان يسعى
لبث مبادى وافكار يمكنها توحيد صفوف الامم والشعوب التابعة لامبراطوريته وتستطيع مسايرة
روح العصر الجديد ، الذي اصبح فيه احتكاك الشعوب بعضها ببعض كبيرا ، ونشط انتقال
الافكار من مكان لأخر بفضل لمرحلة التجارة العالمية الواسعة وأثر الفتوحات العسكرية وهجرات
الافكار من مكان لاخر بفضل حركة التجارة العالمية الواسعة وأثر الفتوحات العسكرية وهجرات
الشعوب والقبائل . حيث اخذت آثاره تنعكس واضحة على حياة الشرق القديم مع مطلع
القرن الثالث الميلادى .

واعتقد شابور انه اصاب الهدف بتبنية لماني وديانته الجديدة . ولد ماني في اسرة ايرانية
عريقة وربما تنتسب الى العائلة المالكة الاشكانية (الفرثية) . وتختلف المصادر العربية الاسلامية
في اسم والده فهو (ماني بن حماد الزنديق) عند اليعقوبي والمرجح انه (ماني بن فاتك الحكيم)
كما اورده الشهوستاني في كتابه الملل والنحل ومثلما تختلف المصادر حول نسبه تختلف ايضا
في موطن ولادته ، ولكن الارجح انه ولد في بابل وترعرع في قرية من قرى ميسان ونشأ على
على مذهب المغتسلة (١) وعكف على دراسة اديان وفلسفات زمانه وتعلم امورا كثيرة من
ديانة الشعوب وافكارها بسبب تجواله في الهند واواسط آسيا والصين . لذلك جاءت تعاليمه
خليطا يتبين منها الافادة من الديانات الكثيرة القديمة .
وبخاصة البوذية والمسيحية والغنوصية (١)
ويؤكد ذلك الشهرستاني بقوله ان ديانة ماني هي بين المجوسية والنصرانية ..

زعم ماني انه نبي زمانه وانه جاء ليبشر بدينه للناس كافة ، فالمانوية اذا ديانة عالمية
حيث نتوضح من ذلك الاثر المسيحي فيها ، كما تتبينه من قولها بالتثليث على غرار ثلاثي
الدين المسيحي (الاب والام والابن) .

ان اول خطبة لماني بشر فيها بدينه الجديد كانت في حفل تتويج شابور وذلك في عام

---

(١) وهي تسمية عرف بها الصابئة المندائيون في جنوب العرق

(١) المغنوصية : هي مجموعة افكار دينية شرقية امتزجت بالفلسفة الاغريقية ومن عقائدها المبدأ الثنوي الذي ترك اثره في الافكار المانوية . والغنوص تعنى المعرفة العليا ذات الاسرار (لمعرفة اوسع بالافكار الغنوصية من حيث جذورها راجع : كريستنسن ايران ص ٢٦ - ٢٩) .

ومن مذاهب الغنوصية مذهبا ابن ديصان ومرقيون ومن مراكزها اقليم بابل وجنوب العراق . والعلاقة التي تذكر بين ماني والغنوصية او مع مذهبي ابن ديصان ومرقيون مرجعها هو انهم جميعا عملوا للخروج بافكار مزيجة تجمع بين المسيحية دون اهمال اثر الفلسفة الاغريقية . ويبدو ان ماني وحده نجح عمليا في ذلك

٢٤٢ م ، حيث وجد شابور في دعوة ماني افكارا مناسبة لدين رسمي يمكن قبوله ونشره بين شعوب أمبراطوريته ، لأنه يثل خلاصة أفكار معظم الديانات القديمة بما فيها الزرادشتية ، ولكونــــه دينا مـــن أركانه الرئيسية دعوته للعالم أجمـــع

لم تعتمد المانوية في نشر مبادئها اسلوب الكفاح الجماهيرى ، بل تذرعت بالوسائل السلمية الاقناعية ، حيث رأى ماني ان الدعاء الى الحق وترك الكذب والقتل والسرقة والزنا والبخل والسحر وعبادة الاوثان هي الطريق الى الخلاص ، كذلك اعتمدت في عرض افكارها اسلوبا واضحا بعيدا عن الاسرار والتعقيد الذي أتصفت به طقوس الزرادشتية .

تطورت العلاقة الحسنة بين ماني وشابور الى حد ان ماني اهدى احد كتبه للملك وجعل عنوانه (شابور غان) . ووجد ماني واصحابه جميع التسهيلات وحرية الحركة والتبشير بالدين الجديد في ارجاء الامبراطورية .

ولكن بسبب الموقف الفكري العام للمانوية التي تميل الى جانب الفقراء والطبقات المسحوقة ، وبسبب موقف الدين المانوي من الديانات الاخرى ، حيث اعتبرها لاغية بظهور المانوية ، واكثر من ذلك فقد عد ماني جميع الانبياء الذين سبقوه شياطين مرقه لم ينفذوا ما عليهم من واجبات بكاملها . لهذه الاسباب مجتمعة ، بدأ التضييق على ماني واتباعه ومن ثم سجن وصلب وعلقت جثته على باب مدينة جند يسابور ، وكان ذلك على عهد هرمز او بهرام الاول .

لم يكن اثر ماني محصورا في التبشير بدين جديد لم يكتب له النجاح ، بل تـرك اثرا واضحا في افكار المجتمع الايراني ، جعلته يتقبل الافكار الجديدة التي بشرت بها المزدكية في تأريخ لاحق من عصر الدولة الساسانية كذلك لماني اثار جليلة في مجالات اخرى ابرزها مؤلفاته الكثيرة في الفكر والفلسفة وهي التي عبر من خلالها عن دينهوفلسفته ورد على فكر الديانات الاخرى .

وكان ماني كاتبا ماهرا وخطاطا يرقي المستوى الفني في جمال خطه ، ورساما مبدعا ، كما انه ادخل اصلاحا على الكتابة الفهلوية باستعماله الابجدية الارامية في تدوين اللغة الايرانية .

وبعد مقتل ماني ترأس المانويين احد تلامذته واقام في بابل وانتشرت المانوية بصورة سرية في بعض اقسام العراق واقاليم الامبراطورية الرومانية ، وبقيت الافكار – المانوية معروفة فى اقسام من شرق وشمال ايران الى حدود القرن الثامن الميلادي لكنها اخذت بعد ذلك تذوب تدريجيا في الدين البوذي او المسيحي اللذين – يقربانها في بعض الاوجه الفكرية .

كتب ماني ستة كتب وارسل منشورات كثيرة الى اصحابه واتباعه ويمكننا التعرف على اسمـاء عدد من هذه الكتب والمنشورات ضمن لائحة رسائل ماني واصحابه الست والسبعين المذكورة في كتاب الفهرست لأبن النديم . وقد كتب ماني خمسة من كتبه الستة بلغته اي اللغة المحلية التي يجب ان تكون الارامية الشرقية وقد سميت لغة هذه الكتب في المصادر العربية وغيرها

بالسريانية . وقد نسيت اللغة السريانية تدريجيا وتركت مع مرور الزمن ، وتبدلت لغة كتابتهم من السريانية الى اللغة الفهلويه (قسم منها الى اللغة البارسية (الفارسية) ، وقد ترجمت فيما بعد الى السغدية ومنها ايضا الى التركية .

ولدينا بعض المعلومات عما جاء في هذا الكتب . ففي كتاب سفر الاسفار مثلا عرض فيما يظهر لمعتقدات ابن ديصان كما ان اغلب موضوعات كتاب شابورغان ، المدون باللغة البارسية اى لغة اقليم فارس جنوب غربي ايران عن المعاد . وعموما فان عقائد ماني تقوم على اساس الفلسفة اليونانية الحديثة والغنوصية وامتزاجها بالاديان السماوية وبخاصة المسيحية ، وكانت الناحية الاخلاقية والحث على التقوى والاداب لها تأكيد كبير في هذه العقائد . (١)

المبحث الثاني : فترة الضعف الاولى

توفي شابور عام ٢٧٢ م ، بعد حكم طويل مليئ بالاحداث الجسيمة ، حتى ان شهرته وكثرة اوجه نشاطه غطت على احداث حكم ولديه وريثي العريش بعده هرمز الاول - (٢٧٢ - ٢٧٣) وبهرام الاول (٢٧٣ - ٢٧٦)

وابرز عمل ينسب الى هرمز يتمثل في قتله لماني وصلبه على باب مدينة جند يسابور ، وينفرد اليعقوبي في نسبة ما تعرض اليه ماني واتباعه الى الملك بهرام الاول . واعقبهما في حكم ايران بهرام الثاني (٢٧٦ - ٢٩٣) ابن بهرام الاول ، وكان حاكما على ولاية خراسان في عهد ابيه . فشهد عهده تجدد الحرب مع روما ، وبلغت الجيوش الرومانية ابواب المدائن لولا وفاة قائدها فجاءة مما تسبب في توقف الحرب .وكان بهرام في موقف حرج وهو يواجه الجيوش الرومانية بسبب ثورة نفذها احد اخوته وكان حاكما للاقاليم الشرقية من ايران ومركزه اقليم خراسان ، فاضطر بهرام الثاني على عقد الصلح مع الرومان متنازلا لهم عن أرمينية والجزيرة . كان الاقليم الشرقي للملكة الساسانية اقليما ستراتيجيا هاما بسبب قربه من مملكة الكوشانيين اولا ولكونه ثانيا يمثل حصن ايران الشرقي بوجه القبائل البربرية فيما وراء النهر . لذلك جرت العادة ان يتولى امر هذا الاقليم الهام احد ابناء الملك او اخوته فقد كان بهرام الثاني نفسه اميرا على خراسان على عهد والده بهرام الاول . واوكل ولاية خراسان على عهده الى اخيه هرمز . ولما ادرك هرمز صعوبة الظرف الذي يحيط بأخيه ، وبسبب التشجيع الذي ناله من امراء كوشان ،

---

(١) نظرا لاهمية المانوية كفكر وفلسفة واثرها الكبير في حياة المجتمع الايراني نحيل القارىء الى المراجع التالية بغية الاستزادة في المعلومات .

١ . الفهرست لابن النديم : مكتبة خياط بيروت ص ٣٢٧ - ٣٣٨

٢ . حسن تقي زادة : ماني ودينه ، ، مجلة الدراسات الادبية السنة الرابعة العدد ٢ - ٤ السنة ١٩٦٢ - ١٩٦٣ ص ١٩٥-٢٨٤

الاعداء القدامى للساسانيين اعلن الثورة على بهرام الثاني محاولا الانفصال في دولة شرقية مستقلة عن حكم الدولة الساسانية . فكان هذا الحدث الخطير سببا مباشرا لينهي بهرام الثاني حربه مع الرومان مقابل التنازلات التي اشرنا اليها ، ليرمى كامل قواه العسكرية بوجه ثورةالاقليم الشرقي . فنجح في اخماد الثورة واحكم سيطرته على الاقليم ، كما فرض سيطرته على مدن اواسط وادي السند لدعمها ثورة اخيه في خراسان .

ترك لنا بهرام الثاني نقوشاهامة افادت في دراسة الفن الايراني ، وبعض هذه النقوش تصور انتصاره على ثورة الاقليم الشرقي .

وبعد حكم قصير دام حوالي شهور ، نجح نرسي بن شابور الاول من ازالة ابن اخيه بهرام الثالث الذي اعقب والده في حكم ايران لذلك نلحظ المصادر العربية تتعدى حكم بهرام الثالث وتضع نرسي وريثا مباشرا لأخيه بهرام الثاني وقد خلد نرسي انتصاره وارتقاءه العرش في نقش كبير عند بيكولي وكان ذلك سنة ٢٩٣ م (١) اعتقد نرسي ان الاوضاع العامة في

انحاء دولته مناسبة لشن هجوم على الرومان لاسترجاع ما اضطر بهرام الثاني التنازل عنه ، ولكن نتيجة الحرب كانت وبالا عليه ، فخسر المعركة واسرت زوجته وافراد بيته مما اظطره لعقد صلح مع روما اقر بموجبه اطلاق يد الرومان في أرمينية وجورجيا فأدى ذلك الى خلق وضع قلق امام الاسرة الحاكمة ، كان من نتيجته تشجيع النبلاء وعظماء المملكة للتلاعب بمقدراتها .

كذلك ابدت ايران ضعفا في موقفها من مملكة الكوشيين وحاولت كسب ودهم عن طريق تزوج هرمز الثاني نرسي وخليفته على عرش ايران من احدى اميرات البلاط الكوشاني .

اخذت السلطة المركزية المتمثلة بالملك تتلمس طريق الضعف المتزايد مما اطلق ايدي النبلاء والعظماء بالتدخل في شؤون خطيرة بلغت حد تدخلهم في تعيين الحاكم الجديد . وقد ظهر ذلك واضحا عندما عزلوا احد ابناء هرمز الذي سبق وان نصبوه على العرش ، كما سلوا عيني احد اخوته (وكانت هذه الطريقة او اي عمل آخر يقصد من ورائه تشويه معالم جسم الشخص تمنعه من اعتلاء عرش ايران لان من شروط الحاكم الساساني ان يكون جسمه خاليا من العاهات) واخيرا نصب عظماء المملكة شابور الثاني ابن هرمز ملكا على ايران وكان لا يزال طفلا صغيرا .

---

١ - نصب بيكولي : نصب تذكارى على السفح الغربي لجبال قره داغ عند الفتحة المعروفة باسم دربند بيكولي يبعد حوالي ٨ كم عن الضفة اليمنى من ديالى ويدعوه الاكراد حاليا باسم بت خانة ، اي بيت الاصنام وهو عبارة عن برج مربع لم يبقى منه سوى اقسامة السفلية وعلى اوجهه صورة الملك نوسي . وعليه كتابة بالخط الآرامي وباللهجتين الفهلوية الاشكانية والساسانية ، ويمثل موقع النصب بالقرب من ممر جبلي هام في سلسلة جبال قره داغ تعبر زاكروس صوب بلاد وادي الرافدين من ايران

الفصل الثالث

عهد الازدهار الاول

المبحث الاول : عهد شابور الثاني

حكم شابور الثاني ٧٢ سنة (او ٧٠) وكانت امه وصية عليه في صغره يساعدها في ادارة دفة البلاد بعض عظماء المملكة ، ويبدو ان ذلك كان مقصد العظماء في تعيين شابور الثاني ، حتى يكونوا الحكام الفعليين للامبراطورية الساسانية .تعد فترة حكم شابور الثاني من العهود المجيدة في تاريخ الساسانيين ليس بسبب طول مدتها وانما بسبب احداثها المؤثرة .

تروي المصادر العربية الاسلامية بعض الروايات التي تؤكد ذكاء شابور الخارق وروحه الوثابة للاصلاح حتى انه اظهر ميلا لاصلاح اوضاع المملكة منذ صغره . فيروي انه استيقظ فجر يوم من الايام من نومه في قصره بالمدائن على ضجيج الناس لازدحامهم على جسر دجلة مقبلين ومدبرين فسأل عن السبب ، فاخبر أنها بسبب ضيق الجسر وازدحام الناس في عبوره ، فأمر بان يعقد لهم جسر آخر احدهما للذهاب وآخر للاياب . فتباشر القوم بما ظهر من فطنته مع طفولته .

كانت سنوات الحكام الضعاف الذين سبقوا شابور الثاني في حكم ايران ، يضاف اليها فترة وصية امه عليه وهو صغير السن ، ظرفا مناسبا لطمع القوى المحيطة بايران ، والتي كانت تتربص الفرص المواتية . ومما زاد من حراجة موقف شابور في مطلع عهده ، ، تفاقم اخطار النبلاء الذين عظم سلطانهم ونفوذهم اثناء فترة - الوصاية . لذلك طمع في ملك الساسانيين العرب والروم والترك وكان العرب اخطرهم باديء الامر وذلك لقربهم الشديد مَن حدود المملكة ، ولمبادرتهم بالهجوم على قرى وضواحي اقليم فارس .

وعلى الرغم من تولى شابور زمام الامر وهو حدث صغير السن ، حتى يقال انه كان ابن خمس عشرة سنة عندما تولى الامور بنفسه ، لكنه اظهر همة عالية في تثبيت - دعائم السلطة المركزية بان عمد اولا الى الحد من نفوذ حكام الاقاليم والنبلاء خشية تناميه والعودة بالنظام السياسي في ايران الى الاسلوب اللامركزي الذي عرفته البلاد على عهد الفرثيين .

افتتح شابور حروبه بحملة ضد عرب البحرين وكاظمه والخط الذين هاجموا نواحي فارس ولم يكتفي بابعادهم عن حدود الاقليم بل واصل زحفه الى الخط والبحرين واليمامة فارضا سلطانه عليهم ، وهجر منهم اعدادا كبيرة اسكنهم في جهات بعيدة من انحاء مملكته . ولقب هذا الملك بذي الاكتاف لكثرة قتاله العرب وانه كان يعمد الى خلع اكتاف من بقى حيا منهم .

المبحث الثاني الحروب بين الفرس والروم

عاشت الامبراطورية الرومانية احداثا جسمية مع مطلع القرن الرابع الميلادي ، كان من ابرزها تنصر قسطنطين وانقسام الامبراطورية الرومانية الى قسمين ، وظهور سمات دولة رومية شرقية دينها النصرانية وعاصمتها القسطنطينية (اسطنبول الحالية) تعرف باسم الدولة البيزنطية . فبرزت بين الدولتين فارس وبيزنطة بالاضافة الى مشاكل الحدود ومطامع الفريقين للاتساع على حساب الطرف الاخر مشكلة جديدة تمثلت في المسيحين من رعايا الدولة الساسانية ومما زاد في التهاب هذه المشكلة ان أرمينية الدولة الحدودية بين فارس وبيزنطة ، تنصرت مع بدايات ظهور الدولة البيزنطينية واصبحت حليفة للنصارى الروم مما اثار حفيظه الفرس وتجددت بسببها المعارك الدامية بين الفرس والبيزنطينين .

تذرع شابور بحجة استرجاع بعض الاقاليم التي خسرها الفرس او تنازلوا عنها سابقا للروم ، فهاجم أرمينية وتمكن منها دون مقاومة كبيرة تذكر ، ويبدو ان من الاسباب الوجيهة لنجاح حملة شابور على أرمينية ، هو ميل الاستقراطية الأرمنية الى جانبه في الحرب وذلك لخوفها من الافكار الجديدة التي يشربها الدين المسيحي . ولكن الروم صمدوا بوجه زحف الفرس من خلال قلاعهم الحصينة في الجزيرة وبخاصة نصيبين ، واخذت نتائج المعارك تتحول لصالح الـــروم وبخاصة معركة سنجار ، حتى بات النصر وشيكا ، لولا عظم القوة العسكرية التي حركها شابور لهذه الحرب مما اظطر الروم على طلب المفاوضات .

وكان متمكنا للفرس ان يستثمروا النصر ويواصلوا زحفهم في بلاد الروم ، لولا اخبار غزو الاقاليم الشرقية للملكة من قبل قبائل بربرية آسيوية واستقلال سجستان عن الحكم الساساني ، فوجد شابور في العرض الذي تقدم به الروم لعقد مفاوضات صلح بين الطرفين ، فرصة ذهبية تتيح له لانصراف بكامل قواه صوب الجبهة الشرقية والذي يطالع نص الرسالتين اللتين تبادلهمـــا شابور مع ملك الروم بخصوص مفاوضات الصلح والشروط المهينة التي طلبها الجانب الفارسي ورفضها الروم ، يتأكد بان الفرس لم يكونوا - مخلصين في ايقاف الحرب . وانما ارادوا امهال انفسهم الفرصة الكافية لتطمين اوضاعهم الداخلية قبل العودة ثانية الى قتال الـروم (١) .

وهذا ما حدث بالفعل ، فلم تصل مفاوضات الصلح الى نتيجة فاستغلها الفرس ذريعة لبدء الهجوم على قلعة آمد (ديار بكر الحالية) واستولوا عليها ومالت أرمينية المسيحية . وكذلك العرب الى جانب الروم فقـــد

---

١) كريستنسن : ايران في عهد الساسانيين . ترجمة يحيى الخشاب القاهرة ١٩٥٧ حيث يصادف القارئ نص الرسالتين المشار اليهما اعلاه ص ٢٢٦ - ٢٢٧

وجد العرب في هذه الحرب الفرصة المواتية للاخذ بثأرهم من شابور الثاني وجنده لذلك

نجح الروم من تسجيل انتصارات كبيرة شارفوا على اثرها المدائن العاصمة مما اضطر شابور

للاستنجاد بكافة اقاليمه فتجمع عنده جيش ايراني كبير نجح من خلاله ان يدافع عن العاصمة .

ومما تسبب في رجحان كفة الفرس مقتل الامبراطور البيزنطي جوليان سنة ٣٦٣ م في المعارك

الدائرة بين الطرفين ، فرفع من معنويات الفرس فاضطر الامبراطور الجديد جوفيان لطلب الصلح

مع فارس ، فجائت بنود الاتفاقية لصالح الفرس وقضت بتنازل الرومان عن مقاطعات واسعة

منها نصيبين وسنجار واجزاء من أرمينية واقليم ايبريا (جورجيا) لصالح الفرس . كما قتل خلال

هذه الحرب امير أرمينية بعد اسره .

ولكن اوضاع أرمينية لم تستقر ، واستمرت بتشجيع من بيزنطة تثير قلق الدولة الساسانية ،

مما اضطر الفرس لاحتلالها كاملة واخضاعها مباشرة الى السلطة المركزية الايرانية وذلك

بتعيين مرزبان فارسي عليها .

صادفت الحرب بين فارس وبيزنطة حياة مؤرخ روماني معروف شارك في الحرب وشاهد

مواقعها المريرة . فدون لنا احداثها تفصيلا ، فافادتنا معلوماته في معرفة تفاصيل المعارك وهولها

ومواقعها المريرة ، كذلك نتعرف من كتاباته عن اساليب الجيشين في القتال وعدتهم العسكرية .

لذلك تعد كتابات (أمين مارسلن) عن الحرب الرومية الفارسية من اوسع المصادر عن الشؤون

العسكرية الايرانية عامة وعن بعض مزايا الملك شابور الثاني خاصة .

لقد تحول مشكلة مسيحيي ايران بمرور

الزمن الى مشكلة سياسية كبيرة بين فارس وبيزنطة واخذ الاضطهاد

يتفاقم ضدهم ابتداء من عهد شابور الثاني وحتى اواخر عهد الدولة الساسانية ، وكانت سبب

ذلك كما اشرنا فيما قبل عند حديثنا عن أرمينية ، هو تنصر الدولة الرومية الشرقية (البيزنطينية)

فلم يستطع اكثر الملوك الايرانيين اعتد الا اخذ مسألة مواطنيهم من المسيحيين دون اكتراث .

وكغيره من ملوك الساسانيين ، شيد شابور عددا من المدن تخليدا لذكراه بنيت احداها على

انقاض مدينة السوس القديمة .

ان عهد شابور الثاني لم يكن مشرقا كما تعكسه انتصاراته العسكرية لان قوة الجيش وقدرته

العسكرية العالية التي وضحت من كثرة الحروب التي خاضها مظفرا ، كلفت الدولة كثيرا ،

ولعل من اوضح المظاهر التي نجمت عن سياسة هذا الملك العسكرية واغراقه في الحروب ،

تتمثل في ضعف السلطة المركزية ، يقابلها قوة النبلاء وحكام الولايات الذين قويت مراكزهم

المحلية اثر انصراف الملك عن شؤون الادارة والامور الداخلية . كما تحملت الخزينة بحجم

يزيد عن طاقتها من اعباء نفقات الحروب الباهظة وقد انعكس اثر ذلك واضحا على عهد خلفاء شابور .

لذلك كانت عهود اردشير الثاني (٣٧٩ – ٨٣) اخي شابور الثاني وكذلك عهد ابنه شابور الثالث (٣٨٣ – ٨٨) وبهرام الرابع (٣٨٨ – ٩٩) عهودا قصيرة لم تكن لها تأثيرات بارزة في تأريخ ايران . بل على العكس من ذلك ، شهدت عهودهم تنامي قوة ومكانة عظماء المملكة الذين بلغ من امر قوتهم وسطوتهم انهم خلعوا اردشير الثاني وقتلوا شابور الثالث وبهرام الرابع . انعكس هذا الواقع المتردي لاوضاع السلطة المكزية في ايران على واقع علاقاتها بمنافستها وعدوتها اللدودة الدولة البيزنطية . ويبدو ان ايران اضطرت للتنازل عن اقسام من أرمينية للروم ، وهكذا تقاسمت الدولتان الكبيرتان أرمينية مع حكم كل منهما للجزء الذي من نصيبه حكما مباشرا .

تمدنا بعض المصادر القليلة بالمعلومات التي تؤكد ميل رجال الدين الى جانب الامراء والنبلاء في صراعهم مع الملك . وقد خسر الملوك الساسانيون نتيجة هذا الصراع حقهم في تثبيت ورثاء العرش من بعدهم ، بينما آل هذا الامر الخطير الى النبلاء ورجال الدين ، فاصبح تلاعبهم بمقدرات الدولة بقتل هذا الملك او عزل الاخر وتبديله كلما اظهر احد الملوك ميلا للانتقاص من مكانتهم .

تستند نظرية الحكم عند الايرانيين الى الدين الزرادشتي الذي يستمد جذور افكاره من القرون الخمسة او الستة قبل الميلاد . وكان الدين الزرادشتي دينا محافظا يتحرك في حدود بلاد ايران ولم تكن في افكاره اشارة الى كونه دينا لبني البشر لذلك وقف الزرادشتيون ضد الافكار والديانات التي انتشرت في ايران ، فكان موقفهم المتشدد من اليهودية والمانوية والنصرانية . ولكون موقف الزرادشتية يمثل موقف الطبقة الحاكمة والمنتفعة في ايران لذلك كان ينظر الى بقية الديانات من زاوية مصالح هذه الطبقة فكان موقف الزرادشتي يتميز بازدراء هذه الافكار في حالة ضعفها او عدم تأثيرها في حياة المجتمع ، ولكن عندما تتحول بعض هذه الافكار كسلاح بيد طبقات الشعب الفقيرة ، مما يهدد مصالح الارستقراطية الايرانية ، او يشم منها رائحة التواطؤ مع الاجنبي ، كما كان حال المسيحيين في ايران ، عندها تعلن الحرب الشعواء ضد هذه الافكار ومنتسبيها ، ومثل ذلك حدث للمانوية ، عندما اصبحت سيفا بيد الطبقات المسحوقة مسلطة على رقاب الارستقراطية مع المسيحية عندما تنصر الروم البيزنطيين وصار مسيحيوا ايران بمثابة الرتل الخامس للدولة البيزنطية المسيحية ، فتوالت عمليات اضطهادهم وقتلهم بتحريض ودفع كبيرين من لدن رجال الدين الزرادشتي .

شهدت ايران تحولا واضحا في سياستها اتجاه المسيحيين على عهد يزدجرد الاول (٣٩٩ - ٤٢١ م) الذي اراد تخفيف حدة الصراع والانشقاق الداخلي ، فحاول اعتماد سياسة المساواة بين معتنقي الديانتين المسيحية والزرادشتية فسمح للمسيحيين بحرية العمل والتبشير واقامة شعائرهم الدينية واعادة بناء كنائسهم المخربة ، واطلق سراح من سجن منهم بسبب عقيدته الدينية وعقد مسيحيوا ايران على عهده مجمعا دينيا لتوحيد كنيستهم والعمل بموجب المذهب المعمول به في الكنيسة البيزنطية ، ويبدوان يزدجرد قصد من وراء هذه الخطوات تقريب وجهات النظر بين الدولتين البيزنطية والفارسية .

وعلى الرغم من حيرة المؤرخ امام هذا التحول في سلوك ملك ساساني زرادشتي الذي بلغ من امر عطفه ورعايته للمسيحيين أن لقبته المصادر المسيحية بالملك النصراني بينما نال بسبب موقفه ذلك غضب وحقد الزرادشتيين حيث انعكس ذلك واضحا في كتابات المؤرخين الساسانيين والمؤرخين المسلمين الذين نقلوا عن المصادر الساسانية حيث وصف بالاثيم والمخادع ، ولكن يبدو ان يزدجرد كان يقصد من وراء ذلك تلطيف الاجواء مع البيزنطيين ليتفرغ لشؤون الدولة الداخلية التي افسدها الامراء ومعهم رجال الدين الزرادشتيين ، فكان انعطافه للمسيحيين مقصودا لخلق قاعدة مؤيدة يستند اليها في حربه ضد العظماء ورجال الدين الزرادشتيين لأجل تقليص دائرة نفوذهم على الدولة والملك .

ولكن المسيحيين اساؤوا استخدام الحرية التي منحهم اياها يزدجرد ، ولم يدركوا النوايا الخفية لسلوك يزدجرد ، فارتكبوا افعالا تحدوا بها الشعور الديني العام ، وربما كان بعضها رد فعل لما ارتكب بحقهم من قبل وبلغ من سؤ تصرفهم وتحديهم للمشاعر الدينية في دولة زرادشتية انهم هدموا بعض معابد النار في ايران ، مما اضطر يزدجرد امام تكرار تجاوزاتهم الى تغيير سياسته ازائهم . وعلى الرغم من موقفه الاخير ، فانه مات بشكل غامض مما يرجح احتمال اغتياله على يد خصومه الاشراف وربما تم ذلك بتحريض رجال الدين الزرادشتي .

المبحث الثالث : بهرام الخامس والمناذرة

خلف يزدجرد الاول ثلاثة اولاد ، شابور وبهرام ونرسي وكان بهرام قد ارسله ابوه يزدجرد الى قصور امراء الحيرة ليتربى بين اهلها ، وكانت الحيرة آنذاك بأمره المنذر ابن النعمان موالية للفرس الساسانيين .

عقد اشراف فارس العزم على حجب الحكم عن ابناء يزدجرد جميعا ونجحوا في خلع شابور عندما قدم المدائن ، لذلك استنجد بهرام بعرب الحيرة ومنهم المنذر وابنه النعمان ، فامدوه بفرق عسكرية قوية أناحت على المدائن ، فخاف اشراف الفرس واضطروا الى قبول بهرام ونصبوه ملكا على ايران ، لذلك كان موقف عرب الحيرة حاسما في افشال خطط الاشراف الايرانيين .

كان بهرام مولعا بالصيد الى حد المغامرة ، فنسجت حول شخصيته الكثير من القصص الخرافية لكنها وجدت طريقها الى الآداب الايرانية وفي الاعمال الفنية ويروي عنه انه كان يجيد عدة لغات وكان يقول الشعر بالعربية . وسببه تربيته ونشأته بين العرب . ويلقب ببهرام : كور وكور (حمار الوحش) وتروي عن سبب اقتران هذا اللقب به قصة مفادها انه اصاب بضربة سهم واحدة حمار وحش واسد كان يعلوه . تتفق معظم المصادر في اشارتها الى انغماس هذا الملك في حياة الترف واللهو والملذات وتركه لشؤون الدولة بأيدي العظماء ، وهذا ما كان رجال الدولة يسعون اليه لذلك كان بهرام محببا من وجهه نظرهم ، وعلية كان من الطبيعي ان تبرز اسماء بعض الشخصيات الرئيسية في الدولة ، فكان ظهور اسم مهر - نرسي كبير الوزراء على عهد بهرام ، وما تنسب اليه من اعمال كثيرة .

شن بهرام حربا على برابرة الشمال الذين احدقوا بحدود الدولة وشكلوا خطر كبيرا يتهددها . ويسميهم الكتاب العرب والفرس بالترك ، فنجح في كسر شوكتهم وتوطيد دعائم الأمن في تلك الربوع .

اما المسيحيون فقد لاقوا الامرين على عهده وهاجرت جماعات كبيرة منهم الى الحدود البيزنطية . فاعتمدها بهرام ذريعة لشن الحرب على البيزنطينين لكن الحرب لم تستمر امدا طويلا اذ عقد صلح بين الطرفين تم بموجبه منح الحرية الدينية لمواطني الدولتين اي للمسيحيين في ايران والزرادشتيين في بيزنطية . وكان ذلك لصالح بيزنطة بالدرجة الاولى نظرا لعدم وجود زرادشتيين خارج حدود ايران . ومن جانب آخر ، شهدت الكنيسة المسيحية في ايران تطورا خطيرا حيث عقد تجمع كنسي لمسيحي ايران بعد الصلح ، وتوصل المجتمعون فيه لاتخاذ قرار خطير يتمثل في استقلال الكنيسة الايرانية عن الغربية . وبذلك اصبح مركزهم في ايران اكثر استقرارا ، واصبح امر اتهامهم بالميل الى بيزنطة بعد هذا القرار ضعيفا .

الفصل الثاني

المبحث الاول: يزدجـرد الثـانى والمسـيحية

وبموت بهرام الخامس سنة ٤٣٨ او٤٣٩ م ، وارتقى عرش الملك ابنه يزدجرد الثاني الذي كان يختلف عن ابيه في موقفه من النبلاء والمسيحية . وتشير المصادر المسيحية الى انه كـــان عطوفا على المسيحيين في سنوات حكمه الاولى ، ولكن تغييرا مفاجئا طرأ على سياسته ازائهم بعد السنة الثامنة من حكمه ، حيث لم يكتفي باضطهادهم بل شمل تشدده واضطهاده اليهود فحرم عليهم السبت (سنة ٤٥٤ / ٤٥٥ م) وذاق نصارى أرمينية على يديه الامرين . وقد بذل يزدجرد محاولات يائسة لجر أرمينية الى نطاق الدين الزرادشتي ، لكن محاولاته تلك منيت بالفشل الذريع الا في استمالة بعض الامراء واصحاب المقاطعات الذين وجدوا مصالحهم مرتبطة بالعرش الايراني ، فايدوا دعوة يزدجرد وانضموا تحت لواء الدين الزرادشتي ، وكان موقف هذا النفر من أمراء أرمينية سببا في تفرق كلمتهم وضعف وحدتهم بوجه ايران وفي الوقت الذي كانت ايران تدافع عن حدودها الشرقية ضد الكوشانيين ، وعن حدودها الشمالية ازاء قبائـــل الهون ، اعلنت أرمينية ثورتها على السلطة الايرانية مستفيدة من الظروف الحرجة ، ولكن يزدجر نجح في معركة دامية كبيرة من تسجيل نصر كبير على الازمن عام ٤٥١ م واعقـــب ذلك بمذبحة مروعة اوقعها بالاسرى والمسجونين من النصارى كما امر بقتل من لا يتخلـــى عن مسيحيته في أنحاء الامبراطورية .

اعقب يزدجرد في حكم ايران ولداه هرمز الثالث وفيروز ، اللذان بدأ عهديهما بالصراع من اجل العرش في نفس الوقت الذي كانت امهما تحكم في المدائن ، وكان وراء الصراع بين الاخوين رجال الدين الزرادشتيون الذين كانوا يؤيدون فيروز . نجح فيروز (٤٥٩ - ٤٨٤) فى احتلاء العرش في ظرف يعد من اصعب الظروف التي عاشتها ايران ، فمشاكل الحدود الشرقية والشمالية لاتزال ملتهبة ومما زاد من حراجة الموقف وتردي الاوضاع ان تعرضت البلاد على عهد فيروز الى قحط شديد طويل دام سبع سنوات .

وكان العالم المسيحي في هذه الاوقات يشهد صراعا مريرا ، ادى لانقسام خطير في الكنيسة المسيحية وانعكس اثره على نصارى ايران ، ويتمثل ذلك في الخلاف الشديد بين التساطرة الذين اعتقدوا بطبيعتين للمسيح احدهما آلهية والثانية بشرية بينمـــا أعتقـــــــد خصومهم (المونوفيزيت) بالطبيعة الواحدة للمسيح . وكانوا يرون ان الطبيعة الآلهية والبشرية أجتمعتـــا

في شخص المسيح . وقد تحول هذا الخلاف بمرور الزمن الى تباغض وكره وازدراء وتحارب بين الفريقين ، وبخاصة عندما وجد الحاكم وسيلة في هذا الخلاف لتحقيق اغراضهم السياسية وكان معظم اساقفة ايران على المذهب النسطوري القائل بالطبيعتين فوجد فيروز في هذا الانشقاق فرصة ذهبية لتعميقه من اجل الفصل بين الكنيسة الايرانية والغربية ولكن مشاكل الحدود الصعبه حالت دون استثماره الكامل لهذه الخلاف

المبحث الثاني فيروز والهياطلة :

في الوقت الذي حقق فيه فيروز نجاحا عسكريا كبيرا على القبائل البربرية في الشمال والتي غمرت بزحفها أرمينية وجورجيا ، تعرضت ايران لهجمات قبائل جديدة من ناحية الشرق وهجم الهياطلة الذين كانوا من قبائل الهون الصينية ، وبسبب استنفاذ قواه العسكرية في حرب القبائل الشمالية ، فشل فيروز في محاربة الهياطلة ، وخسر العديد من المعارك امامهم حتى انه اسر في احداها ، مما اضطره لشراء حريته بالتنازل لهم عن بعض مدن الشرق وترك عندهم ابنه قباذ رهينة حتى يوفيهم الفدية التي اتفقوا عليها .

وبعد سنتين جدد فيروز حربه على الهياطلة ، فخسرت ايران على اثرها ملكها الذى قتل في الحرب ، وكثيرا من الاقاليم الشرقية ، حيث توغل الهياطلة فيها وفرضوا جزية سنوية كبيرة على الفرس .

ضعف موقف ايران بشكل ملموس اثر نجاحات الهياطلة ومقتل الملك فيروز فحاول احد العظماء . وكان قائدا على فرق ايرانية في ناحية أرمينية واسمه زرمهر تدارك الموقف فابرم صلحا او اتفاقا مع زعماء أرمينية كانت شروطه مهينة لايران ، ولكن بسبب الاوضاع الحرجة التي مر بها الدولة الساسانية قبلها زرمهر على مضض ، وكان يقصد من وراء ذلك التفرغ لرد اعتبار ايران امام خطر الهياطلة المتزايد . وبعد ان نصب بلاش (بلاسي) ابن فيروز على عرش ايران شن زرمهر حربا على الهياطلة نجح في اجبارهم الرجوع عن المقاطعات التي استحوذوا عليها واسترجع منهم الممتلكات والاموال التي غنموها في حربهم مع فيروز . اصبح زرمهر بفضل انتصاراته على الهياطلة ، واعادة هيبة الدولة الحاكم الفعلي لايران ، يقابل ذلك ضعف شخصية الملك بلاش فشجعه ذلك على عزل الملك وسمل عينيه وتعيين اخيه قباذ ملكا على ايران بعد ان حكم بلاش اربع سنوات

الفصل الثالث

قباذ والمزدكية

المبحث الاول محاولات قباذ لانقاذ هيبة الدولة

ويبدوا ان زرمهر كان يخفي وراء خطوته هذه اسبابا سياسية وجيهة ، حيث قصد من الذين تربطهم بقباذ صلات طيبة نجمت عن سنوات الرهن التي قضاها قباذ في بلاطهم على عهد أبيه فيروز ، ويبدو من سياق الاحداث التاريخية أن زرمهر اصاب الهدف بذلك .

اما الكنيسة المسيحية الايرانية ، فقد زاد ابتعادها عن الكنيسة الغربية على عهدى بلاش وقباذ ، واستقرت الكنيسة الايرانية على المذهب النسطورى . كان الوضع في ايران مع استلام قباذ للسطة لا يزال قلقا وضعيفا ، فأيران بقيت تدفع الجزية السنوية للهياطلة ، ورجال الدولة والعظماء لهم اليد الطويلة في تسيير كافة شؤون المملكة ، وبخاصة زرمهر الذى نجح في انقاذ ايران في ساعاتها الخطرة فاصبح في مقامه الرفيع يضاهي الملك ، وكان الملك الفعلي غير المتوج لايران ان هذه الاوضاع عامة لم تكن تتفق مع طموح قباذ ولا مع شخصيته ، لذلك خطا خطوته الجريئة الاولى بقتل زرمهر ، وكأنه اراد من وراء ذلك ، التخلص منه اولا وتلقين العظماء درسا قاسيا يضطرهم فيه لاحترام هيبة الدولة وسلطة الملك ويحذرون من تجاوزها .

كان مقتل زرمهر بداية حرب عنيفة غير معلنة بين سلطة الملك وسلطة الارستقراطية الايرانية المدعمة برجال الدين الزرادشتي . فكان لزاما على قباذ ان يعتمد جماهير ايران الواسعة ، فوجد في الدعوة المزدكية التة نجحت في لف أوساط شعبية واسعة حولها ، السند القوى لضرب خصومه وانقاذ العرش والملكية من الوضع المزري الذي آلت اليه .

والى هذا الحد ، نقف قليلا عند حدث كبير وخطير شهدته ايران وكان له ابلغ الاثر في تاريخها السياسي والاجتماعي والديني ، ونقصد به الحركة المزدكية .

المبحث الثاني - المزدكية -

المزدكية حركة اجتماعية تستند الى فكر ديني معدل عن المانوية والزرادشتية واسمها نسبة الى داعيتها الاول مزدك الذى ظهر في ايام قباذ ونالت افكاره حظوة من لدن هذا الملك . .

والمزدكية ديانة ثنوية تقول بالاصليين والكونيين ولكن خلافها الجوهرى عن المانوية يتمثل في قولها ان النور يفعل بالقصد والاختيار والظلمة تفعل بالخبط والاتفاق . والنور عالم حساس والظلام جاهل اعمى .

وكان مزدك ينهى الناس عن التنازع والخصومة والمباغضة والقتال ، ولما كان اكثر ذلك انما يقع بسبب النساء والاموال ، احل النساء واباح الاموال ، وجعل الناس شركة فيها كاشتراكهم في الماء والنار والكلاء . ويبدو ان قول المزدكيين الذى نقل الينا بصيغة احل النساء واباح الاموال هي نقطة التحول الجذرية في الافكار المزدكية والتي لاقت صدى كبيرا بين الطبقات الفقيرة والمسحوقة مثلما ادت الى تكالب الارستقراطية الايرانية مستخدمة كافة وسائلها المادية والبشرية والدعائية للقضاء عليها .

وبسبب اهمية حركة مزدك وقوة تغلغل افكارها بين ظهراني المجتمع الايراني بسبب الاهمية الكبيرة التي اولتها الارستقراطية الايرانية ورجال الدين الزرادشتي لهذه الاسباب مجتمعة ، يندر ان تصادف كتابا في التاريخ او الدين لم يتعرض الى هذه الحركة سواء كان من جانبها الديني الفلسفي او الاجتماعي الاصلاحي . ويصدق هذا الامر على المصادر العربية كاليعقوبي والطبرى وابن النديم والشهرستاني وابن خلدون وغيرهم كثيرين . كذلك يكثر الحديث عن المزدكية في المصادر المسيحية وكل ذلك ان يشير الى شئ انما يشير الى اهمية هذا الحدث الكبير في تاريخ الدولة الساسانية .

تنقسم المصادر التي تتحدث عن مزدك في موقفها من الحركة الى فريقين ، وعلى الرغم من اتفاقهما في القول باباحة المال والنساء بين الناس لكنهما يختلفان في عرض اسباب ذلك وفريق ثالث يكتفي بذكر هذه الخاصية في الافكار المزدكية دون عرض لاسبابها . يقول الطبرى عند حديثه عن المزدكيين[٧] قالوا ان الله انما جعل الارزاق في الارض ليقسما العباد بينهم بالتآسي ولكن الناس تظالموا فيها ، وزعموا انهم يأخذون للفقراء من الاغنياء ويردون من المكثرين على المقلين وانه من كان عنده فضل من الاموال والنساء والامتعة فليس هو باولى بها من غيره . فافترص السفلة ذلك واغتنموه وكانفوا مزدك واصحابه وشايعوهم[٨] ومثل هذا الرأى د على لسان الشهرستاني فذلك مما يؤكد ان اسبابا رئيسية دفعت بالمزدكية لرفع شعاراتهم ت الطابع الاشتراكي او الشيوعي وابرزها حالة الفقر المدقع والاستغلال البشع الذى تعرضت اغالبية المجتمع الايراني .

ترد اشارات متواترة في المصادر الى ان المزدكية تستند مذهبا اسمه درست دين اى دين الحق ، وترتبط الدعوة اليه بشخص اسمه بندس يذكر انه انشق عن المانوية ويبدو ان هذه الافكار لقيت رواجا وظرفا ملائما على عهد قباذ وعلى يد زعيمها الجديد مزدك ، الذى غطت شهرته على اسم صاحب الدين الاصلي بندس او بندس — زرادشت . وتختلف الروايات ايضا في

امر مسقط رأسه . فأما انه ولد في اصطخو او تبريز ، كذلك لا تتوفر معلومات عن سبل اتصال مزدك بقباذ . ولكن بعض الروايات تؤكد بان مزدك نجح في اقناع قباذ خلال فترة قحط شديد مر بايران بان يعلن ان من يمنع الماء والطعام عن الناس يقتل ، وعلى الرغم مما في هذه الرواية من طابع اسطوري ،لكنها تشير الى ان نجاح افكار مزدك كانت بسبب تفاقم بؤس الطبقات الفقيرة وبخاصة في وقت المجاعة ، في نفس الوقت الذي كان الارستقراطيون يخزنون فائضا من الاموال والامتعة والخيرات انضوى قباذ تحت لواء الدين الجديد واصدر بعض التعليمات والقوانين التي تنسجم مع فلسفة الفكر المزدكي ، وكانت هذه القوانين في مجملها تقصد تحسين احوال الفقراء والحد من ثراء وجشع الاغنياء .ولكن هل كان انضواء قباد تحت لواء المزدكية ناجما عن قناعة فكرية بفلسفة الدين الجديد ، او انه اعتمدها وسيلة لمحاربة اعدائه في الداخل من عظماء الدولة ورجالاتها ؟ وعلى الرغم من الاختلاف القائم بين الباحثين في الاجابة على هذا السؤال ، ولكن يلاحظ ان كثيرا من اخلاقيات الملك قباذ تتفق مع تعليمات المزدكية وهي الرأفة والرحمة والمعاملة الانسانية لاعدائه وهي اخلاقيات تتنافى مع سلوك ملوك ايران ولنا في معاملة قباذ لاخيه جاماسب » خير دليل على ذلك .

ومع هذه الملاحظات ، يبقى التفسير الثاني وهو ان ميل قباذ للمزدكية كان لاغراض سياسية مرجحا وقويا فقد اراد قباذ بالاستناد الى جماهير المزدكيين الواسعة ان يصفي حسابه مع الارستقراطية الايرانية ورجال الدين الزرادشتي الذين اذلوا ملوك ايران وقللوا من شأن الدولية وهيبتها وتلاعبوا بمقدراتها ، ولذلك ايضا نجد الارستقراطية الايرانية تجمع صفوفها وتبدأ هجومها فتنجح في عزل قباذ وتودعه السجن وتعين اخيه جاماسب » ملكا بدله على عرش ايران . لكن قباذ نجح في الهرب من السجن ولجأ الى الهياطلة اصدقائه القدامى ، الذين ساعدوه بجيش كبير ينصره في استرجاع عرشه .

ان هذه الضربة الشديدة التي تلقاها قباذ والتي مرت بسلام ، دفعته لاعادة النظر في موقفه من الصراع مع الارستقراطية الايرانية ، ويبدو ان حب الذات تغلبت عليه اثر عودته ثانية الى عرش ايران ، فآثر موقف المتفرج في الصراع بين المزدكيين والارستقراطيين ، وقد تأكد هذا الموقف لقباذ من عدم تعرضه لجميع الذين ساهموا بعزله وسجنه وعلى رأسهم اخوه جاماسب ، فلم يعاقب احدا بل صالحهم جميعا وكأنه اراد ان يشعر الارستقراطية الايرانية بتراجعه عن تأييد المزدكيين .

ونضيف الى ذلك جميعا ان اصل قباذ الملكي ومنابع هذا الاصل الفكرية التي تصب في مصالح الارستقراطية الايرانية دفعته للارتداد عن المزدكية تدريجا ، وهكذا يكتشف لنا سلوك قباذ وبخاصة بعد عودته الى العرش ثانية ، الاغراض الدفينة التي دفعت به لتأييد المزدكية وكان

طأ المزدكية الكبير ان صدقته وتحالفت معه ، ولم يعتبروا العبرة والدرس من تأريخ الساسانيين
ي علاقة المانويين بالملوك على عهدى شابور وبهرام .
والذى نستنتجه من احداث الحركة المزدكية ، هو ان هذه الدعوة كانت في بدايتها فلسفية
بنية ولم يكن اهتمامها بالجانب الاجتماعي كبيرا ، ولكن لكون افكارها ايقضت مكامن الالم
طبقات المسحوقة والفقيرة في المجتمع الايراني من الفلاحين والعبيد فانها اكتسبت مضمونا
جتماعيا تعمق يوما بعد آخر مع مزيد من تركز هذه الأفكار وثبات صلاحها العملي لصالح الطبقات
محرومة التي عاشت حياة البؤس والفاقة منذ اجيال طويلة . لذلك يتوقع منها ان يتجاوز خطرها
طبقة الارستقراطية الى الحاكم نفسه باعتبار رأس هذه الطبقة ، ولهذا السبب تحالفت ضدها
ل القوى المضادة ، ونجحت على ايام كسرى انوشروان من انزال ضربة ماحقة بالمزدكيين .
بعت الكارثة بالمزدكيين في نهاية سنة ٥٢٨ م ومطلع عام ٥٢٩ م ، عندما وقف المزدكيون بجرأة
ضد رغبة قباذ في توريث العرش من بعده لابنه كسرى وحجبه عن كاووس الابن الاكبر والمخلص
لمزدكيين .
فدعي المزدكيون لحضور مؤتمر ديني حضره ايضا كبار رجال الدين الزرادشتي ، وتعاون
معهم اسقف نصارى ايران ، ودارت مناظره في بعض المسائل الفلسفية ويبدو ان المناظرة كانت
خطة مدبرة وكمين اريد من خلالها تجميع زعماء المزدكيين للقضاء عليهم . ويروى انه بسبب
بعض اسئلة اسقف النصارى غلب المزدكيون على امرهم فهم الجند المحيطون بمكان الندوة
باشارة من كسرى ولي العهد وقتلوا مزدك وكل من كان معه من اصحابه ثم استبيح دمهم فطوردوا
وقتلوا وصودرت اموالهم واحرقت كتبهم .
وبلغت اعمال المطاردة والقتل والاجتثاث ذروتها على عهد كسرى بن قباذ (انو شروان)
الذى لم يكتفي بالتصفية الجسدية لاتباع المزدكية وانما عمد الى اصدار قوانين واتخاذ اجراءات
عديدة قصد من ورائها محو آثار الفكر المزدكي من المجتمع الايراني . وسنعود الى هذه الاجراءات
عند الحديث على عهد كسرى انوشروان وهكذا انتهت حركة اجتماعية رفعت شعارات ذات
مساس ببنية المجتمع الايراني الاقتصادية وكادت لو قدر لها النجاح - ان تغير من وجهة سير
الاحداث التاريخية لايران ، ولكن اسبابا عديدة ، ابرزها عدم نضج افكار المجتمع عامة
لقبول مثل هذه الافكار ، يقابله جبروت الاعداء وقوتهم وقدراتهم المادية الهائلة ثم ذلك الدعم
الذى لقيه اعداء المزدكية من رجال الدين الزرادشتي والمسيحي ، لأن في افكار المزدكية ما يعترض
مع تعليمات الزرادشتية والمسيحية . كل ذلك اوصل المزدكيين الى هذه النهاية المروعة . ولكن
الجوانب الاجتماعية والاقتصادية في الفكر المزدكي تأصلت في نفوس الطبقات الفقيرة من المجتمع
الايراني ، لذلك بقيت هذه الفئات ارضا خصبة لرواج افكار مماثلة . ويرى بعض الباحثين أن

الخرمية كانت دعوة واصلت الافكار المزدكية وتطورت عنها . وقد ظهرت الخرمية اواخر العصر الاموي وبداية العصر العباسي ثم تطورت حركتهم الى ثورة ضد الخلافة العباسية شملت مناطق واسعة من الاقسام الشمالية من ايران الى ان نجح المعتصم في قمعها على يد قائده المشهور الافشين .

نعود ثانية الى تتبع الاحداث السياسية لايران بعد عودة قباذ ثانية الى العرش بمساعدة جيش الهياطلة . فقد استمر قباذ في دفع الجزية السنوية لهم ، مع تحمله نفقات وهدايا الجيش الذي جاء معه لاسترجاع عرشه ، وقد كانت الخزينة تشكو من نقص كبير لذلك طلب قباذ إمدادات مالية من البيزنطيين بسبب اتفاق سابق بينهما يقضي بحماية الايرانيين للممرات الخزرية فلم يلب البيزنطيون طلبه فاضطره ذلك الى اجتياح بلاد ما بين النهرين وفتح آمد فحصل منهما على غنائم كثيرة ، لكنه اضطر لعقد صلح مع البيزنطينيين ليفرغ لمحاربة قبائل الهون الذين هددوا الحدود الشمالية لمملكة الساسانيين ، ولكنه مات دون هذه المشكلـــة .

اشرنا فيما سبق الى ان قباذ اخذ بالابتعاد تدريجيا عن المزدكيين ، ومن ابرز خطواته بهذا الصدد ، حجب ولاية العهد عن ابنه كاووس المؤيد القوى للمزدكيين وتوليه ابنه كسرى على عرش ايـــــــــــران وهـــــــــو مـــــــــن الزرادشتيين المتحمسين والعـــدو اللدود للمزدكيين كما عرفنا مـــــــــن استعراضنا السابـــــق كيـــــف نجح كسرى من تدبير خطة المناظرة الدينية التي جرت بموافقة والده ورضاه والتي ادت الى القضاء على المزدكيين واعتلاء كسرى عرش ايران :

الفصل الرابع

عهد الازدهار الاخير

المبحث الاول : كسرى انوشروان (٥٣١ - ٥٧٩ م)

شهدت ايران خلال عهد الساسانيين ثلاثة من الملوك الكفوئين اردشير المؤسس وسابور الثاني وثالثهم كسرى انوشروان ، الذى نحن الآن بصدد الحديث عنه ولكن الفترة الزمنية بين عهدى شابور الثاني وكسرى كانت طويلة اولا ، وشهدت ايران خلالها احداثا جسيمة اضرت كثيرا بوحدتها السياسية ونظامها الاجتماعي ودينها الرسميّ ، ويشعر المتتبع لاحداث تاريخ ايران ان هذه الامبراطورية غدت تستند لأساس ضعيف ومعرضة للانهيار بين آونة واخرى . لذلك كان لابد من اصلاح الاوضاع السياسية والاجتماعية والتنظيمية .

ويبدو واضحا ان قباذ ادرك حاجة البلاد الى مثل هذا الاصلاح لكنه سلك طريقا يناقض المتوارث الاجتماعي للسلطات ويخالف الاوضاع العامة المقبولة في عالم ذلك الزمان ، وذلك عندما تبنى الافكار المزدكية في مشاريع اصلاحه . فأدى ذلك الى زيادة تفاقم التناقص بين طبيعة الدولة ونظامها وبين ماتهدف اليه الافكار المزدكية فتمزق النظام الاجتماعي بسبب الخلل الذى اصاب بناؤه الاقتصادى ، وتفاقمت الاخطار الخارجية من ضغط الهون والهياطلة ، والداخلية بسبب الصراع المرير بين الطبقات الارستقراطية وارثة المال والارض والسلطان وبين جماهير الشعب الفقيرة من فلاحيين وحرفيين صغار وعبيد .

لذلك وجب على كسرى تفادى تدهور البلاد ، ومسك الامور بيد حازمة والبدء باصلاحات اقتصادية وادارية اراد من ورائها تثبيت البناء الاجتماعي للدولة ، وفي الواقع ان كسرى استفاد من كافة الظروف التي شهدتها ايران قبل عهده . فكانت أجراءته تحاكي النظم المتوارثة وروح العصر . ففي الوقت الذى حافظ فيه كسرى على حقوق وامتيازات الارستقراطية التقلدية ، لكنه استفاد من ضعفها بسبب ما صادفته على عهد قباذ والافكار المزدكية ، فعمد كسرى الى خلق ارستقراطية جديدة موالية اليه وتدين له بالفضل ، استند عليها في تنفيذ بقية خطواته . ولأن الارستقراطية الايرانية شعرت بفضله الكبير عليها قبلت التخلي عن بعض امتيازاتها في السلطة ، واصبحت كلمة كسرى نافذة دون معارضة . فمركز القائد العسكرى الاعلى للجيش وهو منصب متوارث ومحصور في عوائل معينة ، وزعه كسرى بين اربعة اقسام ووضع على رأس كل قسم منه في بعض الاحيان رجلا لا يمت بصلة الى العوائل التقليدية التي كان رجالاتها يتربعون على هذا المنصب لذلك ، وبسبب نجاح خطوات كسرى ، فقد بلغت ايران مستوى سياسيا وعسكريا

رفيعا ، وازدهرت الحياة فيها ، وقوي بناؤها الداخلي ، وهابها الاعداء وهكذا استطاع نظام الحكم الساساني ان يبقى لفترة اخرى على الرغم من الصعوبات الكبيرة التي واجهها بعد عهد كسرى .
ولكن هذا المجد والازدهار الذى بلغته الدولة في عهد كسرى بني على طموحات وامآل الجماهير الفقيرة التي ايقضتها افكار مزدك ، كما بني على اشلاء الالاف الضحايا من طبقات الشعب الفقيرة بسبب ما لقيته من سوء المعاملة ومن قسوة الحاكم .

المبحث الثاني اصلاحات كسرى .

بدا كسرى عهده بتصفية مزدك وزعماء حركته في الخطة المدبرة التي اشرنا اليها سابقا في موضوع المناظرة ، وواصل تصفية الافكار المزدكية واتباعها فقتل منهم خلقا كثيرا واحرق كتبهم و صادر اموالهم ، كما رد الاموال التي سيطر عليها المزدكيون الى اصحابها وامر ان كل امرأة غلبت على نفسها ان يؤخذ الغالب حتى يغرم مهرها ويرضي أهلها وتخير المرأة بين البقاء معه او ان كانت لزوج سابق ردت اليه ، ويروى ايضا ان المرأة المغتصبة ان لم تكن من طبقة الغاصب فطلاقها منه واجب ، وأنكح بنات العوائل التي تضررت ، ومات اولياء امورهم وجعل جهازهم من بيت المال ، كما زوج شبابهم من بيوتات الاشراف وامرهم بملازمة بلاطه ليستعان بهم ، وهكذا اوجد كسرى طبقة من الارستقراطية تدين له بالولاء والطاعة ، وامر باستصلاح الاراضي وكرى الانهار واعادة بناء الجسور والقناطر . وامد الارستقراطية الايرانية المتضررة بكل ما يمكنها من الوقوف على اقدامها ثانية و بشكل قوي ، فاعانها بالاموال والماشية .

وانصرف كسرى لتنظيم شؤون الارض وضرائبها وطريقة جبايتها ونسبتها بحيث جعل لها علاقة بنوع الغلة وموقع الارض . واختار كسرى رجالا اكفاء عرفوا بالنزاهة واوكل اليهم جباية الضرائب . كذلك غير كسرى نظام الضريبة الشخصية ففرضه على من يتفاوت عمره بين العشرين والخمسين سنة من الرجال واستثنى منه اهل البيوتات والمرازبة (رؤساء الفرس) والاساورة (المقاتلون) والكتاب ومن كان بخدمة الملك . ويعني ذلك ايضا دعما لمراكز الارستقراطية الايرانية الاقتصادى والمعنوى ، وجعل جباية الضرائب في اوقات ثابتة من السنة .

ولكن كسرى ، كما اشرنا استفاد من الاوضاع السيئة التي كانت تعيشها العامة والتي كانت وراء ثورتها على عهد قباذ تحت لواء المزدكية ، فرفع ضريبة الرأس عن الفقراء واعفى من تضررت ارضه بسبب الآفات من الضريبة لتلك السنة وطلب من عماله ان يكتبوا اليه عن الاراضي المتضررة بسبب الافآت ليراقب بنفسه اية تجاوزات قد تلحق باصحاب تلك الاراضي من سوء تطبيق قوانين الضرائب ، وكان في هذا كله مدفوعا لرتق عيوب النظام الاقتصادي الذى كان وراء ثورة المزدكيين .

وكما اشرنا فيما قبل من ولاء الارستقراطية الايرانية ورجال الدين لكسرى وجد هذا الملك في ذلك فرصته ليجعل من هذه الطبقة تابعة له ضعيفة لا تقوى على التصدى للحاكم ، كما وقع على عهد بعض الملوك من قبله ومن اجل اضعاف مركزهم ، حول بعض واجبات رئيس الوزراء الى كبير موظفي البلاط ، وبالتالي قلص من صلاحياته ودائرة نفوذه .

وتحول كسرى نحو الجيش والنظام الحربي عامة في ايران وادخل فيه تغييرات اساسية واراد من وراء التغييرات التي ادخلها تحويله لاداة قوية حديثة وطيعة بيده لتقوية سلطانه في الداخل وتحقيق مطامعه في الخارج . فنال التغيير في الجهاز الحربي الجنود واسلحتهم وقادتهم . فاولى اهتماما كبيرة بالأساورة (الفرسان) الذين يشكل القوس والسهم عدتهم الرئيسية في الحرب وجل الفرسان من اسر النبلاء الصغيرة والفقيرة وكانت العادة ان تصرف هي بنفسها على عدتها العسكرية فأمر كسرى لهم بالمال والدواب والجراية لتقويتهم ، وربما لاستمالتهم الى جانبه عند الحاجة بوجه اسر النبلاء الكبيرة .

لذلك اصبحت هذه الفئة من الجند تمثل مرتبة رفيعة في الجيوش الساساني من عهد كسرى الاول ، واصبح لها رئيس واحتل بعضهم مناصب رفيعة في الدولة كما حدث للقائد الذى فتح اليمن و هو من الفرسان فعينة كسرى واليا عليها .

وحارب كسرى بعض الامم التي يسميها بعض الكتاب العرب باسم (البارز) و(صول) او (جول) وغيرهم من الامم ، وقتل منهم خلقا كثيرا ، وابقى على بعضهم مستفيدا منهم في تحصيناته العسكرية على الحدود مثل قلعة (دربند) .

واخيرا توجه الى منصب (الاصبهبذه) (ايران - سباهبذ) قائد الجيش الاعلى ففرقها كسرى بين اربعة منهم اصبهبذ المشرق وهي خراسان وما ولا ها واخر للمغرب وهي من العراق حتى حدود الدولة البيزنطية والثالث لنيمروز وهي بلاد اليمن والرابع لأذربيجان وما ولاها وهي وهي بلاد الخزر.

و هكذا اعيد بناء مجد ايران من جديد لتقف على قدمها قوية منيعة و يستند فوق هذا البناء ملك دان له الجميع بالتأييد راضين او مجبرين . فعندها وجد كسرى نفسه في وضع عسكرى وامنى داخلي يؤهله بتحقيق طموحاته واعادة ايران لايامها المجيدة على عهد أردشير

المبحث الثالث : اعمال كسرى العسكرية وفتح اليمن :

كانت المنازعات بين الغساسنة عرب الشام الموالين للرومان وبين المناذرة عرب العراق الموالين للفرس سببا تذرع به كسرى لشن هجومه على الروم البيزنطينيين فاستولى

سنة ٥٤٠ م على الرهاو ومنبج وحلب ودخل انطاكية عنوة وكانت افضل مدن الشام ، فاستولى على كنوزها وثرواتها وسبى اهلها واسكنهم مدينة بناها لاجلهم اسمها الرومية جنب المدائن ، اعلنت الهدنة بعد سلسلة طويلة من المعارك واوقف القتال سنة ٥٤٥ م ، لكن الحرب تجددت ثانية حتى ابرم اتفاق صلح نهائي سنة ٥٦٢ م واستمر لمدة خمسين عاما ، عندها وجد كسرى الفرصة سانحة لتصفية حساب ايران القديم مع الهياطلة فقد كانت ايران تنوء باعباء الجزية السنوية التي تدفعها للهياطلة وتشعر ازائها بالموقف الذليل . ففي نفس سنة الصلح مع بيزنطة رفض كسرى من تسديد الجزية السنوية وتحالف مع قبائل تركية تسكن وراء نهر جيحون لضرب الهياطلة وكانوا انئذ متمركزين بين نهري سيحون وجيحون ونجح الحليفان في انزال ضربة ماحقة بالهياطلة وتقاسما ممتلكاتهم .

ونجح كسرى في ايقاف زحف قبائل تركية اخرى من اطراف القوقاز وعمد الى تقوية قلعة دربند لتبقى سدا منيعا امام القبائل البربرية التي تهدد الحدود الشمالية للبلاد .

وبلغت الامبراطورية الساسانية ابعد المدى في البلاد العربية فقد ضمت اليمن اليها سنة ٥٧٠ م وحلت بذلك محل الاحباش في اليمن ، وتروى المصادر العربية ان حملة الفرس على اليمن كانت بسبب توسط سيف بن ذي يزن الحميرى عند النعمان بن المنذر والى الحيرة الموالي للفرس طالبا المعونة من كسرى ، وتروي هذه المصادر ان الحملة التي ذهبت لفتح اليمن عن طريق البحر ورست السفن في ارض عدن ونجح العرب بمعونة الفرس في طرد الاحباش . ولكن الاحباش عاودوا فتح اليمن ، فارسل كسرى اليهم جيشا للمرة الثانية ونجح في الاستيلاء على اليمن وطرد الاحباش وجعلها ولاية فارسية تحكم من قبل امرآء فرس مباشرة .

ولم يكن امام البيزنطيين ، بسبب اتساع دولة الفرس وتعاظم نفوذها الا ان يفكروا بمجاراتها دبلوماسيا ، وفي نفس الوقت تحركوا سياسيا لتشكيل قوة معادية للساسانيين فتبادلوا السفراء مع بلاد الخاقان التركي الذى كان يحكم التخوم الشرقية لايران وعززوا علاقاتهم مع بعض شعوب اواسط آسيا لكي يحكموا الطوق من صوب الحدود الشمالية الشرقية على الامبراطورية الساسانية كما انهم دعموا الاحباش الذين نجحوا ثانية من احتلال اليمن كما اسلفنا ، ووطدوا علاقاتهم بالعرب ، وكانوا يقصدون احكام الطوق الجنوبي الغربي على الدولة الساسانية .

بدأ الترك تحرشهم بالحدود ، ولكن مناعة التحصينات اوقفتهم عند حدهم وشهدت أرمينية اضطرابات حرضت عليها الايدى البيزنطية ، ولم تكن هذه التحركات خافية على ملك الملوك الفارسي ، لذلك تحرك صوب الحدود الغربية واجتاح ارض ما بين النهرين مصطدما بالقائد

البيزنطي جستنيان الذى مني بهزيمة منكرة امام كسرى – وجيوشه . ولكن بسبب انتصارات الجيش البيزنطي اللاحقة وخاصة استيلائهم على سنجار دخل الطرفان مفاوضات صلح جديدة . وعندها مات كسرى سنة ٥٧٩ م،دون ان يطلع على نتيجة المفاوضات .

المبحث الخامس : الحركة العلمية والفلسفية على عهد كسرى .

وقبل ختام حديثنا عن كسرى الأول (انوشروان) نشير الى جانب مما عرف به هذا الملك من عدل ورحمة ، فقد أطنبت المصادر الايرانية والعربية التي نقلت عنها بذكر القصص والروايات التي تؤكد حبة للنظام والعدل ورفع الحيف عن الضعفاء من جور الاقوياء ، ولكننا نعرف من بين ثنايا هذه القصص عن النفوذ الكبير والثروات الهائلة التي تكدست في ايدى النبلاء ورجالات الدولة فالملك ساند الارستقراطية الايرانية وعزز مكانتها ودعمها ماديا ومعنويا الى ان بلغت على عهده اعلى المستويات ، ولكنه في نفس الوقت رفض جشع بعضهم وغرورهم وحبهم للتسلط خوفا من تفاقم نقمة الفقراء وحتى يتجنب نظام الملك هزات كمثل ما حدث في ثورة الفقراء على عهد قباذ .

فأختار لهذه الاسباب ، موظفين اكفاء معروفين بالنزاهة واستمر في مراقبة اعمال عماله وموظفيه في الاقاليم .

ويفهم من بعض المصادر ان كسرى خفف من نظام العقوبات الذى كان ساريا فيما سبق وبخاصة عقوبة الإعدام التي كانت تنزل بالخارجين عن الدين فأمر بسجنهم ومحاولة اعادتهم الى دينهم بالارشاد والتوجيه ، ولكن ينفذ حكم الاعدام بهم في حالة اصرارهم على رفض العودة الى جادة الصواب ، ولكنه لم يتورع لحظة في انزال اشد العقوبات الصارمة اذا وجد في ذلك ضرورة لحفظ نظام حكمه . ولدينا من امر تنكيله بالمزدكيين بالجملة مثال على ذلك كما يذكر انه خفف من عقوبة السارق والمغتصب بحيث جعل تنفيذ العقوبة لا يعيق صاحبها من ممارسة نشاطاته الحياتية ، فبدلا من عقوبة قطع الايدي قصرها على بتر الانف والاذن .

وفي المصادر المتوفرة اشارات عديدة تؤكد روح المراوغة والدهاء السياسي الكبير الذى تميز بها كسرى ، كما انه لم يتورع من قصد كل السبل بما فيها الملتوية لتحقيق اهدافه . كذلك كان منفردا في رأيه لا يعير ادنى اهتمام لاراء رجال الدولة والعلماء المختصين الذين كانوا يحيطون به ويروى الطبرى رواية عنه تعكس تسلطه وظلمه ، مفادها انه بعد ان وضع نظام ضريبة الارض جمع رجال دولته وموظفي قصره ، وعرض عليهم الامر وسألهم رأيهم ، فلم يجبه احد . فكرر سؤاله ، فاجابه واحد من الكتاب بشكل لم يوافق هوى كسرى ، فأمر بضربه حتي الموت ،

فأعلن البقية رضاهم عن خطوات الملك . ولا جل تفرده بالحكم قتل اخاه كاووس الذي نافسه على العرش وقتل بعد ذلك جميع اخوته وابنائهم .

ومن جانب اخر تبين بعض المصادر المتوفرة اهتمام كسرى بالعلم والفلسفة وتشجيع اهلها ورعايتهم حتى لو كانوا على غير ملته وكان هو بنفسه يتلقى دروسا في الفلسفة على طبيب و فيلسوف يوناني ، كما كان يحضر بعض المناقشات الفلسفية في اصل الكون والطبيعة كمسائل تناهي الدنيا وعللها . وكان بلاطه موئلا لكثير من الفلاسفة السريان والرومان واليونان الذين اضطهدوا في بلدانهم بسبب موقفهم الفلسفي المعارض لاراء الحكام ، وكان معظمهم هارب من وجه الدولة البيزنطية كما ساعد كسرى على انتقال علوم الهند الى ايران وبخاصة في الرياضيات وكتب الحكمة . وينسب ترجمة كتاب كليلة ودمنه الى الفارسية على عهد كسرى ، ثم ترجم الى السريانية والعربية وكان ابن المقفع مترجم هذا الكتاب من الفارسية الى العربية .

وبسبب هذا الانفتاح العلمي والفلسفي الذى شهدته ايران على عهد كسرى زاد عدد المتعلمين كما تم التأكيد على قواعد الاخلاق والسلوك اكثر من الالتزام بقواعد الدين ، واخذت بذور الشك تنمو تدريجيا لتزعزع اركان الديانة الزرادشتية التي لم يبق لها نفوذها القديم في عقول الناس وقد كان فسح المجال لمناقشة المسائل الفلسفية في الدين الزرادشتي سببا وراء تغلغل هذه الشكوك وانتزاع الثقة من نفوس كثير من الناس بجدوى الدين الزرادشتي الذى لم يعد بساير التطبيقات العلمية للحياة . و ننقل في ادناه جدالا فلسفيا دار بين احد رجال الزرادشتيين و بين احد رجـــال الدين المسيحي ، تتوضح من خلاله تخلف الفكر الزرادشتي عن مستوى تطور الفكر الفلسفـــي قال الموبذ للمسيحي نحن لا نعتبر النار الهة ، ولكنا نعبد الله بواسطتها كما تعبدونه بواسطة الصليب » فاجابه المسيحي ، وكان رياضيا مرتدا يعرف نصوص الأبستا ، قارئا عليه بعض النصوص التي يرد فيها ذكر النار على انها آله فقال الموبذ وقد ضاق ذرعا بالامر وهو يحاول التسلل من الموضوع نحن نعبد النار لانها من نفس طبيعة اهورامزدا « قال المسيحي في رده أفي النار كل ما في أهوارامزدا » اجاب الموبذ « نعم » فقال المسيحي « ان النار تلتهم النجاسة وروث الخيل وكل ما تلمس ، واذا فان اهورامزدا يلتهم كل هذا لانه من نفس الطبيعة » فغلب الموبذ على امره وسكت » وهكذا سمحت حرية تعاطي الفلسفة مناقشة بضعة مسائل دينية كانت تستوجب عقوبة الاعـدام فيما سبق من عهود الدولة الساسانية وهكذا فان ما بلغته الدولة الساسانية من رقي وازدهار وشهرة في عهد كسرى لم يكن في واقعه اكثر من صحوة موت ، فان مظاهر الاصلاح الاداري والعسكري والمالي لم يكن يقصد من ورائه سوى حماية العرش والمتربع عليه ، اما الواقع الاقتصادى والاجتماعي للغالبية العظمى من جماهير ايران ، فقد بقيت ترزح تحت كابوس الظلم والفقر والتعاسة ، وحتى

لو اصابها بعض التخفيف بفعل اجراءات كسرى ، لكن جذوة الامل التي فجرتها المزدكية في نفوسهم ، جعلتهم لا يكترثون لمثل هذه الاجراءات بل يطمحون للمزيد .

المبحث الخامس : المدائــــن

وينسب الى كسرى أنوشروان هذا بناء الايوان الكبير في العاصمة المدائن والذي يعرف بايوان كسرى في مدينة طيسفون التي مر بنا خبر تأسيسها كمعسكر للجند في العهد الفارسي الفرثي السابق ولكن يحتمل ان يكون بناء الايوان اسبق من عهد كسرى انوشروان ، ويرجح ان يكون بناؤه على عهد شابور الاول ، ولكن بسبب – اللقب الذي اطلقه العرب على الملوك الفرس وهو لفظة كسرى ، وجمعه اكاسرة مثل لقب قيصر وقياصرة لملوك الروم ، كان سبب التسمية وبذلك يكون معنى ايوان كسرى ايوان الملك .

وقد بلغت المدائن العاصمة اوج عظمتها وازدهارها واتساعها على عهد كسرى انو شروان وتعرف المدائن لانها مكونة من خمس الى سبع مدن تقع على جانبي نهر دجلة لا تبتعد الواحدة عن الاخرى الا مسافة قليلة ، وترجع بداية اتخاذها كعاصمة للفرس الساسانيين الى عهد ، اردشير مؤسس الدولة ثم توالى بناء المدن المجاورة احداها بعد الاخرى على عهود الملوك الساسانيين الذين اعقبوه كما تعرف ان كسرى انوشروان بني مدينة في المنطقة ذاتها لاسرى انطاكية من الروم سميت بالرومية (رومكان) قيل انها خططت وبنيت على غرار انطاكية حتى اذا ما ادخل الاسرى الروم اليها ذهب كل منهم الى دار خاصة به وجدها في محلها وبشكلها وتقسيماتها واقدم المدن في المدائن هي طيسفون (من تيسبون الفهلوية) ثم سلوقية التي جدد بنائها وسكنتها الفرس . .

وتقع طيسفون شرق دجلة وابرز آثارها القائمة الى يومنا هذا بقايا القصر الملكي المعروف بطاق كسرى . وهو بناء مهيب شيد بالطابوق والجص قوامه ايوان مستطيل الشكل يغطيه طاق معقود بالآجر ، ارتفاع وسطه ٢٩ م وعرضه ٨٠ / ٢٥ م وطوله ٤٣ م ، فهو بهذه الابعاد يعد اكبر طاق مشيد بالآجر والجص وصل الينا من العمارة القديمة . ويحيط بالايوان من الجانبين جداران يرتفعان بارتفاعه ، يمثلان الواجهة الامامية للقصر تزينهما أقواس على شكل دخلات غير نافذة تشبه الابواب المصمتة . وكان الجانب الايمن من الجدار الامامي للايوان قائما حتى سنة ١٨٨٨ م عندما صوره احد السياح المهتمين بالآثار ، ويبدو انه سقط بعد هذا التاريخ ، بينما بقي الجدار الايسر قائمـــــا ليومنا هـــــــذا . ويمثل هذا الطـــاق مجلس الملـــــك على كرسي العرش ليتصل فيه بوزرائـــــه وموظفيـــــه ويلتقي بسفراء ووفود الدول الاجنبية وكانت جدران الايوان موشحة بالسجاد والقماش الفاخر

وبعضها كان مزينا بصور الاحداث التي تعظم الملك وتظهر قدراته ، ومنها صور بالالوان لمعركة انطاكية التي انتصر فيها الفرس على الروم ، ونقل كسرى كثيرين منهم اسكنهم مدينة خاصة بناها لهم سميت بالرومية كما اسلفنا وقد جائنا وصف بديع دقيق سطره شاعر عربي بارع هو البحتري عن ايوان كسرى . وعن صورة معركة انطاكية التي يبدو أن أقساماً منها بقيت سالمة الى زمن البحتري ، ومما يجدر ذكره عن المدائن انها اتخذت عاصمة او مدينة ملكية منذ عهد البارثيين الذى سبقوا الساسانيين في حكم ايران والعراق ويبدو انه لاسباب ستراتيجية وعسكرية ، نقل اردشير مقر حكمه من اقليم فارس الى بلاد وادى الرافدين واتخذ من المدائن عاصمة لحكم الامبراطورية الساسانية .

وبقيت هده المدينة عاصمة لهم الى ان فتحها العرب المسلمون حيث كانت على يدهم نهاية الدولة الساسانية (٦٣٧ م) وقد شهدت بلاد العرب حدثا جليلا في اواخر ايام كسرى انوشروان ذلك هو ميلاد الرسول الاعظم محمد (ص) في عام الفيل ، ويرجح ان يكون ذلك ما بين سنة ٥٧٠ — ٥٧٣ م .

الباب السادس

بدايات الضعف

الفصل الاول

بروز الزعماء العسكريين

المبحث الاول: عهد هرمز الرابع وعلاقته ببهرام

أعقب كسرى في حكم ايران ابنه هرمزد الرابع الذي تميز عهده بازالة الحيف عن الفقراء وتحامله على الاقوياء لذلك كان يستحق لقب عادل « اكثر من كسرى انوشروان ، ويبدو ان سلوكه هذا في انصاف المظلومين من عامة الشعب على حساب اهل البيوتات والاشراف جلب ضده حقد الارستقراطية الايرانية وفكروا بخلعه .

ونتبين من بعض الروايات الفارسية التي نقلها المؤرخون العرب والتي تعبر عن وجهة نظر النبلاء والاشراف الذين كما يبدو تعرضت مصالحهم ومركزهم الى الخطر نتبين منها نفي صفة العدل عن هذا الملك ، بسلوكه المعادى لهم وحماية للفقراء والمعدمين وهذا يؤكد ميل هذا الملك صوب التخفيف من وطأة الجور الذى لحق بهذه الطبقات الفقيرة من المجتمع . ومن مواقفه الحميدة منع عدوان رجال الدين الزرادشتي على المسيحين .

ويبدو ان موقف الملك هذا يستند المساعدات التي قدمها مسيحوا ايران ضد خصومه البيزنطينيين ولكن تسامحه في امور الدين جلبت عليه نقمة رجال الدين فشكلو حلفا بالتعاون مع الارستقراطية الايرانية تعمل وتستغل الفرصة للايقاع به ولكن علينا ، ابتداء من نهاية عهد كسرى انوشروان ان لا نحسب لرجال الدين حسابا كبيرا كقوة مؤثرة في الحياة السياسية والاجتماعية فقد خذل رجال الدين الزرادشتي وفقد مواقعه القوية بسبب تنشيط حركة العلم والفلسفة على عهد كسرى انوشروان ، وهذا ما اشرنا اليه سابقا ، وهكذا فقد رجال الدين مكانتهم السابقة ولم يسترجعوها حتى نهاية عهد الدولة الساسانية .

ونذكر آخر حرب بين الفرس والروم على عهد كسرى وهي الحرب التي انتهت بمفاوضات مات خلالها كسرى انوشروان فلم يشجع هرمزد على نجاح المفاوضات لانه ادرك انها تجرى دون تكافؤ بسبب انتصار البيزنطيين الاخير في معركة سنجار على والده .

المبحث الثاني : نجاح حركة بهرام وتتويج كسرى أبرويز

وفي عهد هرمزد الرابع لمع نجم قائد عسكري من اسرة نبيلة يدعى بهرام ولقبه (جوبين) (الرجل الخشبي) وكان فارسا مغوارا اكتسب شهرة عظيمة بسبب انتصاراته العسكرية على الهون في الشمال والترك في الشرق وكان محبوبا من جنوده كما يسمح له نسبه النبيل ليطمح بالوصول الى اعلى المراتب في الدولة . ولكن بهرام هذا مني بالهزيمة امام البيزنطيين فعزله هرمزد عن قيادة الجيش . فكان امر لم يرضاه بهرام ولا الارستقراطية الايرانية التي تسنده ، فاعلن الثورة ضد الملك ونال في عمله هذا تأييد جنوده وكثير من النبلاء . ويروى ان بهرام سك نقودا باسم كسرى ابرويز ابن هرمزد ووزعها في المدائن ليزيد من بلبلة الاوضاع وليهيىء الاجواء لتنفيذ مخططه الذى كشف عنه بسرعة وهو الاستيلاء على السلطة فاستغلت الارستقراطية التي ضمرت الحقد والكراهية لهذا الملك الفرصة والقت القبض عليه وسجنته ثم سملت عينيه ونادت بابنه كسرى ابرويز ملكا على ايران (برويز – المظفر) فتوج كسرى الثاني سنة ٥٩٠ م وقتل هرمزد بعد ذلك بقليل .

ولكن بهرام لم يكن يريد هذه النتيجة ، فواصل زحفه على المدائن متذرعا بحجة حماية الملك هرمزد والعمل لعودته لعرش ايران ولقتل كسرى ابرويز وعندما شارفت جيوش بهرام على اسوار المدائن ، فركسرى من العاصمة لمعرفته الاكيدة بانه لا قبل له بصد بهرام وجنده ، وذهب الى البيزنطينيين طالبا العون من امبراطورها موريق . وعند ها فوجىء الناس بتجرأ بهرام وطلب العرش لنفسه مدعيا بكونه من اسرة الاشكانيين (وهي الاسرة الحاكمة على عهد الدولة الفرثية) فوضع التاج على رأسه وسك نقودا باسمه . فانقسم النبلاء الى فريقين ، وهاجر بعض المعارضين الى اذربيجان .

واجتمع في اذربيجان تدريجيا كافة المعارضين لحكم بهرام القصير الاجل ، وخاصة النبلاء الذين اعترضو على رجل من طبقتهم ارتقاء العرش ، بينما العرش محصور في عائلة خاصة تستمد بعض خصائصها من الرعاية الآلهيه لاهورامزدا ، وهكذا كان موقف معظم رجال الدين . .

المبحث الثالث : نجاح كسرى في أستعادة العرش

وقبل الامبراطور موريق مساعدة كسرى وامده بجيش اخذه الى اذربيجان فاجتمع حوله مؤيدوه في نفس الوقت الذي اخذ مزيدا من النبلاء يتخلون عن بهرام واخيرا نجح كسرى في استعادة عرشه وانهزم بهرام والتجأ الى بلاط ملك الترك ثم قتل من بعد ذلك بقليل ولكسرى بد

في قتله ، بقي الحذر الشديد يحيط بالعلاقة بين الملك كسرى الثاني والعظماء من ناحية ورجال الدين من ناحية اخرى ، فالعظماء هم الذين خلعوا اباه وقتلوه ، ولهم الفضل الكبير في اعادته للعرش . لذلك بدأ بتصفية حسبيه معهم خوفا من تفاقم خطرهم فبدأ بخاليه اللذان ساهما بخلع أبيه وقتله ، فقتل احدهم بعلل واهية تذرع بها مما تسبب في ثورة الثاني في اقليم خراسان فلاقى نفس المصير المحتوم ايضا ..

اما رجال الدين فكانوا حذرين بسبب أفكار الملك المتفتحة وعدم تعصبه للدين الزرادشتي وربما كان لبقائه في بلاد البيزنطيين عدة سنوات سبب في ذلك كما كان لزوجته النصرانية شيرين أثر لا يستهان به موقفه الديني . ولكن كما اشرنا فيما سبق فان رجال الدين فقدوا قدرتهم على المبادرة ومسك زمام الامور .

المبحث الرابع : الحروب بين الفرس والبيزنطيين

وقد استغل كسرى مقتل الامبراطور البيزنطي موريق ذريعة لشن الحرب على بيزنطة ،فنجح الجيش الفارسي في غزو الرها وانطاكية ودمشق وبيت المقدس ، وبلغ الجيش الفارسي غزة والاسكندرية وبذلك تحققت للدولة الساسانية ولاول مرة حدود لم تبلغها الا على عهد الاخمينيين وفي صحوة موت حقيقية نجح كسرى ابرويز ببناء دولة مترامية الأطراف شملت بلاد الترك في الشرق ومناطق شمال الهند جنوبا والى الاسكندرية غربا حتى بلغ الجيش الساساني ابواب القسطنطينية.

ولكن الامبراطور البيزنطي هرقل نجح في ايقاف زحف الجيش الفارسي ثم حول الحرب عليهم ، فطردوا من آسية الصغرى واذربيجان وأرمينية وتقدم هرقل الى ما بين النهرين ونجح في محاصرة المدائن التي هرب منها ملكها الجبان ليأمن على حياته وفي الوقت نفسه رفض عرض الصلح الذي تقدم به هرقل ولم يمكث في المدائن زمنا طويلا بل تركها في حالة اضطراب عظيم بسبب تقدم الجيش البيزنطي واستمرار حرب لا طائل للفرس بها ، وذهب الى احدى مدن المدائن القريبة وبه اردشير (سلوقية) وأقام مع عشيقته شيرين ، فتسبب موقفه هذا في نقمة قادة الجيش واعلان الثورة علية ، ونقل رغما عنه الى المدائن ليبت في امر وراثة العرش ، وخلقت هذه النقطة من جديد خلافا بين اولاده ، ونجح اخيرا احدهم المدعو قباد والملقب بشيريه ، بعد ان تحالف مع بعض النبلاء والاشراف ، وفاوض هرقل على شروط للصلح فتوج ملكا على ايران وقتل في اثناء هذه الحوادث كسرى ابرويز نفسه .

وهكذا اختفى من على مسرح الاحداث رجل نال من والشهرة والعظمة اكثر مما يستحق وقبل ان نطوي صفحة من تاريخ الساسانيين على عهد كسرى الثاني الثاني ابرويز ، يجدر بنا الالتفات

ما خلفه عهد هذا الملك فهو على الرغم من كونه مرحلة جوفاء في حقيقتها لكن مظاهرها الخارجية تشير الى كثير من جوانب التراث الايراني التي حفظت لنا من ايام كسرى الثاني .

فقد نجح كسرى في تجميع ثروات وكنوز كبيرة بسبب نجاح حملاته العسكريه الاولى كما اسلفنا وتحول حب المال تدريجيا في نفس الملك الى جشع غريب ادى به الى سلوك شتى سبل لتكنيزها فزاد في بؤس وافقار الشعب وكان لا يتورع من ارتكاب ابشع الاعمال ضد اقرب الناس اليه طمعا في ماله او للشك فيه . كما لم يدم تعاطفه مع المسيحيين حيث انقلب ضدهم اثناء حربه مع هرقل .

ان هذه الاموال الطائلة التي جمعها كسرى في خزانته لم ينفقها في الشؤون ذات النفع العام وانما صرفها على تطمين رغباته وحياة البذخ واللهو التي عاشها . فقد صرف على بناء قصوره بشكل خيالي ومنها قصره دستكرد (دستجرد) وقصر شيرين الذي يروى انه شيده لعشيقته شيرين وتعكس لنا الاعمال الفنية والعمارية المنحوته على الحجر في طاق بستان الاموال والجهود العظيمة التي صرفت من اجل ذلك وتحفظ لنا الروايات الفارسية والعربية الشيئ الكثير من نفائس هذا الملك التي توضح اسرافه الكبير ، منها الشطرنج المنحوت من الياقوت الاحمر والزمرد ، وتاج الملك وحده يشير الى ذلك البذخ ففيه ستون منا من الذهب الابريز وكان موضعا باللآلي التي تحاكي بيض العصافير واليواقيت الرومانية التي تضيئ منها الظلام وكان يعلق في الايوان بسلسلة ذهبية ذراعها سبعون ذراعا ومثل ذلك سرير العرش واثاثه وملابسه والسجاجيد التي كانت من الحرير الموشى بالذهب ، ويبدوا ان كثيرا من هذه المواد القريبة في عهدها من الاسلام شاهدها المسلمون ودهشوا لها فجاء وصفها تفصيلا

اما الحيرة فقد ضعف شأنها بعد زوال حكم المناذرة ، واهلها معظمهم من العرب النصارى الذين لم يقاوموا خالد بن الوليد عندما قدم لفتح العراق . واخذ الاندثار يدب فيها تدريجيا بعد انشاء الكوفة ، ولكنها بقيت مدينة معروفة حتى زمن العباسيين . وتقع اطلالها على نحو ١٠كم جنوب غرب الكوفة .

ومن الامور الجديرة بالذكر ان الرسول (ص) بعث في سنة هجرته السادسة بكتاب الى كسرى ابرويز يدعوه فيه للاسلام كما بعث الى العديد من عماله العرب في اطراف العراق وادناه نص كتاب رسول الله (ص) .

بسم الله الرحمن الرحيم

من رسول الله الى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد ان لا اله الا الله وان محمد عبده ورسوله واني ادعوك بدعاء الله واني رسول الله الى الناس كافة لانذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين فاسلم تسلم وان توليت فانما اثم المجوس عليك .

قيل فلما قرأ كسرى الكتاب مزقه ورمى به الى الارض ورفض الدعوة ، ولما بلغ النبي هذا الخبر قال بان الله سيمزق ملك كسرى كما مزق كتابنا .

ولكن دعوات الرسول الى بعض عمال كسرى لاقت نجاحا وتأييدا ، واولهم المنذر بن ساوى عامل كسرى على البحرين ، ويبدو ان معظم القبائل العربية تعاطفت مع الدعوة الاسلامية حتى لو لم تعتنق الاسلام بسبب كون دعامتها عرب اولا وبسبب الخلاف الكبير الذي دب مؤخرا بين الساسانيين وبين العرب وبخاصة المناذرة الشيبانيون كما اصاب العرب الخاضعين لحكم الفرس الكثير من الجور والظلم والابتزاز الذي تعرض له المجتمع الايراني على ايدي حكامه في اواخر ايام الدولة ، لذلك نشدوا الخلاص عن طريق الدعوة الاسلامية .

الفصل الثاني

المناذرة والساسانيون

وربما كان من نتائج جشع كسرى وحبه للمال ان اصطدام بقوة العرب في الحيرة وهم العرب الموالون للساسانيين ، فكان ذلك اول اصطدام حقيقي بين العرب والفرس ، كما كانت نتيجته ستة مؤشرا له دلالاته بالنسبة لمستقبل الدولة الفارسية.

المبحث الاول : (المناذرة وعلاقتهم بالساسانيين)

وترجع علاقة العرب بالفرس الى اواخر ايام الفرثيين ، حيث نجحت بعض القبائل العربية من تعزيز مواقعها في الاقسام الغربية من نهر الفرات مع ازدياد ضعف الدولة الفرثية ومن هذه القبائل التنوخيون • فعمد زعماؤهم الى التعاون مع زعماء الساسانيين ، وقد ادرك الساسانيون الفوائد المرجوة من تحالف هذه القبائل المتاخمة لحدودهم الغربية ، فاعترفوا بسلطانها على المنطقة ، بينما وقفت قبائل اخرى من التنوخيين موقفا معاديا الساسانيين ومنهم قضاعة ، فشدد الفرس عليهم مما اضطرهم للهجرة الى اطراف الشام .

وآل امر عرب العراق الى عمر بن عدى الذى يعد مؤسس اسرة آل لخم اوآل نصر التي ينحدر منها ملوك المناذره وسار على سياسة سلفه في التعاون مع الساسانيين ، واتخذ الحيرة مقرا لزعامته وقد تحولت الحيرة الى عاصمة المناذرة منذ ذلك الحين ولموقع الحيرة اهمية تجارية وستراتيجية كبيرة نظرا لوقوعها على نهر الفرات وعلى اطراف الصحراء وبذلك مسكت بزمام الخطوط التجارية و البرية والمائية وكان المناذرة يسعون لمد نفوذهم على القبائل العربية ويتلقون العون والدعم في عملهم ذلك من البلاط الساساني ، وبلغت العلاقات بين الحيرة والساسانيين اوج قوتها على عهد ملك الحيرة النعمان بن أمرئ القيس حيث كانت كتيبة من الفرسان الفرس ترابط في معسكره وتساند حملاته وغزواته • وينسب الى هذا الملك بناء الخورنق • وبلغت الصلات أشدها عندما دفع الملك الساساني يزدجرد (ابنه بهرام (كور) ليتربى ولينشأ في رعاية النعمان (او ابنه المنذر بن النعمان على رواية الطبرى) وابرز حدث من ايام بهرام انه وصل الى العرش بحماية ودعم المناذرة وهذا يعكس لنا مدى القوة التي بلغتها الحيرة بحيث قابلتها الارستقراطية الايرانية بالخضوع والاذعان وسلمت الامر الى بهرام •

وكانت الديانة النصرانية سريعة الانتشار في اقليم الجزيرة بين بعض القبائل العربية

كذلك قوى نفوذها في الحيرة ويروى ان المنذر بن ماء السماء نفسه تنتصر وكانت زوجته هند نصرانية .
ويبدو ان انتشار النصرانية في الحيرة لم يضير الساسانيين في اواخر عهد كسرى أنوشروان ، خاصة ونحن علمنا بعض الشيء عن تفتح ذهنية هذا الملك ومنحه الحرية الدينية وتشجيعه لحركة العلم والفلسفة كما سبق الاشارة الى ذلك عند الحديث عن عهد كسرى أنوشروان .

ونذكر من امراء الحيرة المشهورين ابو قابوس النعمان بن المنذر الذي صادفت ايام ولادته على الحيرة حكم كسرى الثاني ابرويز ونتبين من بعض القصائد لمشاهير شعراء العرب كالذبياني والمنخل اليشكري وطرفة بن العبد وكانوا من رواد بلاط النعمان والمقربين اليه وهي القصائد التي قالوها في مدح النعمان مدى عظمة بلاطه وثرائه وسعة نفوذه الذي بلغ منطقة طيء والبحرين . ولكن العلاقة بين النعمان وبين كسرى ساءت الى حد بعيد ، لاسباب يختلف المؤرخون في سردها ، منها ان النعمان رفض مصاحبة كسرى عندما فر من المدائن الى بلاد الروم اثر هجوم بهرام عليه كما رفض تزويجه من احدى بناته ويبدو ان لبعض زعماء طيء ، وبينهم وبين المناذرة عداوة سابقة بسبب احتلال مقاطعتهم من قبل النعمان ، كان لهؤلاء يد في الخلاف بين النعمان وكسرى ، خاصة اذا ما عرفنا النتيجة وهي عزل النعمان وتولية أياس بن قبيصة بن طيء واليا على الحيرة ، وربما يكون لنزوات الملك وحبه في جمع الاموال ومعرفته بثراء بلاط النعمان سببا وراء الخلاف الذي تذرع به كسرى فطلب – حضور النعمان امامه ، فاضطر النعمان الى ايداع امواله وسلاحه واهله عند هانيء بن مسعود الشيباني خوفا عليها من حقد كسرى فلما وصل المدائن امر كسرى بسجنه تعيين أياس بن قبيصة من طيْ بدله ، وكان ذلك الحدث اي سجن النعمان ووفاته بالسجن نقل الحكم من المناذرة في الحيرة اشارة الى زوال ملكهم ، فكان ذلك بمثابة زوال الحاجز الذي حمى الدولة الساسانية في قرون حكمها ، حيث واجهت العرب بعد ذلك وجها لوجه واصبحت يد العرب طليقة في الحدود والاراضي الساسانية في العراق .

ويروي ان كسرى ابرويز بعث الى هانئ يطلب منه تسليم ما ائتمنه عليه النعمان فرفض هانئ وتوقع الحرب واستعد لها ، وبشكل ذلك اول تحدي علني من قبل العرب لقوة الدولة الساسانية وينجح العرب على الرغم من عددهم القليل من انزال ضربة موجعة بالجيش الساساني في معركة ذي قار (وهو موضع ماء ينزله بنو شيبان في اطراف بادية الحيرة) وخرج منها العرب ظافرين فزاد من تعزيز الثقة في نفوسهم فتجرأت قبائل اخرى للهجوم على بلاد الساسانيين .

وكانت حرب ذي قار امتحانا عسيرا اذاقت الفرس المهانة ، مقابل اعتبارها حربا استطلاعية ومقدمة للفتوحات الاسلامية ، ولاهمية هذه الحرب يروى ان الرسول قال عنها عندما سمع باخبارها « وهذا يوم انتصف به العرب من العجم » .

الفصل الثالث

بروز القائد شهريراز

المبحث الأول : بروز القائد شهريراز

تميز عهد كسرى على الرغم من مساوئه وعلاقات الضعف البادية عليه ، ببعض مظاهر العظمة والقوة السابقتين . كما انه استطاع الى حد ما تخفيض وطأة الارستقراطية الايرانية ، ولو انه لم ينجح الى حد النهاية ، حيث افلح العظماء والنبلاء في الثورة عليه وسجنه وقتله ونصبوا قباذ الثاني المعروف باسم شيرويه بدلا عنه . ولكن حدث موت كسرى الثاني زعزع ثقة الناس بالاسرة الحاكمة واطلق العنان للمغامرين واصحاب المطامع . ومما زاد في تفاقم الاوضاع وتدهورها السريع ، انه لم يستلم السلطة رجل قدير يستطيع تفادى السقوط او تأجيله .

وقد عمد شيرويه الى فتح ابواب السجن الرهيب « قلعة النسيان » فاطلق سراح من فيه رغبة منه في التقرب الى الناس ، ولكنه من جانب آخر قتل جميع اخوته خوفا من تآمرهم عليه في المستقبل بحجة مقتل ابيهم ولكن حكمه لم يستغرق وقتا طويلا فقد مات مسموما بعد ستة شهور . ومما يجدر التنويه به ان وباء الطاعون اجتاح البلاد في عهده وزاد من تفاقم الاوضاع وسوئها .

فنصب ابنه الصغير اردشير الثالث ملكا على عرش ايران ، وبسبب صغر سنه اوصوا بحضانته لموظف كبير ليدير شؤون الدولة بدله الى ان يكبر . ولكن احد القادة العسكريين ، وكان لامعا في عهد كسرى برويز واسمه شهربراز (شهريار) فسار الى المدائن يؤازره بعض عظماء المملكة فقتل الملك الصغير ونصب نفسه ملكا على البلاد اسوة ببهرام جوبين وبسطام فيما قبل ولأنه ليس من افراد الاسرة الحاكمة فعارض فعلته بعض عظماء المملكة وعلى رأسهم زعماء اصطخر فنجحوا في قتله بعد ان حكم اقل من سنة وبويع بالعرش لكسرى الثالث ولكنه قتل قبل حفل التتويج فتوجت بوران ابنة كسرى برويز على عرش ايران .

وذلك لعدم وجود ذكر من ابناء برويز بسبب قتلهم جميعا على يد شيرويه . وكانت هذه الاحداث ايذانا بضعف امر الفرس ووهن سلطانهم - وشاع في الارض ان الدولة بدون ملك فشجع ذلك بعض القبائل العربية الغربية ، فخرج رجلان من بكر بن وائل احدهما المثنى بن حارثة الشيباني والآخر سويد بن قطبة العجلي ، واخذا بالاغارة على الدهاقين ، وكان المثنى

يغير من ناحية الحيرة وسويد من ناحية الأبلة (جنوب البصرة بقليل) وكان ذلك على ايام خلافة ابو بكر ويروى ان المثنى كتب الى ابي بكر يعلمه بوضع الفرس واضطراب امرهم وسأله ان يمده بالجيش .

اما الوضع في المدائن ، فقد اعقبت أزر ميدخت اختها بوران على عرش ايران ولم تحكم غير بضعة شهور لان قائد خراسان سار صوب المدائن متحايلا على الملكة بحجة خطبتها يريد من وراء ذلك الاستيلاء على العرش ، ولم تستطع الملكة رفض طلبه صراحة لقوته ، لكنها تحايلت عليه وقتلته ، وعندها تحرك القائد رستم ابن المقتول صوب المدائن واستولى على العاصمة وعزل الملكة وسمل عينيها .

بلغ من سوء وضع الملوك وقصر مدة حكمهم ونهاياتهم المؤلمة اننا لا نعرف عنهم احيانا سوى اسمائهم ، كما يبدو ان حكمهم لم يكن شاملا لجميع البلاد بل في اقسام منها ، لذلك تولى عرش ايران في ظرف اربع سنوات حوالي عشرة ملوك .حتى اصبح افراد البيت المالك يهربون الى المناطق النائية ويختفون عن اعين الناس حتى لا يطلبون للجلوس على العرش لانه تحول الى كرسي موت للجالسين عليه .

واخيرا عثر في اصطخر على الامير يزدجر بن شهريار بن كسرى ، وكان يعيش مختفيا في اصطخر مسقط رأس العائلة المالكة الساسانية ، فبايعه عظماء اصطخر وتوجوه في بيت نار اردشير في اصطخر وتوجهوا به صوب المدائن واجلسوه على العرش وكان يسانده في ذلك احد اكبر عظماء عصره رستم وهكذا بدأ حكم آخر ملك ساساني وهو يزدجرد الثالث الذي ورث كيانا مهزوزا اخذ بالانهيار ، فواجه هذا الملك بشجاعة نادرة لا الاوضاع السيئة في الداخل فحسب وانما غارات منظمة قوية لقوم يوحدهم الايمان بدينهم ويزيد من اندفاعهم الرغبة في نشره .

اصبحت الامبراطورية الساسانية في اواخر ايامها دولة بالاسم فقط وانما الواقع كانت مجموعة من الولايات يحكمها امراء مستقلون بعضهم عن بعض وعن السلطة المركزية ومما زاد في الطين بله ان النظام العسكري الذي ابتدعه كسرى أنوشروان وقسم فيه منصب القائد العسكري العام الى اربعة اقسام ، حول هؤلاء القادة بمرور الزمن الى حكام لا يقلون خطورة في بعض الاحيان عن الملك ، كما زادت محاولات البعض منهم للسيطرة على العرش .

، عند الفتوح الاسلامية كانت تسع عشرة ولاية لها ولاتها يلمستقلون ولهم القابهم الخاصة ومنها ولايات هامة في الدولة الايرانية مثل سمرقند وخوارزم وهراة والطالقان وكابل وطخارستان وغيرها ، وهذه من دون شك اشارة واضحة الى تفكك الدولة وضعفها وليس ذلك فحسب ، بل ان استقلال هذه المقاطعات قلص من واردات الدولة المالية وقدراتها العسكرية بالاضافة الى بث روح الفرقة

ومحاولات الاستئثار بالحكم على حساب الآخرين ويبدو ان العرب المسلمين كانوا مطلعين على مجريات الامور الداخلية في الدولة الساسانية فوجه الخلفاء الراشدون جل اهتمامهم صوب بلاد فارس وممتلكاتها .

المبحث الثالث : معارك التحرير

ولنا في رسالة المثنى بن حارثة الى ابي بكر دلالة على ذلك . فكتب ابو بكر لخالد بن الوليد ان يسير الى الحيرة لمحاربة الفرس وان يضم اليه المثنى ومن معه ، ثم ابدل خالد بقائد آخر بقي والمثنى بن حارثة يغيران على ارض السواد ويحدثان – المزيد من الفوضى والارتباك في صفوف الفرس .

وكان الاصطدام العسكري الواسع بين الطرفين على عهد الخليفة عمر عندما بعث اليهم بالرجال بقيادة ابي عبيد بن مسعود الذي قتل في موقعة الجسر على نهر الفرات وقتل كثير غيره من المسلمين ، وتشير المصادر العربية الى ان الحارثة اشار على ابي عبيدة بعدم عبور الجسر فلم يعتر كلامه انتباها ، فحوصروا وقتل منهم كثيرون ، ولكن المثنى استلم راية المسلمين بعد مقتل ابي عبيدة ونجح في صد الفرس و مكن المسلمين من عبور الجسر والابتعاد في البراري .

فعقد عمر الراية لجرير بن عبدالله البجلي ، وانظم اليه المثنى ايضا ، فقربوا الحيرة واكثروا من غاراتهم وكان ذلك على عهد الملكة بوران التي ارسلت ضدهم جيشا واجه صمودا واستبسالا عظيما انكسر على اثره وانسحب الى المدائن ، فزادت نتائج هذه المعركة من معنويات العرب كثيرا ، فكثرت غاراتهم على السواد وشتتوا كثيرا من مسالح (تحصينات الحدود) الفرس .

كذلك بعث عمر بن الخطاب بالمساعدات من الرجال الى سويد بن قطبة البجلي وكان على رأسهم عتبة بن غزوان فنجحوا في فتح الأبلة ، فكتب الى عمر « اما بعد فان الله وله الحمد فتح علينا الأبلة ، وهي مرتقى سفن البحر من عمان والبحرين وفارس والهند والصين واغنمنا ذهبهم وفضتهم وذراريهم وأنا كاتب اليك ببيان ذلك ان شاءالله ثم توالت بعد ذلك انتصارات المسلمين على المدن الجنوبية من البصرة الى حدود واسط وكثرت وفود المسلمين الى هذه المناطق فزاد عددهم وقوى نفوذهم ، فارسل عمر ابا موسى الاشعري الى البصرة ليتخذها مقرا للمسلمين ويخطها ويبني المسجد فيها .

وهكذا تحول خطر العرب هذه المرة الى اكثر من اغارات على تخوم الامبراطورية لغرض الكسب الرخيص كما اعتقد واعتاد الفرس على مثل ذلك من قبل ، بل كانت هذه المعارك بداية لهجوم كاسح اطاح بالدولة الساسانية .

فلما استفحل امر العرب وتوالت انتصاراتهم وكثر تعرضهم للفرس والمدن والتحصينات جيش يزدجرد جيشا عظيما عقد لواءه للقائد المحنك رستم . وسار رستم بجيشه صوب القادسية على مقربة

من الحيرة ، وعندما بلغ خبر سير رستم الى عمر ، سير الى العراق سعد بن ابي وقاص على رأس (٢٠) الف محارب فسار بهم سعد حتى وافى القادسية وتقابل الجيشان دون التحام يجوس احدهم معسكر الآخر لمعرفة اسراره وعدته . ووافت سعدا وهو في القادسية نجدات من الشام وغيرها وفيهم صناديد العرب فنشب القتال ونشبت معركة ضروس دامت ثلاثة ايام كان النصر النهائي فيها حليف المسلمين وقتل القائد رستم وانهزمت فلول الجيش الفارسي لائذة الى المدائن . فكان وقع هـذا الانتصار عظيما على الطرفين ، فقد زاد من معنويات المسلمين وشجع كثيرا من القبائل العربية للانضواء تحت لوائهم . بينما كانت الضربة خيبة امل كبيرة للفرس و خاصة بعد مقتل رستم احد اكبر رجالاتهم .

يمكننا اعتماد معركة القادسية فاتحة سلسلة من المعارك اللاحقة التي شكلت سلسلة من الانتصارات العربية التي او صلت النصر المحقق للمسلمين .

المبحث الرابع : دخول المدائن :

سار سعد على رأس جيشه الممتلىء زهواً واقداما اثر انتصاره في القادسية صوب المدائن وكان في ذلك ينفذ امر الخليفة عمر ، وكان سيره للمدائن يمثل خطة عسكرية موفقة ، حيث تمثل بالمفهوم العسكري مرحلة استثمار النصر دون ان يتركوا للعدو فرصة تجميع قواه والاستعداد للمواجهة .

و عندما اطبق المسلمون على المدائن طلب يزدجرد التفاوض ، فارسل سعد اليه وفدا برئاسة المغيرة بن شعبة فاستقبلهم يزدجرد بخطاب فيه كل معاني الخيلاء والضعف في آن واحد ووعدهم بالمال ان هم رجعوا عن حربهم ، ولكن شروط المسلمين كانت حاسمة فخيروا الفرس في واحد من ثلاثة طرق اما الاسلام او الجزية او الحرب فرفض يزدجرد وانفض الوفد الاسلامي الى معسكرهم يستعدون للقتال . ولما شعر يزدجرد بعزم العرب على مهاجمته وتحركهم فعلا صوب مدينة وبه – اردشير سلوقية ومحاصرتها واحتلالها وكان ذلك في سنة ٦٣٧ م (١٦ هـ) ترك الملك عاصمته هرب آخذا معه ما خف من امتعة واموال .

كان هرب يزدجرد مشجعا للعرب لعبور دجلة على خيلهم ودخل سعد العاصمة شبه المهجورة دون مقاومة تذكر ، فدخل الى القصر ومنازل كسرى وهاله ما وجد فيها من متاع ورياش اثاث و نفائس لم يستطع يزدجرد ان يأخذها معه .

وسارع سعد بارسال قوات تلاحق فلول الجيش المنهزم بعد ان بلغته اخبار تجمعهم في جلولاء ، فانزل المسلمون ضربة موجعة بالجيش الساساني المتجمع في جلولاء فقتل منهم كثيرون ولاذ بالفرار من بقي على قيد الحياه ملتحقا بملكه الذي ذهب الى جهات ارمينيا يجمع جيشا انحاء ايران يحاول بواسطته استرجاع عرشه .

كانت محاولات يزدجرد كيضرب في الصخر ، وعلى الرغم من تنبه الولاة والامراء والنبلاء للخطر المحدق بهم ، ولكن عوامل الفرقة والتشتيت التي اطنبت في اواخر ايام الدولة الساسانية حالت دون نجاحهم في الوقوف صفا واحدا . وعلى الرغم من ذلك فيقدر عدد الجنود الذين جيشهم يزدجرد لمواجهة العرب بحوالي (١٥٠) الف رجل وجمعهم في سهل نهاوند في ايران ، كذلك استعد المسلمون لهذه المعركة ، واسند عمر قيادة الجيش الى النعمان بن مكران ، وبعد شهرين من الاستعدادات في عام ٦٤٢ م – (٢٢ هـ) شهد سهل نهاوند معركة ضارية حامية الوطيس استبسل فيها الطرفان ، ولكن الفرس انخذلوا فيها امام قوة العرب وصمودهم وشجاعتهم تسندهم في مواقفهم هذه المعنويات العالية التي اكتسبوها من منازلة الفرس في المعارك السابقة والانتصار عليهم ، فقتل قائد الفرس ، وترك يزدجرد امر الجيش والدولة ليدافع عنها حكام الاقاليم المرازبة والولاة المحليين ، وقد صمد بعضهم بوجه العرب ولكن دون طائل ، ففتحت اقاليم همدان والري واذربيجان وأرمينية وهرب يزدجرد الى جهات الشرق مختفيا فيها ، ولكنه اغتيل بالقرب من مروعام ٦٥١ م (٣١ هـ) وعند هذا التاريخ تنتهي قصة الامبراطورية الساسانية الذي دام حكمها نيفا واربعة قرون (٢٢٦ – ٦٥١) .

ومن هذا التاريخ ايضا اصبحت ايران بمعظم اقسامها تابعة للدولة الاسلامية فهاجرت الى بعض جهاتها قبائل عربية وبنيت فيها بعض المدن ، واصبحت قاعدة للاسلام منذ ذلك الحين .

الباب السابع

بعض جوانب المدنية الايرانية على عهد الساسانيين

الفصل الاول

المجتمع الايراني على عهد الساسانيين

المبحث الاول طبقات المجتمع

ينقسم المجتمع الايراني منذ فترات تاريخه القديم الى عظماء وعامة او بمعنى حديث سادة وعبيد . وكان العظماء او السادة يتوزعون في سبع اسر ممتازة على رأسها عائلة الساسانيين الحاكمة ، وبالتالي كانت الوظائف الرئيسية الكبرى يتوزعها ابناء هذه العوائل السبع . فمنهم الملك ورجال الدين وقادة الجيش وحكام الولايات والكتاب وكان زعماء هذه الاسر متساوين للملك في الاصل ولهم حق لبس التاج ولكن بحجم اصغر من تاج الملك . كما ان الوظائف كانت محصورة بنظام شبه وراثي في هذه الاسر .

وكانت هذه العوائل تتوارث امتيازاتها منذ ايام الفرثيين وقد اقر النظام الجديد للدولة الساسانية لها بهذه الامتيازات . وحدث ان تجاوز الملك بعض هذه الامتيازات كما حدث على عهد كسرى انو شروان الذي فرق مركز القائد العام الى اربعة قيادات ولكن امتيازات الاسرة الحاكمة كانت مصونة بهالة دينية . لذلك فشل اقوى العظماء من ارتقاء العرش مثل بهرام جوبين .

ولم تكن وظائف الدولة الرئيسية محصورة بين افراد هذه الاسرة وانما كانت معظم الاراضي الايرانية موزعة فيما بينهم ، كما كان الملك باعتباره رئيس الاسرة الاولى منهم يمتلك حدودا واسعة لا نعرفها من الاراضي والممتلكات التي تستثمر لصالحه . وبسبب البناء السياسي الجديد للدولة الساسانية فقد كان زعماء هذه العوائل خاضعين الى سلطة الدولة المركزية سواء في الخراج او الجزية وباداء الخدمة العسكرية وعلى الرغم من بقاء بعض الامتيازات الاجتماعية محصورة في ايدي ابناء هذه العوائل لكن ما اصاب هذه الاسر التي تمثل الطبقات العليا في المجتمع الايراني من ضعف وخسارة لكثير من مواقعها بفعل انتشار افكار الديانتين المانوية والمزدكية . افاد بعض حكام ايران مثل قباذ وكسرى الاول انو شروان بتخليص الدولة من التزاماتها ازائهم بخصوص الوظائف الحساسة ، حيث كانت مصلحة الدولة وسلطتها المركزية تتنافى مع الاسلوب الوراثي القديم .

ويمكننا أستناداً الى المصادر المتوفرة ومنها كتاب الآقستا والمصادر العربية أن نقسم المجتمع الايرانـــي الى الطبقات التالية : —

١ ـ فئة رجال الدين وعلى رأسهم الموبذان موبذ وهوكاهن الدولة الاعلى للدين الزرادستي وقاضي القضـــاة .

٢ ـ فئة رجال الحرب وعلى رأسهم ايران سباهبذ وهو القائد الاعلى للجيش في ايران والذين اصبحومنذ عهد كسرى انوشروان اربعة قادة كل واحد منهم على قسم من انحاء الامبراطورية. وكان معظم القادة العسكريين البارزين من الاسر النبيلة الكبيرة والتي منها الاسر السبع الممتازة التي على رأسها اسرة الساسانيين وكانوا يعرفون تحت اسم « واسبوران » (الزعماء) .

٣ ـ فئة الكتاب وعلى رأسهم كبيرهم دبيربد .

٤ ـ فئة ازاد هان : الاحرار او العامة وتشمل الفلاحين والحرفيين كما ينضوى تحت لواء هذه الفئة بعض صغار النبلاء الذين ينتشرون في انحاء الامبراطورية ويشغلون الوظائف المختلفة في ادارات الاقاليم .

لكن هذا التقسيم يمكن حصره في حدود طبقتين رئيسيتين مع الاعتراف بوجود تمايـــز في الحقوق والامتيازات لكل منهما ، وهي الطبقة العليا وتشمل العظماء والاشراف والنبلاء الذيــن يبدأون بالملك ورؤساء الاسر السبع وكبار موظفي الدولة ، والطبقة الثانية تشمل الغالبية الساحقة من افراد المجتمع ، وتشمل الفلاحين والحرفيين والعبيد .

المبحث الثاني : التقسيمات الادارية والعسكرية :

ويكثر في المصادر العربية ذكر العظماء ويراد بهم اصحاب الوظائف العالية في الدولة والذيــن ينتمون الى الاسر السبع الممتازة او الاسر النبيلة الاخرى ومنهم كبير الوزراء (هزاربذ) او الوزير الاول وهي وظيفة انحدرت الى الساسانيين من العهد الاخميني . وهويد الملك اليمني في ادارة شؤون الدولة ومن القابه امين البلاط الملكي . وكان ينوب عن الملك عندما يكون الاخير في مهمة ، ويديـــر

المفاوضات الدبلوماسية ويستشيره الملك في كافة الشؤون . ان رجلا بهذه المكانة المهمة في الدولة يجب ان تتوفر فيه صفات المعرفة والحكمة وبعد النظر ، ومثل هذه الصفات ، اعتقد الحاكمون في ايران - انها حكر على ابناء الطبقات العليا .

وقد تاثر المسلمون بمنصب كبير الوزراء الساساني ، وكان يسمى بالوزير الذي كان له السلطان التام الذي للخليفة شريطة ان يعلم الخليفة باجراءاته . ومع ذلك فقد كانت امتيازات رئيس الوزراء محددة دون حدود امتيازات الملك ، فليس له ان يورث احدا من بعده في منصبه ولا يحق له رفض امر ملكي او تبديله . وقد اصابت اجراءات كسرى - أنو شروان مركز رئيس الوزراء ببعض التغيير صوب تقليل وتحديد صلاحياته وتحويل بعض مهامه الى غيره من موظفي البلاط . وقد كانت اجراءات كسرى جميعا تتجه نحو تحديد نفوذ الموظفين الكبار ، كرئيس الوزراء والقائد الاعلى للجيش الذين سبق لهم ان ضيقوا الخناق على الملوك حتى بلغ بهم الامر الى سلبه صلاحيات تعيين خلفه في بعض الاوقات ، ولما كانت الفرصة متاحة امام كسرى بعد احداث الدعوة المزدكية لكسر شوكة الطبقة الارستقراطية ، فبدأ بتقليم اظافرها عن طريق ممثليها في الحكم وهم فئة كبار موظفي الدولة .

ومن التقسيمات الادارية التي تحدرت الى الساسانيين من عهد الفرثيين تقسيم - المملكة الى اربعة اقسام رئيسية شرق وغرب وشمال وجنوب ، حيث وجد هذا التقسيم صدى من لدن كسرى أنو شروان ، واصبحت الاقسام تحمل اسم مرزبان ويحمل المسؤول الاداري عنها لقب شاه . كما عين الملوك الساسانيون من ابنائهم واخوانهم ملوكا على بعض الاقاليم فكان لقبهم ملك أرمينية اوملك كرمان . بينما بقي لقب سترب مقتصرا على حاكم المدينة وبعض المناطق المحيطة بها .

تعد وظيفة رجال الدين ، الوظيفة الخطرة الثانية في التسلسل الاداري للدولة الساسانية ، وينتمي هؤلاء في الاصل الى قبيلة ميدية ، وكانوا يعتبرون انفسهم موكلين دون غيرهم بخدمة الآلهة . واعتبروا انفسهم متساوون في المركز مع العائلات النبيلة الكبيرة . وغالبا ما تعاونوا مع النبلاء ضد الملك وبسبب طبيعة النظام الاوتوقراطي لايران الساسانية ، وبسبب كون الديانة الزرادشتية دين الدولة الرسمي منذ ايام اردشير ، وهو ابن بابك بن ساسان الكاهن الاعلى لبيت نار اصطخر ، لذلك كان دور طبقة رجال الدين في الحياة العامة والخاصة كبيرا وخطيرا . فيستشيرهم الملك والموظفون الكبار في كثير من الشؤون وبيدهم ايضا القضاء والاشراف على المحاكم بالاضافة الى اشرافهم على جميع الشؤون الدينية من شعائر ومراسيم . وكانوا يمثلون طبقة غنية جدا بسبب ممتلكاتهم الواسعة والغرامات الدينية التي كانوا يستحصلونها وبعض الضرائب لذلك اكتسبوا بسبب ذلك اهمية متزايدة ، كما برزت اهميتهم بسبب استقلال شؤونهم عن منأى اي جهة اخرى في الدولة .

ولهذه الفئة من المجتمع تقسيم يعتمد المراتب الكهنوتية . وبسبب كونها مرتبطة بالديانة الزرادشتية ، فلا نعرف تفاصيلها . لكنا نعرف الموبذ وهو رجل دين كل منطقة من اقسام الامبراطورية ولهم رئيس هو « الموبذان موبذ » الذي ظهر لاول مرة على عهد اردشير ، والذي يبدو ان اردشير اوجده ليلائم التنظيم السياسي الجديد للدولة . وكانت للموبذان موبذ الكلمة الفصل في كل ما يتعلق بأمور الدين وشؤونه النظرية والعملية .

اما رجال الدين الذين يتولون تنفيذ الشعائر الدينية في معابد النار الزرادشتية فعرفوا باسم الهرابذة ولهم رئيس هو الهربذان هربذ ، وكانت اهميته وشخصيته تلي شخصية الموبذان موبذ . ومن الامور الهامة التي كانت باشراف رجال الدين هي شؤون التعليم والتوجيه الاخلاقي للشعب ، ولهم وحدهم الحق في تداول علوم ذلك العصر .

يلي رجال الدين في المرتبة الاجتماعية والوظيفية ، رجالات الجيش او ما يسمون – بطبقة رجال الحرب ، وكان قادة الجيش وقائدهم الاعلى من الطبقات العليا في المجتمع الايراني وكانت زعامة الجيش في يد واحدة الى ان تولى كسرى أنوشروان امر تقسيمها الى اربع قيادات ، ويبدو انه قصد من وراء ذلك تقليل اهمية وخطورة القائد الاعلى بالنسبة الى السلطة ، واذا نجح كسرى في اجرائه هذا الى بعض الوقت فاننا نعرف من مطالعتنا السابقة لاحداث التاريخ الساساني ، كيف حول هؤلاء القادة العسكريون الى خطر محدق بالسلطان نفسه .

وكان القائد العسكري العام ضمن مستشاري الملك ، ولكن بسبب خطورة مركزه وخاصة في اوقات الحرب ، لذلك نجد تدخلا من كبير الوزراء او من الملك نفسه في شؤون القيادة العليا للجيش ومن الوظائف العليا في الجيش ايضا وظيفة المرزبان الذي نعرفه من أواخر الدولة الساسانية الحاكم العسكري والاداري لبعض الولايات ومن الوظائف العسكرية رئيس الحرس الملكي ، وكانت تتبعه فرق من المشاة على شكل شرطة وجلادين يضعهم تحت تصرف موظفي الاقاليم .

ويجدر بنا ونحن نتحدث عن قادة الجيش في السلم الاجتماعي ان نتحدث ايضا عن الجيش الايراني ووحداته ونظامه الحربي وسلاحه .

كان النظام العسكري الذي ورثه الساسانيون من الاشكانيين الفرثيين يعتمد على وحدات من الجند تتبع حكام الاقاليم ، حيث كانوا يستنفرون اثناء الخطر او الحروب الخارجية . وليس من الصعب ان تقدر ضعف هذا الاسلوب في المهمات العسكرية الكبيرة التي بدأها اردشير .

لذلك ادمجت هذه الوحدات العسكرية في جيش منظم يخضع الى قيادات فرعية وعليا ويكون طبيعيا على شعب مثل الايرانيين توارثوا القيم الفروسية ومجدوها ان يجعلوا للفرسان دورا اساسيا في الجيش الايراني (آسواران) وكان معظمهم من النبلاء ويلبسون الدروع الحامية في الحرب

بحيث لا تبرز من اجسامهم الا نقاط قليلة ، وكانوا يتسلحون بالسهام او الحراب يختار الملك من بين هؤلاء الفرسان فرقة قوامها عشرة الاف رجل توكل اليهم بعض المهمات الخطيرة في الحرب . فعملهم يشبه الاعمال الانتحارية التي تقوم بها فرق خاصة كالصاعقة ، في الجيوش الحديثة وكانت فرق الفرسان تتقدم الجيش الايراني وتعتمد نتيجة المعارك على قوتهم وصمودهم وكان الملك عندما يحارب ينخرط بينهم كرئيس للفرسان في المعركة يليهم في الاصطفاف العسكري للحرب فرق الفيالة حيث كانت الفيلة بحد ذاتها في اشكالها المخيفة ورائحتها النتنة واصواتها المخيفة تحدث رعبا وارتباكا في جيوش الاعداء .. ثم يلي هؤلاء جمهرة غفيرة من المشاة وهم من الفلاحين البؤساء الذين كان ارتباطهم باصحاب الارض يجبرهم على الخدمة العسكرية في مناطقهم في اوقات السلم لحفظ الامن وتنفيذ اوامر حكام الولايات كما يساقون الى الحرب العامة عندما يتطلب الامر ذلك . وعموما كانوا يتميزون بدروعهم الضعيفة واسلحتهم الفقيرة التي كان منها احيانا عدتهم الزراعية كالفاس .

وكان الجيش الساساني يعتمد فرقا من الشعوب المجاورة الحليفة وكانت فوائدهم في المعارك تفوق فوائد المشاة من الايرانيين ويحتمل ان بعض هذه الفرق كانت تستأجر من بعض الامم المجاورة لايران ، وكانت بعض هذه الفرق المساندة تحارب - راكبة اي كالفرسان الاساورة الايرانيين .

وكانت للفرق راياتها المميزة كما كان لبعضها شارات خاصة كما كان للجيش علم او راية في الحرب وكان لبقائها مرتفعة خفاقة اثر في نفوس المقاتلين .

وتبين لنا الصور والمنحوتات الساسانية الشيء الكثير عن اسلحة الساسانيين مثل الرماح والسيوف والخناجر ، ولكن يبقى القوس والسهم في مقدمة اسلحة الفرسان .

وتطور الساسانيون في استخدام آلات تهديم الاسوار والمجانيق والابراج المتحركة وعرفوا استخدام المواد المحرقة لصد آلات حصار اعدائهم .

وكان الملك عندما يصطحب الحملة يرفع على عرش يحيط به مجموعة من الخدم والحراس الراكبين والراجلين ومهمتهم الدفاع عنه حتى الموت ، وكان القائد العام للجيش يحمل على هذا العرش في حالة غياب الملك يراقب عن كثب سير المعارك ، وكان مجموعة من رجال الدين يصاحبون الجيوش . ومن اساليب الساسانيين العسكرية انهم لا ينسحبون امام العدو الا ويتلفون كل شيء خلفهم كحرق المزروعات او باغراق الارض ليجعلوا تقوم الاعداء اكثر صعوبة .

ومما يشير الى وجود جيش منظم بافراده وقيادتة واسلحته هي الاشارات الى حفظ العدة العسكرية في اوقات السلم في مخازن خاصة للسلاح يشرف عليها موظف مسؤول كان عليه ان يكون مستعدا لتسليمها عند الطلب . كذلك كانت خيول الفرسان تحت رعاية خاصة كما نشير

علينا شروط وظيفة هي مؤدب الاساورة الذي كان يأخذ على عاتقه تعليم ابناء الاساورة حمل السلاح واصول الحرب ليعدهم اعدادا جيدا للحرب .

وكانت الدولة تصرف على الجند والقادة مرتبات بالاضافة الى مأكلهم وملبسهم . كما يكافئون بعد الانتصار في المعركة .

ويبدو ان التقليد القديم الذي غيره كسرى أنو شروان كان يقضي ان يحارب الفارس دون جزاء وعليه ان يصرف على سلاحه من ماله الخاص .

كذلك تطورت اسلحة الجيش على عهد كسرى واصبح الفارس بالاضافة الى دروعه يحمل سيفا ورمحا وقوسين بوتريهما وثلاثين نشابة .

ونظرا للتطور الذي اصاب الجيش . وتوزيع مركز القائد العام الى اربعة رياسات فقد نال الفرسان على عهد كسرى حظوة كبيرة ، واصبح لرئيسهم مقاما رفيعا في بلاط الملك ، كما اصبح رئيس الفرسان واليا على اليمن بعد فتحها على عهد كسرى ويعود له الفضل في اعتماد الاسرى أو أبناء الامم المغلوبة في شؤون الحرب .

الفصل الثاني

الحياة الاقتصادية والتنظيمات الاداريـة

المبحث الاول : موقع ايران بالنسبة للتجارة العالمية :

شكلت ايران منذ القدم حلقة الوصل بين العالمين الشرقي والغربي ايام الساسانيين وبعد ان بلغت حدود الامبراطورية مسافات شاسعة تمتد من بلاد ما وراء النهر شرقا والى العراق غربا ومن سواحل بحر قزوين فأذربيجان وأرمينية شمالا والى كابل (افغانستان) وكرمان جنوبا ، ادركنا خطورة موقع الامبراطورية ، حيث كان لزاما على التجارة العالمية التي تنتقل بين شطري العالم القديم الشرقي والغربي وسواء انتقلت بطرق برية او مائية ان تمر بالاراضي الايرانية ، ولا يخفى ما كان لهذا الامر من اهمية كبيرة على تطور الدولة الساسانية وازدهارها ، كما ان دور التجارة وطرقها يوضح ابعاد الكثير من المعارك الدامية التي خاضها الساسانيون لتوطيد سيطرتهم مثل حملاتهم على أرمينية وأذربيجان وبلاد ما وراء النهر واقليم خراسان ومناطق في شمال الهند واخيرا اليمن .

وايران الساسانيين بلاد مترامية الاطراف مختلفة التضاريس والخصائص الطبيعية لذلك شملت اقسامها مناطق تميزت بثرواتها الطبيعية كاشجار مناطق الجبال المثمرة او اشجار الاخشاب وقدرات بعض الاقاليم على الزراعة الواسعة كاقليم خراسان وسواحل بحر قزوين وبلاد ميديا (شرق جبال زاكروس) واخيرا اقليم فارس وعيلام . كما احتوت الارض الايرانية على كثير من الخيرات الطبيعة كالاحجار الجيدة مثل انواع المرمر والاحجار الكريمة مثل الفيروز والنحاس وغيرهما من المعادن .

لذلك شكلت ايران من خلال ثرواتها الذاتية ، بالاضافة الى استحواذها على مناطق مجاورة تتميز بثروات معينة ، واخيرا بسبب حركة تجارة الترانزيت التي برز منها في اواخر ايام الدولة الساسانية الخط التجاري الشهير المعروف باسم خط الحرير الذي يقدم من اقاصي الشرق من الصين صوب سواحل البحر الابيض المتوسط فلهذه الاسباب مجتمعة احتلت ايران في قديم تاريخها مكانة اقتصادية مرموقة وبسبب هذه القدرات الاقتصادية العالمية نجحت بعض التنظيمات السياسية ان ترقى الى مصاف الدول المعظمة والامبراطوريات في تاريخ العالم القديم ، مثال ذلك الامبراطوريتين الاخمينية ووريثتها الساسانية .

المبحث الثاني : الزراعة والصناعة والتجارة :

كانت الزراعة عماد الحياة الاقتصادية وركنها الاساسي في بلاد ايران ولا ادل على ذلك من ان اسم الموظف المالي الكبير في الدولة اي وزير المالية ، يقترن برياسة الضريبة العقارية اي ضريبة الارض ، كما يجب لفت الانتباه الى الحركة التي هزت ايران من جذورها على عهد قباذ ونقصد بها الحركة المزدكية تعرضت في مبدأ برنامجها الاصلاحي موضوع الارض وحالة العاملين عليها . كذلك فعلت الحركة المضادة للاصلاح المزدكي ونقصد بها اصلاحات كسرى أنو شروان معالجة موضوع الارض وما يتعلق بها من ملكية وضرائب .

واذا كان المجال هنا لا يسمح بالاسترسال في الحديث عن الزراعة ، ولكننا نقول بعض الحقائق الاساسية المتعلقة بالموضوع .

كانت الاراضي الزراعية قسمة ضيزى بين الغالبية العظمى من الشعب وبين الطبقة العالية . حيث كانت الاراضي مقسمة بين الملك وافراد الطبقة الارستقراطية من افراد الاسر السبع الرئيسية والنبلاء ، وكان الزارع الحقيقي يرتبط بالارض من خلال عبودية مطلقة لمالكها او عبودية مخففة مرتبطة بالارض وهذا النوع هو الذي نعرفه باسم الاقطاع .

وكانت الدولة تجبي ضريبة الارض (الخراج) من خلال مجموعة من الموظفين الماليين الذين يرتبطون بوزير المالية او كبير الوزراء ، ولدينا اشارات كثيرة تشير الى فساد هؤلاء الجباة وقسوتهم مما اثقل الامر على كاهل الطبقات الفقيرة من الفلاحين . ويمكننا ان نستنتج ان ضرائب الارض التي شرعها كسرى أنو شروان كانت تجبى لصالح الخزينة يضاف اليها حصة مالك الارض نفسه ، حتى اننا نقرأ في بعض المآثر ان الفلاح كان يعاقب بقسوة اذا امتدت يداه الى ثمار ارضه قبل تسديد ضريبة الملك وحصة سيد الارض ، ويبدو ان الحالة هذه خففت بعد ان حول [illegible] الضريبة الى نقدية وليس عينية .

[illegible]ضح لنا من بعض الاشارات التاريخية التي قصد من وراء ذكرها الاشادة بالملوك واعمالهم الحسنة . مبلغ ثقل هذه الضرائب وعبئها الفادح وبخاصة على سكان الاقاليم الزراعية الجيدة مثل العراق ، حيث عمد بعض الملوك لاجل استرضاء الشعب والتقرب اليهم ولكبت روح التمرد في نفوسهم مثلا باعفاء الزارع عما تبقى بذمتهم من ضرائب متراكمة . ويروى انها بلغت حوالي ٧٠ [illegible]ن درهم على عهد بهرام الخامس . ولم يكن الفلاحين ملزمون بدفع ضرائب الارض . وانما الضريبة الشخصية وجمع الاموال عند الملمات ، كوجود نقص في اموال الخزينة مع بدء حرب [illegible]سعة وكذلك اعمال السخرة . اعتمدت الاعمال الزراعية الطرق بدفع البدائية في الحرث والبذار

الحصاد ، وانما اصاب أراضي الملك بعض التطوير . وقد اهتم الملوك الساسانيون بشؤون الزراعة واستصلاح الاراضي وانشاء السدود ، ونعرف عن استخدام الاسرى ، وخاصة اسرى الشعوب المتمدنة في مثل تلك الاعمال كما فعل شابور مع اسرى الروم ، حيث اوكل اليهم مهمة بناء سد الامبراطور بين سوس وشوشتر .

وتكشف لنا الاعياد السنوية في ايران اهمية الزراعة في حياة المجتمع الايراني على عهد الساسانيين ، فمعظم الاعياد تتصل باعمال الزراع ومواسمهم ، ولكنها اكتسبت بمرور الزمن صفة دينية واحيطت بمراسيم وشعائر ابعدتها عن اصولها الحقيقية . وكان عيد رأس السنة النوروز الاشارة الى احتفاظه ببعض خصائص عيد رأس السنة البابلية وخاصة فترته من اشهر السنة وموسمه الربيع . ويمكننا معرفة المزروعات الرئيسية من نظام ضرائب كسرى انوشروان فهي الحبوب كالحنطة والشعير والرز ومن الاشجار النخل والزيتون وكذلك البرسيم (علف الحيوانات) وتشتهر ايران ببعض مناطقها الرعوية التي تربت فيها اعداد كبيرة من حيوانات اللحم كالماشية مثل الغنم والماعز وكذلك الابقار ويمكننا ان نتصور الثروة الحيوانية في ايران من مشاهد الصيد الملكية التي تركت لنا في الاعمال الفنية كانواع الغزلان والايائل وابقار وحشية وخنازير وبعض الحيوانات المفترسة كالاسود والدببة والضبع في مناطق ايران .

الصناعة : ولم تكن شهرة الصناعة في ايران تضاهي الزراعة او التجارة ، ولكن على الرغم من ذلك فقد اشتهرت ايران منذ القدم بصناعة السجاد الفاخرة ولا تزا ل ليومنا الحاضر تعد الموطن الرئيسي لصناعة السجاد اليدوي الفاخر في العالم . وانواع السجاد كثيرة اغلاها المنسوج بالحرير والمطرز بخيوط من الذهب والفضة . وكذلك اشتهرت ايران بصناعة الاقمشة الصوفية والحريرية وقد كانت المدن السورية الفينيقية مراكز رئيسية لصناعة الانسجة الحريرية بعد استيراد الحرير عبر ايران من الصين . لكن الملوك الساسانيين شجعوا قيام صناعة نسيج حريرية في بلادهم للاستفادة من تجارة الحرر وصناعته ، واشتهرت مراكز النسيج الحريري في سوسه وجند يسابور وشوشتر بانتاجها ويبدو ان الاسرى الروم افادوا الايرانيين كثيرا في صناعة الحرير هذه . ومن المعاملات التجارية بين ايران وجاراتها عرفنا شهرة الكحل الايراني الذى كان طلب النساء الصينيات عليه كبيرا . كما برزت من صناعات الترف لقصور الملوك الكؤوس الفضية النفيسة الدقيقة الصنع المحلاة برسوم تمثل مشاهد صيد الملك او صور حيوانات وطيور او اشكال بنائية ، وقد بقي عدد لا بأس به من كؤوس الفضة هذه تتوزع الآن في المتاحف العالمية تشهد على قدرات عالية للفنان الايرانى القديم .

التجارة :

لعبت ايران بسبب موقعها الجغرافي كما اشرنا في بداية الحديث ، دورا كبيرا في التجارة العالمية ، ويشهد على ذلك توزع نقود الساسانيين الفضية والنحاسية في مناطق واسعة جدا .

وكانت معظم التجارة تتبع طرقا برية ، ومن اشهر هذه الطرق الطريق الذي يربط العاصمة الساسانية المدائن بداخلية بلاد ايران ، بعد ان يمر بكرمانشاه وهمدان (اكبتانا الميدية) وعند همدان يتفرع هذا الطريق الرئيسي الى عدة فروع فيسير احدهم صوب الجنوب ليخترق خوزستان (بلاد عيلام القديمة ثم يصل اقليم فارس وينتهي جنوبا على سواحل الخليج العربي عند (بندر عباس) حاليا وطريق آخر يواصل سيره من همدان صوب الشمال الشرقي فيمر طهران ويحاذي في سيره سواحل بحر قزوين خلال وادي كابل ليطل على شبه القارة الهندية ؛ او يسير عبر التركستان الى اقصى الشرق ليصل الصين .

وكان الخليج العربي طريقا مائيا نشطا منذ عصور قديمة ، يصل بين العاصمة - المدائن على دجلة وبين الاقسام الجنوبية الشرقية للجزيرة العربية ، كما ان بضائعا وتجارة من الهند واقصى الشرق عرفت طريقها منذ فترات سابقة عبر المحيط الهندي الى البحر العربي ثم الخليج العربي ومنه عبر دجلة والفرات الى العاصمة المدائن . وكانت تجارة القوافل الغربية مزدهرة في هذه الفترات التاريخية لذلك بذل الحكام الفرس جهودا كبيرة للسيطرة عليها من خلال حملاتهم العسكرية على مدن القوافل . وكانت تدمر والحضر ونصيبين من العقد التجارية الهامة بالاضافة الى كونها تمثل اطرافا للدولتين العظيمتين آنذاك الساسانية والرومانية . ان سيطرة الفرس على اليمن بالاضافة الى اسبابها الدينية والعسكرية تمثل بوضوح رغبة الفرس في السيطرة على منافذ الملاحة البحرية العالمية وقد كانت اليمن منطلقا لتجارة الشرق البحرية وتجارة الغرب البرية (القوافل) بالاضافة شهرة منتوجاتها وثرواتها ومن المواد الرئيسية في تجارة الترانزيت الفارسية الى الغرب هي الحرير الخام - الصيني ، وقد عمد الفرس في فترة لاحقة بتصنيعه في بلادهم والتحكم باسعاره ، مما دفع الدولة البيزنطية من اجل كسر احتكار الفرس لصناعة الحرير ، ان تتعلم غرس اشجار التوت في بلادها فاستغنت عن استيراده من ايران وغيرها .

ولما شهدت تجارة المرور (الترانزيت) الايرانية نقل بضائع شرقية الى الغرب ، فان كثيرا من البضائع الغربية وجدت طريقها الى الصين في الشرق ولاجل تطمين مستلزمات التجارة ، عنى الفرس الساسانيون برصف الطرق واقامة الحراسة عليها وبناء محطات الاستراحة وتزويدها بالخيول والموظفين . وكانت هذه الطرق بالاساس تخدم حركة الموظفين الحكوميين والبريد

الملكي الذي بواسطته تم مسك زمام الامور في ارجاء الامبراطورية بيد قوية . ممـــا يشهـــد على تطور التجارة واعمالها ، وخاصة الاعمال المصرفية ظهور ما يسمى بالحوالات (الكمبيالات) في هذه الفترة . وقد لعبت مؤسسات اليهود المالية في بابل دورا في المعاملات المصرفية .

الفصل الثالث

الديانـــة

المبحث الاول : نبذة عن الافكار الدينية الايرانية القديمة .

عرفت بلاد ايران افكارا دينية تسربت اليها من عصور ما قبل التاريخ وكانـت الافكار الدينية على الرغم من اشتراكها في الخطوط العامة لكنها تتميز بعضها عن بعضها تبعا لانفصال اقاليمها والشروط الحياتية الخاصة بكل اقليم .

وتعرف الديانة القديمة في ايران باسم الديانة (المزدية) ، حتى ظهر في حدود القرن السابع ق . م . رجل يعرف باسم زرادشت او زراتشترا كما ورد في كتاب افستا دعا لديانة مزدية معدلة مطورة عربت نسبة اليه باسم الديانة الزرادشتية . ونظن ان زرادشـت ولد في اذربيجان شمال غرب ايران ولكنها انتشرت ولاقت قبولا واسعة اول الامر في مقاطعات ايران الشرقية في نواحي بلخ حيث هاجر اليها زرادشت وكان لحسن العلاقة بين زرادشت وبين امراء المقاطعة اثرا كبيرا في انتشار مذهبه حتى عم جميع البلاد . وقـد قتل زرادشـت في احدى الغارات التي قامت بها شعوب آسيا - الوسطى على الحدود الشرقية للملكة الفارسية وبعد وفاته اقترن التبشير بالزرادشتية ومعرفة رسومها وشعائرها بطائفة من الايرانيين عرفور باسم المجوس، وهم الذين اصبحت المناصب الدينية حكرا عليهم ولكن القرآن الكريم والعرب اطلقوا لفضة مجوس على اتباع الدين الزرادشتي عامة . وكلمة مجوس معربة عن كلمة مكوسيا البهلوية ، وهي في الفارسية القديمة مكوش ، وفي لغة الافستا مكاو ، وفي الفارسية الحديثة ، باسم مع ، ومغ لقب كان يلقب به رجال الدين القديم في ايران قبل زرادشت وقد تسرب كثير من عقائدهم الى الزرادشتية كتقديس العناصر الاربعة (النار والتراب والماء والهواء) . وقد اشتهرت طائفة رجال الدين هؤلاء باعمال السحر والاتيان بغرائب الأمور ، وهذه الشهرة هي السبب في ان كلمة مغ اقتربت في اليوناني بمعنى السحر والشعوذة ومنها اتت كلمة (**Magicien, Magic**) في اللغات الاوربية الحية والزرادشتية تدعو الى العمل الطيب والقول الطيب والفكر الطيب وابغض ما تراه - الكذب ، كما ترى في المواقع الاقتصادية للناس مواقع ازلية يجب عدم تبديلها أي انها حكمت بالمبدأ الطبقي للمجتمع والذي يجب عدم تخطيه وقد اصاب الزرادشتية تحول خطير بعد ان تبناها دارا الاول واعتمدها

ا رسميا للدولة ، ويروي ان ويشتاسب او هيستاسبيس والد دارا كان من اول انصار زرادشت .
لما شاعت الزرادشتية في ارجاء الامبراطورية الفارسية الاولى (الاخمينية) واصبحت
افستا الكتاب المقدس في الزرادشتية دستور القضاء وتنظيم العلاقات الخاصة بين الناس .

ولكن الديانة الزرادشتية اصبحت ببعض التحليل اثر زوال حكم الاخمينين السياسي
تأثرت الثقافة اليونانية وزعيمتها الفلسفة في مجمل الفكر الايراني على العهد السلوقي والبارثي ،
على الرغم من كون الزعماء البارثيون كانوا زرادشتيين لكنهم لم يعيروا شأن الدين اهمية كبيرة
لم يعرف عنهم التعصب للزرادشتية ، فبقيت كثير من المقاطعات في الدولة البارتية تعيش
لامركزية في ادارتها ودينها ويبدو ان بعض ملوك الطوائف الآخرين (ولجاش البارتي) ادرك
للدين من اهمية في تلافي تداعي المملكة وتوحيد الناس وشحذ هممهم ، لكن التنفيذ الحقيقي
لاعادة هيبة الدين الزرادشتي لايران وربطه بشؤون الملك تم على عهد اردشير الملك الساساني
الاول .

المبحث الثاني : الزرادشتية والحركات الدينية المناوئـــة

فكان ثاني امر خطير تداركه اردشير بعد ان فرغ من تصفية خصومه ونشر لواء سلطانــه
في ايران ، ان توجه صوب الدين لأحياءه وليتخذ منه سندا في حكمه . فمن رأيه ان الدين
والملك توامان لا استغناء لأحدهما عن الأخر . فأمر كبير الموابذة على عهده تنسر ان يجمع نصوص
الافستا وشروحه . والمعروف ان الأسكندر عمد الى حرق اقسام من كتاب الزرادشتيين المقدس
لاضعاف معنويات الفرس وتشتيت وحدتهم وجعل هذا الكتاب الذي جمعه وصنفه تنسر اساسا
لدين زرادشت الذي اصبح الدين الذي يدين به الملك والشعب والمجوس ان الافستا هو الكتاب
الديني لزرادشت ، وهو مجموعة مؤلفة من خمسة اجزاء او كتب مستقلة يختلف تاريـــــــخ
تدوينها واقدم قسم منه يرجع الى عصر زرادشت نفسه وهو يشتمل على اقواله وتعاليمه التي جمعها
من بعده تلاميذه واتباعه الاولون ودونوها . ثم اضيف اليها ما وضعه فقهاء الزرادشتية القدامى
من الاحكام والتقاليد الدينية وهكذا استكمل بالتدريج اقسامه الخمسة وظهر بشكل كتاب ديني
كان ولا يزال معول القوم في عبادتهم واحكام دينهم . اما تاريخ تدوين أفستا فلا يعرف
الا ان من المعلوم ان كتاب افستا كان مكتوبا على عهد الدولة الاخمينية وكانت توجد منه
نسختان احداهما محفوظة في خزانة الملك باصطخر عاصمة البلاد التي تقوم خرائبهـــــــا
في جنوبي ايران قرب مدينة شيراز ، والثانية في بيت النار الكبرى بمدينة شيز بأذربيجـان
زرادشت . ولكن كثيرا من فصوله واجزاءه تبعثرت عقب حملة الاسكندر واصبح الكتاب

الجديد الذي جمعه تنسر ابان العهد الساساني يضم حوالي (٣٤٨) فصلا وهو يعادل ثلث الكتاب الاصلي فجعلوه اساسا لدين زرادشت ....

وكان المجوس وهم الفئة المهيمنة على شؤون الدين الزرادشتي وقد اختلفت فيما بينها وتفرقت في شؤون دينها ، فعقد لهم مجمعا دينيا اختار من بينهم سبعة موابذة وجعل لهم رئيس هو الموبذان موبذ ووزعهم على انحاء الامبراطورية . وكانت لغة الاوستا قد اصبحت قديمة صعبة التداول والفهم . فندب بعض رجال الدين بوضع شروح وتفسيرات لها فكان ذلك التفسير الثاني بعد تفسيرات زرادشت نفسه لكتابه المعروف باسم زند فسمي التفسير الجديد بالزند ،، (١)

وهكذا اصبحت فكر الدولة الرسمي قولا وعملا وكانت فكريا تخدم مصالح العائلة المالكه والارستقراطية الكبيرة في المجتمع الايراني . كما نال المجوس من رجال دين الزرادشتية مكانه مرموقة وامتيازات لا حصر لها على العهد الجديد .

وقد شهد المجتمع الايراني حركات فكرية ذات طابع ديني على عهدي شابور الاول وقباذ تمثلت الاولى في الديانة المانوية في حركة مزدك وتعاليمه ذات الطابع الاجتماعي الاقتصادي . وعلى الرغم مما تركته هاتين الحركتين في مجمل التطور الفكري لايران لكن الزرادشتية بقيت الدين الرسمي للدولة الساسانية حتى اواخر أيامها .

ومثلما أثرت المانوية والمزدكية ، اثرت الديانة المسيحية في الفكر الايراني تأثيرا بليغا ، وانعكست الصراعات الفكرية بين المسيحية والزرادشتية على صور اضطهادات دامية تعرض لها المسيحيون الايرانيون في بعض فترات التأريخ الساساني .

وكان جل الصراع الفكري بين الزرادشتية والديانات الاخرى يخفي وراءه مصالح الحاكمين الذين تدعمهم الزرادشتية بفكرها وبين مصالح الطبقات الاخرى الذين وجدوا في تعاليم الديانات المعارضة سبيلا لانعتاقهم من تسلط الطبقات الحاكمة وجورها ، ولكن حكم التطور قضى تدريجيا على عنفوان الزرادشتية ، وكان كسرى انوشروان الذي بدأ في مطلع حكمه كزرادشتي متعصب ، كان من اول مشجعي المناظرات الفكرية الدينية بين رجال الدين الزرادشتي وبين اساقفة المسيحية كما شجع الفلسفة والعلوم وفي ذلك كله تخريب الاساس الفكر الزرادشتي . وبلغ الامر من اضطراب مواقع الزرادشتية حتى تركها بعض رجالاتها مثل الموبذان بزرجمهر ، وقد اظهر بعض الذين ترددوا في ترك الزرادشتية ، اضطرابهم وقلقهم الذي قادهم

---

١ – تراجع احدث دراسة عن الزرادشتية المصدر التالي « الدكتور محمد مهدي : زرادشت وأصول الديانة الزرادشتية ، الدراسات الادبية : اصدار قسم اللغة الفارسية في الجامعة اللبنانية السنة الرابعة الاعداد ٢ ، ٣ ، ٤ ، ١٩٦٢ – ١٩٦٣ ص ١١٧ – ١٣٨ .

الى طريق تشاؤمي في نظرتهم الى الحياة والواقع . وكان ذلك حال الفيلسوف الايراني ورجل الدين الزرادشتي برزويه وربما يكون في الاسطر التالية التي نقتبسها على لسانه مثلا يوضح المكانة التي بلغتها الزرادشتية من نفوس بعض المفكرين « فلما وقع ذلك في نفسي اشتبه علي امر الدين . اما كتب الطب فلم اجد فيها لشيء من الاديان ذكرا يدلني على اهداها واصوبها واما الملـــل فكثيرة ليس منها شيء الا وهو على ثلاثة اصناف قوم ورثوا دينهم عن ابائهم وآخرون اكرهوا عليه حتى ولجو فيه وآخرون يبتغون الدنيا وكلهم يزعم انه على صواب وهدى وان من خالفه على خطأ وظلالة والاختلاف بينهم كثير في امر الخالق والخلق ومبتدأ الامر ومنتهاه وما سوى ذلك ؟»

ومن مؤشرات ضعف الزرادشتية في اواخر ايام الدولة الساسانية ، انتشار المسيحية في ايران وازدهار كنائسها وأسقفياتها ، حتى لقب ملك ايران كسرى ابرويز بالملك النصراني بسبـــب تشجيعه اياهم ومنحهم الحرية الكاملة . وليس خاف على احد ما لاهمية انتشار الديانة المسيحية في ايران اثر في انتشار الاسلام الذي يتفق مع المسيحية في فكرته الاولى وهي التوحيـــد .

وهكذا تحولت عقوبة الاعدام بحق من يخرج عن دينه ويكفر بتعاليمه على عهد الاكاسرة الاوائل الى عقوبة اخف بكثير ابتداء من عهد كسرى آنو شروان لا تتعدى الحبس مع الارشاد بعودة المرتد الى دينه ثم يبلغ الامر اخيرا بارتداد بعض رجال الدين عن دينهم مثـــل بزرجمهر الذي ذكرناه سابقا .

وبظهور الديانة الاسلامية وانتشارها في ايران اخذ ظل الزرادشتية يتقلص بالتدرج واصبح الزرادشتيون فئة ضئيلة الشأن قليلة العدد في اواخر القرن الاسلامي الاول ، وبعدها ، اخذت فئات من الذين احتفظوا بدينهم القديم يهاجرون الى المناطق الشرقية ، ثم هاجروا من هناك صوب الصين والهند ولا تزال جالية الزرادشتيين في الهند محافظة على ديانتها وطقوسها ويقرب عددها من ١٨٠,٠٠٠ نسمة يعرفون باسم بارسي ، كما توجد في ايران جالية زرادشتية ايضا

لكنها قليلة العدد تنتشر في اطراف مقاطعة كرمان وفي طهران ولـها كامـل الحقوق الدينية .

نكتفي بهذا القدر من الحديث عن الزرادشتية ، كما نكتفي بما اشرنا اليه في حديثنا من عهدي سابور وقباذ الذي ضمناه حديثا عن المانوية والمزدكية ، قاصدين من وراء ذلك اعطاء صورة سريعة لديانة ايران على العهد الساساني .

الفصل الرابع

اللغة والكتابة (١)

المبحث الاول : اللغة الايرانية

ترجع معلوماتنا عن اللغة الايرانية الى المخلفات المدونة القليلة التي تبدأ مع عهد دار من اوائل العهد الاخميني ، وبخاصة تسجيلاته التذكارية في نص بهستون قرب كرمنشاه. فهي وغيرها من النصوص الايرانية القديمة تمثل مصادرنا الوحيدة لمعرفة اسرار اللغة الايرانية القديمة .

اما عن اللغة الايرانية قبل العهد الاخميني ، فالصعوبة في اقتفائها أكبر بسبب ندره المصادر ، واضطرار الباحثين للاعتماد على دراسات لغوية مقارنة في بقايا اللغات الهند واوربية التي تنتسب اليها اللغة الايرانية ، ولا يسعنا في هذه المقدمة الا ان نؤكد انه على الرغم من الدراسات الكثيرة التي تصدت لموضوع اللغة الايرانية في عصورها القديمة لكن الموضوع لايزال في بدايته ويكتفه الغموض والتعقيد من جوانب عديدة . ولكل لغة لهجات تمليها ضرورة التطور التاريخي وتباعد الشقة بين الناطقين بها مع كثير من العوامل البيئية المتمايزه . وينطبق ذلك على اللغة الايرانية .

ففي الاقليم الجنوبي الغربي من ايران ، الاقليم الذي سماه اليونان (فارس) عاشت اللغتان الميدية والفارسية ايام الاسرة الفارسية الاولى ونقصد بهم الاخمينيين ثم اعقبتهم اللغة الفرثية على عهد الاسرة الاشكانية . ثم شهد الاقليم نفسه اِنتشار لغة على عهد الدولة الساسانية في القرن الثالث الميلادي وهي فارسية الساسانيين التي تعد وريثة الفارسية القديمة الاخمينية بعد ان امتزجت بعناصر لغوية فرثية من الشمال وصغدية من الشمال الشرقي .
ولم تسلم اللغة الفارسية الساسانية من تأثير لغة غزيرة المادة والمفردات هي العربية ،حيث تتبين من الايرانية الحديثة المعاصرة امتزاج عناصر هذه اللغات الأربع ، حيث نستطيع ان نفرز بينها من خلال الدراسة اللغوية الدقيقة .وبخصوص التأثيرات التي تعرضت لها اللغات الايرانية ، نشير الى اللغة الأرامية ، وهي من اللغات السامية ، حيث شاع استعمالها منذ

---

(١) نحيل القارئ لمعرفة تفصيلات اوسع عن اللغات الايرانية وصلاتها فيما بينها ومراحل تطورها كذلك مرحل تطور الفارسية الساسانية وسليلتها الحديثة وتأثرها وتأثيراتها الى المرجع التالي (تراث فارس .باشراف اربري الفصل الثامن ص ٢٢٣ - ٢٥٧ القاهرة - ١٩٥٩

كذلك : ارثر كريستنس : ايران في عهد الساسانيين ترجمة يحيى الخشاب القاهرة ١٩٥٧ ص ٣١ فما بعد .

..رات قديمة في أجزاء واسعة من اسيا الصغرى ، كما اننا نعرف انها كانت لغـــة الدواويـــن . الملكية الأخمينية . وكذلك ترك الخط الارامي أثره الكبير في تاريخ ايران القديم لانه بسبــب صعوبة التعبير الواضح والسهل والسريع عن طريق المسمارية التي كتب بها الاخمينيون وهو الخط الذي قتبسوه عن المسمارية العراقية ، انتقلوا في خط كتابتهم الى الخط الابجدي الارامي و مـا الخـط بهلوي الا صورة مستقاة من الأبجدية الأرامية . لذلك فقد كان لانتشار اللغة والخــط لاراميين اثرهما البارز على اللغة الايرانية .

كذلك بلغ تأثير الأغريق ثقافة ولغة وكتابة شاؤا بعيدا على عهد الملوك الاشكانييـــن ، حتى تلقب بعض ملوكهم بالقاب يونانية وعند مطالعة النصوص الاخمينية القليلة ومقارنة مفرداتها باللغة الايرانية الحديثة ندرك بوضوح مبلغ التطور الذي اصاب الايرانية خلال عصور مع محاولة محافظتها على الاصل . اما عن سبب كثرة الألفاظ العربية في النصوص عاصرة ، فسببها تقريب اللغة من أذان السامعين ومنحها حرية التعبير السريع ، لأنه باستطاعـة لكاتب ان يدون دون الاعتماد على الفاظ ومفردات عربية ، لكنه بحكم التطور وطبيعة الحياة تكون المفردات اقوى تأثيرا اكثر الكاتب المعاصر من المفردات الغربية .

ومن بين ملامح التطور الحديث للغة الايرانية اختصار مقاطع الكثير من المفردات فمثلا اختصرت عبارة أقهيا رادي ومعناه (له) الى (اورا) في الفارسية الحديثـــة

وتشكل بعض نصوص الأوستا القديمة المتبقية مادة مهمة في دراسة اللغة الايرانيـــة تضاف الى النصوص السابقة . وبسبب التشابه الكبير بين كثير من الالفاظ والمفردات وحالات لفعل في ازمانه المختلفة ، بين الهندية القديمة والايرانية القديمة ، ساعد من دون شك على اسة اللغة الايرانية وثم معرفة الصلة بين الهندية والايرانية ، واشتراكهما في الاصل بحيث تعين في دراسة احدهما بالاخرى وصولا الى الاصول الاولى للغة الهند واوربيـــة

كما تساعد النصوص التي وصلتنا من عهد ايران الوسيط ونقصد بـه الفترة الممتدة بين نهاية الدولة الاخمينية وبداية الاسلام ، تساعد هذه النصوص سواء كانت الفارسية او الفرثية التي تتمثل في الكتابات الملكية وما تركه اتبـاع زرادشت وماني ، واحيانا من تركة اتباع الكنيسة بتلك اللغة ، تساعد جميعها في معرفة تفصيلية باللغة الايرانية . ففي نصوص مانوية ..بت باللغـة الفارسية البحتة مع استثناء بعض المصطلحات التي احلتها الكتابة السريانية ..خط عصر ماني) وكذلك النصوص المانوية الفرثية البحتة تعكس الطابع الايراني البحت للغة . على الرغم من كثرة المصادر التي تتيح لنا دراسة اصول اللغـة الايرانية ، لكننا لانزل نجابه كثير من الصعوبات امام بعض المواد من النصوص الزرادشـتية (البـهلويـة) .

وترجع اسباب هذه الصعوبة الى خط تدوين البهلوية (النصوص الزرادشتية) فهي على

الرغم من اعتمادها صور الحروف الابجدية الأرامية ، لكنها اختصرت من (٢٢) حرف ساكن في الأرامية الى (١٤) حرف ساكن في البهلوية كما احدث بعض التغيير في شكل الحرف الهجائي الارامي ، ففي النصوص البهلوية حروف ساكنة يمكن قراءتها بطرق مختلفة وبالتالي يضطر الباحث للاستعانة بأدلة وشواهد خارجية لمعرفة حركة الحرف المقصود في كل حالة .

وتنشأ الصعوبة الثانية في قراءة هذه النصوص من اعتمادها طريقة تسمى (هزوارشن) التفسير استخدام الفاظ ارامية بحتة في الكتابة ولكن عند القراءة تقرأ بالفاظها الايرانية مثلا يكتب (بسرا) وتقرأ (كوشت) بمعنى لحم . وقد تركت هذه الطريقة اثارها في بعض النصوص الصغيرة وبخاصة في النصوص البوذية ، بعكس ذلك فان كافة النصوص المانوية سواء منها بالفارسي او الفرثي تخلو من هذه الطريقة .

ان الفارسية والفرثية لهجتان مرتبطتان ارتباطا وثيقا وهما قريبتان من الفارسية الحديثة ويعرفان بالبهلوية الساسانية التي هي لغة الكلام في الجنوب الغربي لايران (فارس) وكانت ايضا اللغة الرسمية على عهد الساسانيين ، واللغة الاخرى هي البهلوية الاشكانية وهي اللغة الرسمية لملوك الاشكانيين وتمثلها اليوم مجموعة من اللهجات العامية تنتشر في ولايات بحر الخزر واقاليم كاشان واصفهان وجرجان . وفي التوزيع الجغرافي تعرف الاولى بلغة الجنوب الغربي والثانية بلغة الشمال او الشمال الغربي . ولكن اللغتين الصغدية والختنية تمثلان صورتين تختلفان عن ذلك كثيرا . ويتم الاعتماد في التوصل لقراءة النصوص الصغدية ، على اللغة الصغدية الحديثة التي يجري الحديث بها في وادي يغناب ، (يغنوب في بامير) ، واهمية الصغدية الحديثة بالنسبة للقديمة ، كأهمية الفارسية الحديثة التي سبقتها ويرى بعض الباحثين ان الصغدية كانت شائعة الاستعمال مع بدايات العصر المسيحي في بلاد تمتد من حائط الصين حتى سمرقند ، وكانت لغة دولية لفترة طويلة في اسيا الوسطى ، وعن طريق هذه اللغة انتقلت الكتب المانوية والبوذية الى الشعوب التركية .

ولكن لم يعرف ما يمثل اللغة الختنية (١) التي ترجع احدث نصوصها الى القرن العاشر الميلادي – في الوقت الحاضر .

ان اللغة الصغرية في اصول الفاظها ايرانية ، ولكنها ابتعدت بمرور الزمن بسبب التطور الذي اصاب اللغة الايرانية الغربية ، حتى بلغ البعد بينهما ان الصغد احتاجوا كتبا لغوية لشرح الكلمات الفارسية والفرثية في نصوصهم المقدسة .

---

(١) وهي لغة كانت سابقا لغة الحديث في مملكة ختن التي تقع في جنوب غربي كاشغر ، ولهذه اللغة مرحلتين متميزتين بوضوح احداهما اقدم من الاخرى .

ومن اللغات القريبة العلاقة باللغة الصغدية – اللغة الخوارزمية ،لكننا لا نعرف الكثير عنها سوى انها ترجع الى القرن الحادي عشر الميلادي .

ولكن على الرغم من ذلك ، فان كثيرا من التشابهات قائمة بين اللغتين الايرانية والصغدية وخاصة في بعض الالفاظ وهذا يشير الى الاصول المشتركة لكل من اللغتين .

ونورد في ادناه تفصيلا ملخصا للغات الايرانية في مراحلها المختلفة مع المصادر التي تخلفت لنا عن كل لغة .

(١) العصر الاقدم او الايرانية القديمة وتتمثل في :

أ – الفارسية القديمة في نقوش وكتابات الاخمينيين .

ب – الميدية التي بقيت منها اسماء اعلام وبعض الكلمات في النصوص الأشورية واليونانية والفارسية القديمة .

جـ – النصوص الأوستية . ويرجح ان يكون اقليم خوارزم موطنها الاصلي .

(٢) **العصر الوسيط او الايرانية الوسيطة . وتتمثل في :** –

أ – نصوص فارسية فرثية من فارس الساسانية وآسيا الوسطى .

ب – نصوص صغدية من آسيا الوسطى وفي الجبال الواقعة قرب سمرقند الخوارزمية . وجائتنا ايضا مقتطفات منها في مخطوطات عربية فقهية وتاريخية ترجع الى القرن الحادي عشر الميلادي .

جـ – نصوص ختنية من ختن في آسيا الوسطى دونت في الفترة الواقعة ما بين القرنين الرابع والعاشر الميلاديين .

(٣) المرحلة الحديثة او الايرانية الحديثة وتتمثل في : –

أ – الفارسية وهي اللغة الشائعة في فارس وقد دخلتها الكثير من العناصر الفرثية والصغدية .

ب – الكردية في فارس والعراق وتركية

جـ – البلوخية في بلوجستان

د – البشتو وهي لغة أفغانستان الرئيسية

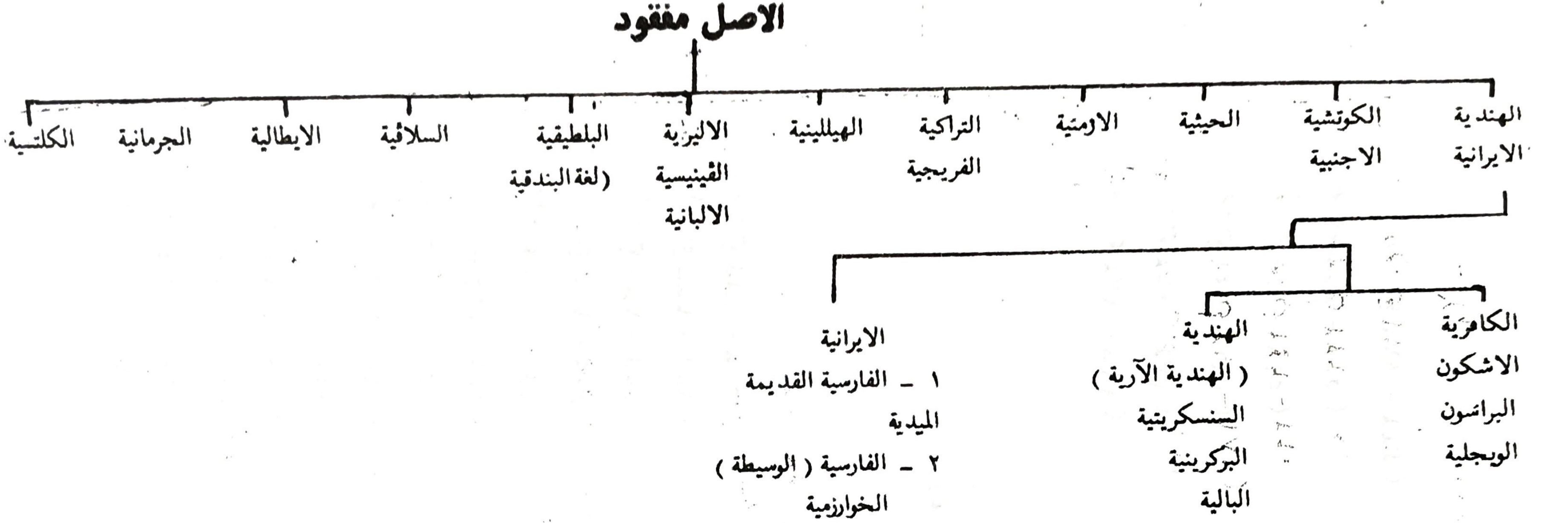
هـ – الوكهية وغيرها من لغات جبال البامير

و – الصغدية الحديثة وهي لغة الحديث في وادي يغناب بالقرب من سمرقند .

ز – الأستية ويجري الحديث بها في القوقاز.

يضاف الى ذلك لهجات محلية عديدة يتحدث بها في فارس واذربيجان السوفيتية

وأتماماً للفائدة ننقل في أدناه مخططاً يبين أصول اللغة الفارسية وعائلتها ولهجاتها وتعدد فروعها .



(×) لقد صرفنا النظر في الحديث عن اللغة الايرانية استعراض تطورها ولهجاتها في الايرانية الحديثة لانها تترتبط بدراسة تاريخ ايران في العصور الاسلامية ، وهو خارج نطاق هذا الكتاب .

سلالات الملوك الايرانيين

١ - الملوك الاخمينيون :

١ - كورش الاول	(٦٤٠ - ٦٠٠ ق . م)
٢ - قمبيز الاول	(٦٠٠ - ٥٥٩ ق . م)
٣ - كورش الثاني	(٥٥٩ - ٥٣٠ ق . م)
٤ - قمبيز الثاني	(٥٢٩ - ٥٢٢ ق . م)
٥ - بارديا	(٥٢٢ ق . م)
٦ - دارا الاول	(٥٢١ - ٤٨٦ ق . م)
٧ - اخشوبرش الاول	(٤٨٥ - ٤٦٥ ق . م)
٨ - ارتحشتشا الاول	(٤٦٤ - ٤٢٤ ق . م)
٩ - دارا الثاني	(٤٢٣ - ٤٠٥ ق . م)
١٠- أرتحشتشا الثاني	(٤٠٢ - ٣٥٩ ق . م)
١١- أرتحشتشا الثالث	(٣٥٨ - ٣٣٨ ق . م)
١٢- ارسيس	(٣٣٧ - ٣٣٦ ق . م)
١٣- دارا الثالث	(٣٣٥ - ٣٣١ ق . م)

٢ - الاسكندر الكبير والسلوقيون :

الاسكندر الكبير (٣٣٦ - ٣٢٣ ق . م)

الملوك السلوقيون .

١ - سلوقس الاول نيقاطور	(٣١١ - ٢٨١ ق . م)
٢ - انطيوخس الاول سوتر	(٢٨١ - ٢٦٠ ق . م)
٣ - انطيوخس الثاني ثيوس	(٢٦٠ - ٢٤٦ ق . م)
٤ - سلوقس الثاني	(٢٤٥ - ٢٢٦ ق . م)
٥ - سلوقس الثالث سوتر	(٢٢٥ - ٢٢٣ ق . م)
٦ - انطيوخس الثالث	(٢٢٢ - ١٨٧ ق . م)

٧ – سلوقس الرابع (فيلوفاطر) (١٨٧ – ١٧٥ ق . م)

٨ – انطيوخس الرابع (أبليفانس) (١٧٥ – ١٦٤ ق . م)

٩ – انطيوخس الخامس (١٦٤ – ١٦٢) ق . م .

١٠– ديمتريوس الاول (سوتر) (١٦٢ – ١٥٠ ق . م)

١١– الاسكندر بلاس (١٥٠ – ١٤٥)

١٢– ديمتريوس الثاني (نيقاطور) (١٤٥ – ١٤٠ ق . م)

١٣– انطيوخس السادس (ديونيسيرس) (١٤٥ – ١٤٣ ق . م)

١٤– انطيوخس السابع (سيدنيس) (١٣٨ – ١٢٩ ق . م)

١٥– سلوقس الخامس (١٢٩ – ١٢٦ ق . م)

١٦– انطيوخس الثامن (١٢٦ – ٩٦ ق . م)

١٧– سلوقس السادس (٩٦ – ٩٥ ق . م)

١٨– انطيوخس الحادى عشر (٩٥ ق . م)

١٩– فيلب الاول (٩٥ – ٨٣ ؟ ق . م)

٢٠– ديمتريوس الثالث (٩٥ – ٨٨ ق .) م .

٢١– انطيوخس الثاني عشر (٨٦ ؟ – ٨٥ ق . م)

٢٢– انطيوخس التاسع (١١٦ – ٩٥ ق . م)

٢٣– انطيوخس العاشر (٩٥ – ٨٣ ق . م)

٢٤– انطيوخس الثالث عشر (٦٩ – ٦٥ ق . م)

٣ – الملوك الفرثيون (الأرشاقيون)

(السنة الاولى من العهد الفرثي = ٢٤٧ ق . م)

١ – ارشاق (٢٥٠ – ٢٤٨ ق . م)

٢ – تيريداتس الاول (٢٤٨ – ٢١١ ق . م)

٣ – ارطبان الاول (٢١١ – ١٩١ ق . م)

٤ – فريافا طوس (١٩١ – ١٧٦ ق . م)

٥ – فراهاطيس الاول (١٧٦ – ١٧١ ق . م)

٦ – مثريداتس الاول (١٧١ – ١٣٨ ق . م)

٧ – فراهاطس الثاني (١٣٨ – ١٢٨ ق . م)

٨ – ارطبان الثاني (١٢٨ – ١٢٤ ق . م)

٩ – مثرداتس (١٢٣ – ٨٨ ق . م)

١٠ – جوارز الاول (٩١ – ٨١ ق . م)

١١ – اورود الاول (٨٠ – ٧٦ ق . م)

١٢ – سناطرق (٧٦ – ٧٠ ق . م)

١٣ – فراهاطس الثالث (٧٠ – ٥٧ ق . م)

١٤ – مثريداتس الثالث (٥٧ – ٥٤ ق . م)

١٥ – اورود الثاني (٥٧ – ٣٧ ق . م)

١٦ – فراهاطس الرابع (٣٧ – ٢ ق . م)

١٧ – تيريداتس الثاني (٣٠ – ٢٥)

١٨ – فراهاطاسس (٢ ق . م – ٤ م)

١٩ – اورود الثالث ٤ – ٦ م

٢٠ – أونون الاول ٨ – ١٢

٢١ – ارطبان الثالث ١١ – ٣٨

٢٢ – تيريداتس الثالث ٣٦

٢٣ – كينامس ٣٧

٢٤ – جوتارز الثاني ٣٨ – ٥١

٢٥ – وردان ٣٩ – ٤٧

٢٦ – اونون الثاني ٥١

٢٧ – ولغاش الاول ٥١ – ٧٨

٢٨ – فاقور الثاني ٧٨ – ١١٥

٢٩ – أرطبان الرابع ٨٠ – ٨١

٣٠ – خسرو (اوسرويس) ١٠٩ – ١٢٨

٣١ – فرتما سقاتس ١١٧

٣٢ – ولغاش الثاني ١٠٦ – ١٤٧

٣٣ – متريدتس الرابع ١٢٨ – ١٤٧

٣٤ – ولغاش الثالث ١٤٨ – ١٩٢

٣٤- ولغاش الرابع	١٩١ - ٢٠٧
٣٦- ولغاش الخامس	٢٠٧ - ٢٢٢
٣٧- ارطبان الخامس	٢٠٨ - ٢٢٦ م

٤ - الملوك الساسانيون

١ - اردشير الاول	٢٢٤ - ٢٤١
٢ - شابور	٢٤١ - ٢٧٢
٣ - هرمزد الاول	٢٧٢ - ٢٧٣
٤ - بهرام الاول	٢٧٣ - ٢٧٦
٥ - بهرام الثاني	٢٧٦ - ٢٩٣
٦ - بهرام الثالث	٢٩٣
٧ - نرسي	٢٩٣ - ٣٠٢
٨ - هرمزد الثاني	٣٠٢ - ٣٠٩
٩ - شابور الثاني	٣٠٩ - ٣٧٩
١٠- اردشير الثاني	٣٧٩ - ٣٨٣
١١- شابور الثالث	٣٨٣ - ٣٨٨
١٢- بهرام الرابع	٣٨٨ - ٣٩٩
١٣- يزدجرد الاول	٣٩٩ - ٤٢٠
١٤- بهرام الخامس	٤٢٠ - ٤٣٨
١٥- يزدجرد الثاني	٤٣٨ - ٤٥٧
١٦- هرمزد الثالث	٤٥٧ - ٤٥٩
١٧- فيروز	٤٥٧ - ٤٨٤
١٨- بالاش	٤٨٤ - ٤٨٨
١٩- قباذ الاول	٤٨٨ - ٤٩٧
٢٠- مغتصب العرش	٤٩٦ - ٤٩٩
٢١- قباذ الثاني	٤٩٩ - ٥٣١

المراجـــع العربيــة

أرثر كريتنسن : ايران في عهد الساسانيين . ترجمة يحيى الخشاب القاهرة ١٩٥٧

أربرى : تراث فارس . القاهـــــــرة ١٩٥٩ .

عهد اردشير : تحقيق وتقديم د . احسان عباس دار صادر بيروت ١٩٦٧

كتاب تنسر : ترجمة د . يحيى الخشاب القاهـــرة ١٩٥٦ .

و . و . تارن : الاسكندر الكبير قصته وتاريخه ترجمة زكي على القاهـــرة ١٩٦٣ .

ابن النديم : كتاب الفهرست مكتبة خياط بيروت .

طه باقـر : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة (جزاءن) بغداد ١٩٥٤ .

موريوس كروزوية : تاريخ الحضارات العام (مترجم) دار عويدات بيروت

حمزة الاصفهاني : تاريخ سـني ملوك الارض والانبياء .

ياقوت الحمو ي : معجم البلدان : دار صادر بيروت ١٩٥٦ .

فؤاد سفر ومحمد على مصطفى : الحضر مدينة الشمس - وزارة الاعلام ١٩٧٤ .

مجلة الدراسات الادبية : السنة الرابعة الاعداد ٢ - ٣ - ٤ - ١٩٦٢ - ١٩٦٣ بيـروت

الشهرستاني : الملل والنحل (جزءان) دار المعرفة بيروت طبعة ثانية ١٩٧٥

ابن الاثير : الكامل في التاريخ (١٢ مجلد) دار صادر بيروت ١٩٦٥ .

جواد على المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام (١٠ اجزاء) مكتب النهضة - بغداد

محمد حميد الله : مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة - دار الارشاد بيروت (١٩٦٦) .

الدينوري : الاخبار الطوال - دار احياء الكتب العربية القاهـرة ١٩٦٠

المصادر الاجنبيـــة

1. The Cambridge Ancient History, I, part 2 (1971), chap XXV ff., Volume, X11.
2. R. Ghirshman, IRAN (Penguin Books, 1954, 1961).
3. -----, Iran: Parthians and sassanians (The Arts of Mankind , 1962).
4. Herzfeld, Iran in The Ancient East (1941).
5. Percy Cykes, History of Persia 2 Vols (London 1969)
6. Richard N.Frye: The Heritage of Persia London 1962
7. History of Herodotus.
8. Fischer Weltgeschichte, Griechen and Perser, Band 5, Frankfurt am Main (1965).
9. Dandamaev - Pahl, Persien unter den ersten Achameniden, Wiesbaden (1976).
10. G. Widengren, Die Religionen Irans stuttgart (1965).

المواقع الاثرية
في العراق وايران والمناطق المجاورة

